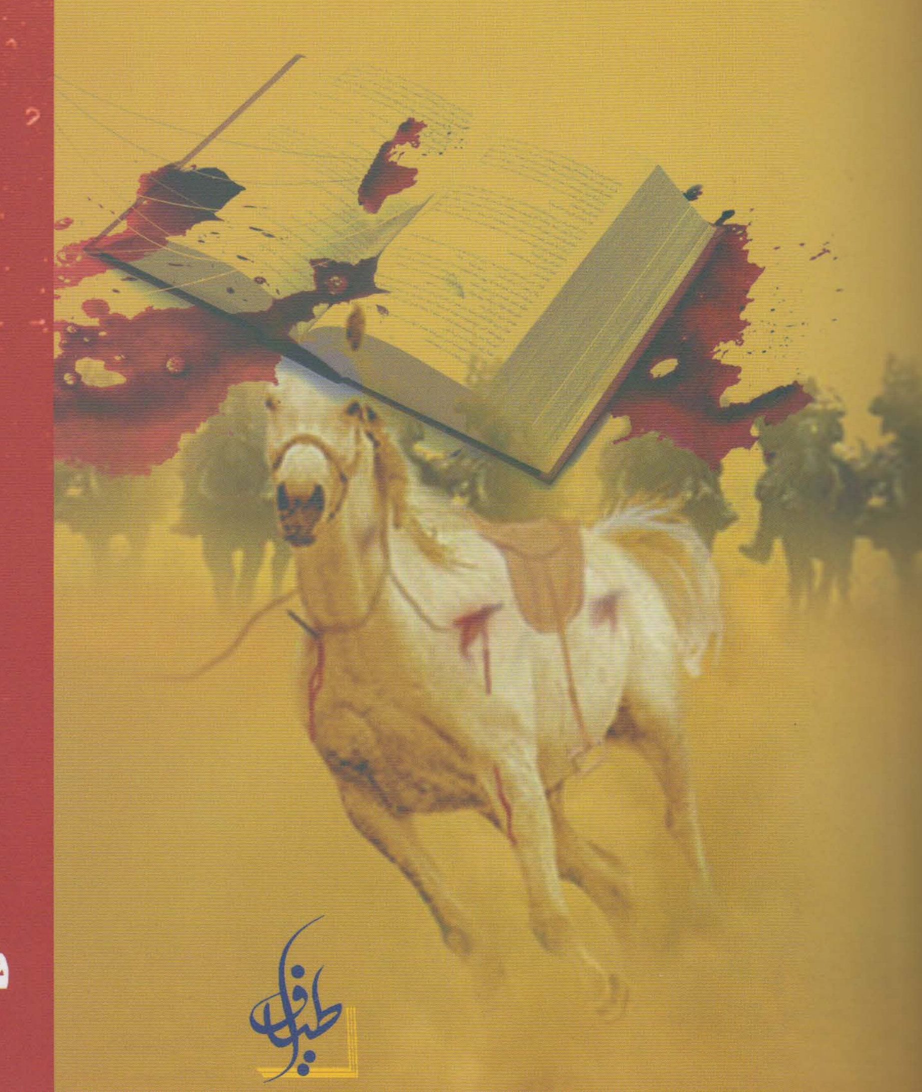
من قضايا النهضة الحسينية

أسئلة وحوارات



فوزي آل سيف


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

من قضايا النهضة الحسينية

أسئلة وحوارات

من قضايا النهضة الحسينية

أسئلة وحوارات

القسم الأول

فوزي آل سيف

الطبعة الأولى

1435هـ- 2014م

تقديم الطبعة الرابعة



منذ صدور الطبعة الأولى للكتاب هذا قبل أكثر من عشر سنوات، وأنا ألحظ إقبالا جيدا عليه، نظرا لكون موضوعه من المواضيع الحية المتجددة التي تثير اسئلة وتتطلب أجوبة،ويتفاعل المؤمنون معها بأنحاء متعددة، منها التساؤل ومحاولة التفهم.

وكان أن تمت طباعة الكتاب عدة مرات، وانتشر في صفحات الانترنت، وتم تنزيله بعدد كبير يفوق عدد المطبوع على الورق.

وهذا الأمر يدعوني إلى التأكيد على أهل العلم والمعرفة بأن يتوجهوا إلى تحقيق السير التاريخية للقادة المعصومين ﷺ، فإنها بمقدار ما تثير من الاعجاب في النفوس بمواقفهم، يثير بعضها أسئلة في العقول وتحتاج إلى مقدار من التحقيق والتأمل، وإزالة ما يصنع الالتباس والشك.

وقد طلب مني أحد المثقفين الأفاضل نسخا من الكتاب للتوزيع المدروس، ولما أجبته بنفاذ الكمية، بادر جزاه الله خيرا إلى تبني كلفة طبعة أخرى، وشجع على إعادة طباعته، فكان سببا تاما في قيامي بتصحيح النص، وإضافة بعض المواضيع الجديدة له، وإخراجه (بأقسامه الثلاثة) في كتاب واحد.

ولا يفوتني أن أشكر هذا الأخ الفاضل، وأدعو إلى تمثل موقفه في نشر الوعي والمعرفة، فإن الكثير من المؤمنين لديهم حماس كبير للقضية الحسينية، ويتجلى هذا في أشكال متعددة، ولا ريب أن من أهمها نشر الوعي بقضية الحسين عليه السلام، وطرق ذلك كثيرة: تبدأ من كتابة الكتب والقصص التي تؤرخ للحادثة بلسان الأطفال والأحداث، وتمر بتمويل أفلام الكارتون، وإعداد مقاطع تلفزيونية تمثيلية، وطباعة الكتاب الحسيني باللغات المختلفة وإيصاله لأهل تلك اللغات، فإن العالم اليوم يقف في ايام عاشوراء ملاحظا أن هناك حدثا استثنائيا وحالة غير طبيعية تشهدها المجتمعات الموالية لأهل البيت، ويثير ذلك في أذهانهم أسئلة عن تلك الحالة والممارسات وليس هناك أفضل من الاستفادة من الموسم ثقافيا للإعلان عن قضية الإمام الحسين عليه السلام، وتبليغها وبيان أهدافها.. فإنها تمثل ركنا ركينا في الدعوة إلى الدين ومنهج الصادقين.

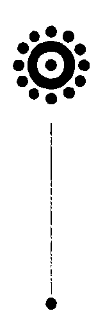
أرجو أن يتقبل الله هذا الكتاب بقبول حسن، وأن يشرك والدي في ثوابه. وأن يجزل الأجر للساعين في طباعته.

فوزي آل سيف

باريس فرنسا

٢٧/ ١/ ١٤٣٥

مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

هذه الصفحات عطاء من بركات الموسم الحسيني في محرم. وقد بدأت فكرتها عندما كنت أخصص الليلتين الأخيرتين (الثانية عشر والثالثة عشر) من ليالي المحرم، للإجابة عن الأسئلة التي تدور في أذهان المستمعين، وقد كان يتم الإعلان منذ بداية الموسم عن تخصيص الليلتين الأخيرتين لهذا الموضوع. فكان الإقبال على الفكرة والتفاعل معها جيدا، فلا يقترب موعدهما إلا وقد اجتمعت حصيلة كبيرة من الأسئلة المختلفة، وهي غالبا في محاور متعددة: فمنها ما يرتبط بمواضيع الموسم نفسه. من طلب إيضاح لنقطة معينة أو الاعتراض على استفادة الخطيب منها، أو اقتراح في نفس الموضوع، أو غير ذلك. ومنها ما يرتبط بالسيرة أو

الثورة الحسينية وهذه كانت تشكل القسم الأكبر في الأسئلة، سواء تلك التي تطرح مواضيعها في نفس هذا المجلس أو ما يسمعه المؤمنون في مجالس ومحاضرات أخرى، فيقومون بالسؤال عنه لكي يجاب عنه في هاتين الليلتين. ومنها ما هو عام سواء كان في الثقافة الإسلامية أو في المسائل الشرعية.

والغالب أنه كان يتم تصنيف الأسئلة المتشابهة، ويُجاب عليها بما يناسب المقام من حيث الحضور، والوقت و..

ثم إنه قد اجتمعت أعداد من الأسئلة المختلفة، لاسيما في المسألة الحسينية، فراق لي أن أكتبها وأن تكون الإجابة بنحو أكثر تفصيلا، وإن بقيت في نفس المستوى العام الذي يستفيد منه الأكثر من الجمهور.

ولما كانت بعض المحاضرات في أكثر من موسم تتصل اتصالا مباشرا بأمر السيرة الحسينية من حيث فوائدها وضرورتها ومن حيث لزوم تصحيحها وتنقيحها بما يحفظ لأهل البيت ﷺ صورتهم القدسية الواقعية فقد أدرجت مختصرا عنها في البداية.

وذلك أنه يلاحظ المتأمل منهجين متطرفين: فهناك من يحشو في السيرة ما ليس ثابتا بل ربما ما عدمه هو الثابت بزعم ذكر المصائب العظيمة التي وقعت على أهل البيت ﷺ وأن في ذلك ثوابا كبيرا، لأنه يسهل عملية الإبكاء وتشمله روايات (من بكى أو أبكى) وهذا غير صحيح، فإن إعطاء الثواب على البكاء والإبكاء أمر صحيح ولا ريب فيه، حيث أثبتته الروايات الصحيحة، إلا أنه لا يتكفل بتصحيح قول غير الحق. بل روايات البكاء مقيدة أساسا بأنه بكى (لما أصابنا) وما يقال من غير حجة شرعية لا يشمله أنه ما أصابهم، نعم لو اعتمد الخطيب على روايات ضعيفة، أو قول لبعض السابقين وذكره برجاء أن يكون الواقع فلا مانع منه، لقاعدة التسامح بناء على شمولها للمورد.

والمنهج الآخر: هو المسارع إلى النفي، والحذف.. فما أسرعه في قول أن هذه الرواية غير ثابتة وتلك غير معقولة، والثالثة لا يمكن قبولها.. الخ. ونحن مع إدراكنا لحقيقة أنه ليس كل ما ورد في كتب السيرة صحيحا إلا أنه كما أن الإثبات يحتاج إلى استدلال فإن النفي مع وجود تلك الروايات في كتب السيرة والتاريخ في الجملة أيضاً بدوره يحتاج إلى استدلال ولا يمكن أن يتمسك هنا بالأصل كما يفعله بعضهم لنفي ما يشاء !!. وكلاهما غير صحيح.

ونحن نحتاج إلى نهضة من قبل العلماء الأفاضل أن يصرفوا جهدا في مجال تحقيق وتنقيح السيرة الحسينية بحيث يعتمد فيها على الروايات الصحيحة أو محتملة الصحة مع الإشارة إلى كل قسم منها، وتستبعد منها تلك الروايات المعلوم عدم صحتها أو المعلوم مخالفتها للأصول المسلمة.

وهذه الصفحات التي دونت أغلبها في مدينة الرسول ﷺ عند تشرفي بزيارته في حج ١٤٢٢هـ حيث كنت أقتنص بعض الوقت للكتابة فيها محاولة أولية، لتوجيه بعض ما يقرأ في السيرة الحسينية، بحيث يكون قريب المأخذ من الذهن العام المستمع لمجريات السيرة الحسينية في كل عام على الأقل مرة واحد، في عشرة المحرم الأولى، فإن قراءة روايات السيرة تثير من الإعجاب وتقديس البطولة، ومن محاولات الاقتداء والتأسي، بمقدار ما تثير من الأسئلة عن العلل والكيفية، لماذا صنع الإمام كذا؟ وما هي كيفية الحادثة الفلانية؟ وهل تنسجم القضية الكذائية مع المفاهيم العامة الدينية؟ وهذا من بركات المنابر الحسينية وغيرها من وسائل التثقيف والتوعية، والتي رفعت من المستوى الفكري العام للناس فأصبح المستمع قادرا بنسب متفاوتة على التحليل والربط والتساؤل، وهذا يحمّل الخطباء والمحاضرين مسؤولية مضاعفة نسأل الله أن يوفقنا وإياهم لتحملها.

فوزي آل سيف

تاروت القطيف

السيرة الحسينية وضرورة تنقيحها



أهمية سير الأبطال في المجتمعات:

١. من أهم ما تقوم به سير الحياة الشخصية للعظماء صناعة القدوة للأطفال والأحداث من أبناء المجتمع فإن هؤلاء إذا نظروا وهم في حداثة سنهم إلى تقدير المجتمع لأبطاله يتحول هؤلاء في أذهانهم إلى طموح أعلى ومثل أسمى يظل يشرق في أنفسهم، ولذا فإنهم في تلك السن المبكرة يحاولون أن يحاكوا الطريقة التي عاش عليها أولئك الأبطال، ولذا نفهم ما يقوم به الغرب من تقديم قدوات وأبطال على مقاييسه بالنسبة لأطفالنا وشبابنا اليوم، ونفهم خطورته أيضاً.. فهم لكي يبينوا التفوق الأمريكي ويحولوه إلى ثقافة يقدمون لنا نماذج (البطولة والقوة والمثل العليا في صورة أفلام وكارتون)

٢. عطي دراسة السير الشخصية لأبطال الأمة شعورا للفرد والمجتمع بأنه ينتمي

لتاريخ ممتد ولجيل صالح. وهذا له كبير الأثر على سلوكه، فإن شعور الفرد مثلا أنه ينتمي إلى عائلة شريفة يصنع له دافعا إضافيا للصلاح، ويحجزه في كثير من الأحيان عن تناول الصغائر وكذا حين يشعر بالانتماء إلى مجتمع وتاريخ زاهر ومنه قول أمير المؤمنين ﵇ في كتابه لواليه مالك الأشتر النخعي (.. ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف..)[1] بينما الأشخاص الذين لا تاريخ لهم، ولا ينتمون إلى جيل صالح قد يكونون أقرب إلى المسيرة الخاطئة. وهذا ما يذكره علماء الاجتماع حين يتعرضون إلى بيان الأسباب التي تؤدي لكثرة الجريمة في التجمعات البشرية الخليطة من أجناس مختلفة ومستويات ثقافية متعددة بالقياس إلى تلك المجتمعات التي تمتلك تاريخا موحدا وثقافة مشتركة.

من ذلك وجدنا القرآن يتحدث عن قصص السابقين، سواء في أدوارهم الايجابية لصناعة القدوة (فاعتبروا يا أولي الأبصار). أو في الجهات السلبية بالتنفير من نماذج الرذيلة والانحراف والعصيان. وفي إطار صناعة القدوة الطيبة وربط الناس بها نجد أنه قد حرصت الأحاديث على ربط الناس بتلك الصفوة من البشر محمد ﷺ الطاهرين كما يفهم من التأكيد على ذكرهم والصلاة على النبي وآله في المصادر الإسلامية..

أهمية السيرة الحسينية:

- ومع أنه توجد في حياة الأشخاص جهات شخصية لا تتكرر، مثل طوله وعرضه، ولون بشرته وصفاته الخَلقية والجسمية، ونسبه.. إلا أن هناك أمورا عامة هي محل الإقتداء مثل أخلاقه وسيرته والنظام الحياتي الذي كان عليه،

---

(١) نهج البلاغة ٣/ ٩١

وجهاده ونصره للدين. وهذا ما يدعونا إلى دراسة سيرة النبي والمعصومين ﷺ، ومن هؤلاء الإمام الحسين عليه السلام. ففيها إضافة إلى ما سبق،

- أنها إطلالة على تاريخ الإسلام في القرن الأول، فإن معرفة ما جرى في ذلك القرن يجعل المسلم واعيا بالنتائج التي وصلت إليها الأمة فيما بعد. بينما يبقى أولئك الذين لا رؤية واضحة لهم بالنسبة للأحداث التي حصلت فيه، غير قادرين على فهم الكثير من النتائج، حيث أنها مربوطة بمقدماتها.
- متابعة مسيرة مجتمع: احتوى على مختلف النماذج: الانتهازي والمتفاني، عابد الدنيا والمشتاق إلى الآخرة، الشيخ الكبير الذي هو بهمة الشباب، والحدث الذي هو برأي الشيوخ، الحر العبد والرق المتحرر.. ويستطيع الإنسان أن يعتبر بما وصل إليه كل واحد من نتيجة في عاجل حياته، وما الذي ينتظره بحسب القواعد الكلامية، من جزاء في الآخرة.

مصادر السيرة الحسينية:

كيف انتقلت أحداث الواقعة؟ وكيف صورت؟

بعض الحوادث حدودها من الزمان، مدتها فقط فلا تشغل أكثر من دقائق مثل طعامك قبل شهر، استغرق عشر دقائق، ثم إنك نسيته أنت فضلا عن سائر الناس ثم انتهى، نعم لو كان فيه جهة محرمة كأن يكون غصبا أو حراما فإن تبعته تبقى وأثره الوضعي يستمر، وهكذا لو كان فيه جهة خيرة.

وهناك بعض الحوادث طبيعتها أن تبقى وتؤرخ لما فيها من الجهة العامة التي ترتبط بالآخرين كما هو الحال في المعارك العقائدية والمناظرات الفكرية، بل الأحداث السياسية.

.. وقضية الإمام الحسين عليه السلام تحتوي على كل عناصر البقاء والاستمرار في

التاريخ، بل في وعي الأمة الإسلامية.. وذلك لارتباطها بكل التيارات من جهات مختلفة فإن أتباع الخط الأموي كان عليهم أن يجيبوا على أصل موقف السلطة التي اتخذته من الإمام عليه السلام ومن أهل بيته وأنصاره، ثم تفاصيل الممارسة، وفي المقابل كان أتباع أهل البيت عليهم السلام ينشرونها، والمحايدون يحاولون التفتيش عن جواب مقنع لن يكون موجودا، إلا بمعرفة بني أمية على حقيقتهم.

لقد انتقلت الحادثة بتفاصيلها الكثيرة، بمواقف أبطالها، وكلمات شجعانها، ورجز مقاتليها من جهة، وانتقلت بعمق مأساتها، بجروح الضرب والتنكيل، والسلب والتشهير، وبغربة النساء، (تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ليس لهن من ولاتهن ولي ولا من حماتهن حمي..)[1] وبلوعة الأطفال واليتامى. انتقلت من الأفئدة المكلومة والعيون الباكية إلى صدور الناقلين ثم إلى كتب التاريخ، ولقد حاول الكثيرون تزييف الحادثة، أو إسدال ستار النسيان على أحداثها، لكن خابوا فما زالت أحداث الواقعة حية ساخنة وكأنها قد حدثت ليوم خلا.

ويتعجب الناظر إلى تلك التفاصيل الدقيقة التي ترصد كل حركة وكلمة، فهذا نافع بن هلال في جوف الليل يحرس الحسين من دون أن يشعر وعندما يراه عليه السلام يشجعه على الفرار والنجاة بنفسه، فيقول ما هو أهله، وما يخلده. وهذه زينب وهي تحدث أخاها الحسين في ليلة عاشوراء وتسأله عن وضع المخيم والأنصار و..

من الذي نقل كل هذه التفاصيل، وما هي مصادرها؟

يمكن أن نوجز في ما يلي مصادر الواقعة:

١. التاريخ العام مثل تاريخ الطبري وابن الأثير، والمسعودي،..وغيرهم. فقد

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/ ١٣٤: من خطبة السيدة زينب بنت علي عليها السلام.

اعتمد هؤلاء المتأخرون على المؤرخ المعروف لوط بن مخنف الأزدي[١]، بل قد يمكن القول أن ما جاء في الطبري هو خلاصة لما كتبه أبو مخنف المذكور، وكان في ذلك أكثر من جهة فائدة، فقد فُقد كتاب مقتل الحسين للأزدي، وتم استخراج ما نقله عنه الطبري باعتباره المقتل، بينما لم يكن كل المقتل وما جرى فيه. وهو يروي عمن شهد الواقعة كحميد بن مسلم بواسطة،والضحاك المشرقي.

٢. وشهود عيان في المعسكر الأموي، فإن بعضهم كان بمثابة المؤرخ، والناقل للأخبار مثل حميد بن مسلم[٢]، أو غيرهم ممن نقل (بطولاته !): مثل كعب بن جابر لما قتل برير بن خضير عتبت عليه زوجته وقالت أنها لن تكلمه، فقال أبياتا منها:

ولم تـــر عيني مثلـــهم في زمانهم　　　ولا قبلـهم في الناس إذ أنا يافع

(١) ذكره النجاشي في رجاله فقال: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي، أبو مخنف، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يُسكن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمد ﷺ. وقيل: إنه روى عن أبي جعفر ﷺ ولم يصح. وصنف كتبا كثيرة، منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب فتوح الإسلام، كتاب فتوح العراق، كتاب فتوح خراسان، كتاب الشورى، كتاب قتل عثمان، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهر، كتاب الحكمين، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين ﷺ، كتاب قتل الحسن ﷺ، كتاب قتل الحسين ﷺ، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب أخبار زياد، كتاب أخبار المختار، كتاب أخبار الحجاج، كتاب أخبار محمد بن أبي بكر، كتاب مقتل محمد، كتاب أخبار ابن الحنفية، كتاب أخبار يوسف بن عمر، كتاب أخبار شبيب الخارجي، كتاب أخبار مطرف بن المغيرة بن شعبة، كتاب أخبار آل مخنف بن سليم، كتاب أخبار الخريت بن راشد الناجي وخروجه.

(٢) قد يقول بعض أن حميد بن مسلم وإن عده البعض من أصحاب السجاد بالمعنى العام أي المعاصرة وأنه لا توثيق له لا بالتوثيق الخاص ولا العام (بل نظرا لكونه في صف الأمويين) فلا يمكن الاعتماد على رواياته.. لكن ذلك غير صحيح فإن المدار في النقل التاريخي على الثقة بالرواية وهذا حاصل في هذا المورد فإن حميد بن مسلم وهو بحسب الموقف في الجيش الأموي لا يمكن أن ينقل ما هو في صف خصمه، ولذا لو نقل عن بطولات الأصحاب ومأساة النساء، فإنه في هذا غير متهم، بل ربما كان أدعى للقبول بهذا الاعتبار عند بعضهم ممن يكون في الصف الحسيني.

أشد قراعا بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يحمي الذمار مقارع

وذلك الذي قال:

ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا، وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويدا لأتت على العسكر بكامله، فما كنا فاعلين لا أم لك[١].

وهلال بن نافع الذي قال: كنت واقفا نحو الحسين وهو يجود بنفسه فما رأيت قتيلا مضمخا بدمه أحسن منه وقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله فاستسقى في هذه الحال ماء فأبوا أن يسقوه[٢]..

(يشار هنا إلى الفرق بين هلال (المخسوف) بن نافع الأموي الذي كان عاقبة أمره خسرا وبين نافع بن هلال الحسيني الذي نفع نفسه بموقفه، والذي يقول:

أرمي بها معلمة أفواقهـا والنفس لا ينفعها إشفاقهـا

وهو الذي تقدم باللواء للمشرعة يوم السابع وكان له موقف رائع في انفراده مع الحسين ﵇ ليلة العاشر كما كان له في المعركة مواقف مشرفة إلى أن استشهد).

ومثل هاني بن ثبيت الحضرمي: إني لواقف عاشر عشرة لما صرع الحسين إذ نظرت إلى غلام فأقبل عليه رجل يركض بفرسه حتى إذا دنا منه مال عن فرسه وعلاه بالسيف فقتله.

ومسروق بن وائل الحضرمي: كنت أول الخيل لعلي أصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد فلما رأيت ما صنع بابن حوزة (أو حويرثة في بعض الكتب)

---

(١) ذوب النضار في الأخذ بالثار لابن نما الحلي ص ٩

(٢) مقتل الحسين للمقرم ٢٨٢.

علمت أن لأهل هذا البيت حرمة فتركت القتال[١]..

٣. وشهود عيان من معسكر الحسين ﷺ: مثل الضحاك بن عبد الله المشرقي[٢]، وعقبة بن سمعان مولى الرباب الذي صحب الحسين ﷺ من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق (ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع كلامه فما سمعت منه ما يذكر الناس من أنه يضع يده في يد يزيد وأن يسيره إلى ثغر من الثغور).

والمرقع بن ثمامة الأسدي الذي أُسر فاستأمنه قومه فنفاه ابن زياد إلى الزارة والحسن بن الحسن (المثنى) الذي قاتل إلى جانب عمه الحسين ﷺ حتى قتل سبعة عشر من الأعداء ثم قطعت يده، وأخذه أسماء بن خارجة الفزاري لأن أمه

---

(١) المصدر السابق ٢٣١

(٢) روى أبو مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: لما رأيت أصحاب الحسين ﷺ قد أصيبوا، وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يابن رسول الله، قد علمت ما كان بيني، وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلا، فإذا لم أر فأنا في حل من الانصراف، فقلت لي: نعم. قال: فقال: (صدقت، وكيف لك بالنجاء ! إن قدرت على ذلك فأنت في حل). قال: فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر، أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطا لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلا، فقتلت يومئذ بين يدى الحسين ﷺ رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين ﷺ يومئذ مرارا: (لا تشلل، لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيرا عن أهل بيت نبيك ﷺ) ! فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط، ثم استويت على متنها، ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عرض القوم، فأفرجوا لي، واتبعني منهم خمسة عشر رجلا حتى انتهيت إلى شفية، قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما لحقوني عطفت عليهم، فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي، فقالوا: هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي، هذا ابن عمنا، ننشدكم الله لما كففتم عنه ! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيبن إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم. قال: فلما تابع التميميون أصحابي كف الاخرون، قال: فنجاني الله.

ومع أن الضحاك لم يحظ بشرف الشهادة بين يدي الحسين ﷺ، وفاته هذا التوفيق العظيم إلا أن بقاءه نفع في نقل تفاصيل الواقعة من عنصر كان شاهدا، وتفاصيل أحداث ما جرى في المخيم ولعل الناظر إلى مقتل الحسين للأزدي، وغيره يرى بوضوح أثر رواياته تلك.

فزارية، وزيد بن الحسن وعمرو بن الحسن..وهكذا نساء أهل البيت وعلى وجه الخصوص زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ فإنه يعتقد أن أحد أسباب طلب والي الأمويين على المدينة إخراجها منها كان لسبب أنها برواياتها ما حدث كانت تستثير الناس.

٤. أئمة أهل البيت ﷺ: فالإمام علي بن الحسين السجاد استفاد من جميع الفرص بما هو غير خاف. والإمام جعفر الصادق في تشجيعه للراثين والرثاء، وعن طريق نقل الأخبار فقد صلى ركعتين في الحنانة وقال هاهنا وضع رأس الحسين عندما أخذ للكوفة[١]. وعندما شبت النار في الأخبية، نقل موضوع حرق الخيام، وتأتيه جارية بطفل في أثناء الرثاء فيذكّر بمصاب الطفل الرضيع..

٥. الزيارات: مثل الزيارة المنسوبة للناحية المقدسة[٢] والتي تعرضت في تفصيل جميل لمقدمات الثورة ووضع المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، والدوافع التي حركت الإمام الحسين ﷺ للثورة، وكيف كان مسير المعركة،

(١) النوري الطبرسي: مستدرك الوسائل ١٠/ ٤٠٢

(٢) هناك رأيان بالنسبة إلى الزيارة هذه فهناك من يرى بأن الزيارة صادرة عن صاحب الزمان عجل الله فرجه، ولذا اشتهر اسمها بأنها زيارة الناحية المقدسة وقد ذكر محمد بن المشهدي المتوفى في سنة (٦١٠هـ): ومما خرج من الناحية ﷺ إلى بعض الأبواب قال: تقف عليه صلى الله عليه وتقول...

وهناك رأي آخر يرى عدم ثبوت كونها كذلك وإنما هي من إنشاء بعض العلماء المتقدمين كالسيد المرتضى. أما العلامة المجلسي في البحار ٩٨ ص ٣٢٨ فقد قال وقد ذكر الشيخ المفيد بعد الزيارة التي نقلناها من المصباح ما هذا لفظه: زيارة أخرى في يوم عاشوراء برواية أخرى.. وقال العلامة المجلسي بعد أن ساق الزيارة إلى آخرها ناقلا عن المزار الكبير للمشهدي: فظهر أن هذه الزيارة منقولة مروية، ويحتمل أن لا تكون مختصة بيوم عاشورا، كما فعله السيد المرتضى - ره -. وأما الاختلاف الواقع بين تلك الزيارة وبين ما نسب إلى السيد المرتضى فلعله مبني على اختلاف الروايات والأظهر أن السيد أخذ هذه الزيارة وأضاف إليها من قبل نفسه ما أضاف.

أقول: لا يمكن دعوى أنها- فيما اتفق من لفظ الزيارتين من إنشاء السيد المرتضى مع ذكرها من قبل استاذه الشيخ المفيد رضوان الله عليهما.

وأخيرا فيها تفصيل للمقتل مما صار على ألسنة الخطباء نصا ثابتا (.. فلما رأوك ثابت الجأش، غير خائف ولا خاش، نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرهم، وأمر اللعين جنوده، فمنعوك الماء وورودَه، وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكف الاصطلام ولم يرعوا لك ذماما، ولا راقبوا فيك آثاما، في قتلهم أولياءك، ونهبهم رحالك، وأنت مقدم في الهبوات، ومحتمل للأذيات، وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات. وأحدقوا بك من كل الجهات، واثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك. حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحا، تطؤوك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفا خفيا إلى رحلك وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهلك، وأسرع فرسك شاردا، وإلى خيامك قاصدا، محمحما باكيا. فلما رأين النساء جوادك مخزيا، ونظرن سرجك عليه ملويا، برزن من الخدور، ناشرات الشعور[١] على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات والشمر جالس على صدرك، مولع سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك، وسبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يطاف بهم في الأسواق. فالويل للعصاة الفساق، لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرفوا آيات القران،

---

(١) سوف يأتي في الأسئلة بيان الوجه في هذا المقطع من الزيارة.

وهملجوا في البغي والعدوان..)[1]، وزيارة الإمام الحجة للحسين ﷺ والتي فيها أسماء الشهداء مع الحسين مع أسماء قاتليهم وستأتي في قسم الملحقات.

تنقيح السيرة الحسينية:

جرت العادة في المجتمعات الشيعية على قراءة السيرة الحسينية لا سيما أيام العشرة الأولى من محرم الحرام في كل عام، وحيث أنها تتكرر كذلك، فإنها تتحول إلى جزء من الموروث الثقافي لأبناء المجتمع، وتؤثر في فكرهم وسلوكهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون. ولذا كان أمر تصحيح السيرة وتنقيحها، وعدم ذكر المستهجن أو غير المقبول في العقول إلا مع التوضيح فضلا عن غير الصحيح أمراً مهماً.

وينبغي أن يشار إلى قضية مهمة وهي أنه لا يصح أن يشكَّك في المسائل الثابتة بزعم أننا نقوم بتنقيح السيرة، أو أننا لا نحب هذه الجملة أو تلك الواقعة فنقوم بحذفها من السيرة فهذا عمل خاطئ، بل هو خيانة للتاريخ لو كانت الجملة ثابتة والنص صحيحا.وكذلك الحال عندما يستطرق من بعض الأمور التاريخية غير الثابتة إلى التشكيك في جملة السيرة وأحداثها، فإن ذلك أمر خطر.

نعم، ما كتب عن السيرة هو كسائر القضايا التاريخية فيه الصحيح وفيه غير ذلك ولكن بحمد الله لم يتطرق الخلل إلى أصل السيرة، ولا إلى أحداثها الأساسية التي تنفع في الإقتداء والتأسي. ومع ذلك نحن نحتاج إلى تنقية ما علق بها، وهذا الأمر لا لجهة أن الآخرين ينتقدوننا وإنما لجهة أن بقاء مثل هذه الشوائب يشوه الصورة الحقيقية لصاحب السيرة العظيم.

---

(١) المشهدي ؛ محمد بن جعفر: المزار ٥٠٣

وفي الواقع ينبغي الإلتفات إلى توجهين خاطئين: **الإصرار** على أن كل ما في السيرة المنقولة في الكتب من غير تحقيق هو شيء مقدس لا تطاله يد التحقيق والمناقشة.. وهذا خطأ لاسيما عندما نرى وجود قصص في بعض الكتب لا مصدر لها أصلا، أو أن مصدرها غير معتمد، ولكن يتم التركيز عليها مثلا من باب أنها مشجية أكثر، وأدعى لجلب الدمعة والحزن.

والتوجه الآخر: معاكس لهذا بالتمام، فهو يفترض أن الشك هو الأساس، وأن كل ما لا يقبله عقله، أو لم يصل إلى علمه، فهو غير صحيح ويجب حذفه، ولو كانت أسانيده تامة. ولا يترتب عليه محذور، سوى مخالفته للمألوف أو للنهج الفكري الذي يعتمده ذلك الشخص.

ولقد بادر علماؤنا ومحدثونا مشكورين إلى ذكر هذه المسائل والتحذير منها في نصائحهم للخطباء وقراء التعزية الحسينية، فاعتبروا أن مما يعد كذبا ولا يجوز أخذ الأجرة عليه هو افتعال الروايات غير الصحيحة أو نقلها على نحو الجزم. ولو كانت تؤدي إلى غرض حسن وهو إشعار الناس بعظم مظلومية أهل البيت ﷺ. فقد كتب المحدث النوري[1] رحمه الله كتابا في آداب خطباء المنبر باللغة الفارسية باسم (لؤلؤ ومرجان) وضمنه الكثير من النصائح في لزوم التثبت في النقل.

ويذكر المحدث الشيخ عباس القمي[2] عن كتاب (الأربعين الحسينية) للميرزا

---

(١) الميرزا حسين النوري الطبرسي، توفي ١٣٢٠ هـ من تلامذة الميرزا الشيرازي الكبير، لازمه حين انتقاله إلى سامراء واختص به، ويعد خاتمة المحدثين، له كتاب (مستدرك الوسائل) احتوى على اكثر من ٢٣ ألف حديث، وله أيضاً (خاتمة المستدرك) في الرجال في ٨ مجلدات. وهو أستاذ عدد من أعيان الطائفة منهم آقا بزرك الطهراني، والمحدث الشيخ عباس القمي..

(٢) الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، توفي سنة ١٣٥٩ هـ، محدث خبير، وواعظ مؤثر، ومؤلف مكثر له قرابة (٦٠) كتابا، أشهرها عند الناس (مفاتيح الجنان) في الأدعية والزيارات، من تلامذة المحدث النوري الطبرسي.

محمد بن محمد تقي القمي[1] نصيحة بالغة وموعظة جامعة..منها:

.. وأضحى جماعة من ذاكري المصائب لا يتورعون عن اختراع وقائع مبكية وكثر اختراع الأقوال منهم واعتبروا أنفسهم يشملهم الحديث (من أبكى فله الجنة)، وشاع هذا الكلام الكاذب مع الأيام حتى صار يظهر في مؤلفات جديدة، وإذا حاول محدث أمين مطلع منع هذه الأكاذيب، نسبوها إلى كتاب مطبوع أو كلام مسموع أو تمسكوا بقاعدة التسامح في أدلة السنن، وتوسلوا منقولات ضعيفة توجب اللوم والتوبيخ من الملل الأخرى، كجملة من الوقائع المعروفة التي ضبطت في الكتب الجديدة في حين أنه لا عين ولا أثر لهذه الوقائع عند أهل العلم والحديث كعرس القاسم في كربلاء الذي نقله في كتاب (روضة الشهداء) من تأليف الفاضل الكاشفي وقام الشيخ الطريحي وهو من أجلة العلماء والمعتمدين بنقله عنه ولكن في كتاب (المنتخب) أموراً كثيرة جرى التساهل والتسامح بها وهي لا تخفى على أهل البصيرة والاطلاع)[2].

وأشار غيره من الفقهاء والمحققين إلى لزوم التدقيق فيما يذكر في واقعة كربلاء، فهذا السيد الأمين[3] رحمه الله يقول مبينا خطورة ما يلجأ إليه بعض الخطباء: (... ولكن كثيرا من الذاكرين لمصابهم قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها لم

---

(١) الميرزا محمد بن محمد القمي: كان له من الفقاهة والاجتهاد مقام سام، ورتبة عالية، وقد سافر في اوائل شبابه الى العتبات الشريفة. وحضر عند الميرزا الشيرازي، واستفاد منه وكانت عمدة تلمذه في الفقه والأصول على يد الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي، والملا كاظم الخراساني، وبعدما اكمل دراسته للعلوم الدينية وحصل على القوة القدسية واجيز بالاجتهاد.. عاد الى وطنه (قم)، وظهرت له الرئاسة العامة والشهرة التامة، وذاعت شهرة فقاهته وفضيلته جميع الأصقاع، وقرعت كل الأسماع..) عن منازل الآخرة للمحدث القمي.

(٢) منتهى الآمال للمحدث القمي ج ١

(٣) السيد محسن الأمين العاملي، توفي سنة ١٣٧١ هـ. فقيه مصلح، ومؤلف قدير، بلغت تأليفاته أكثر من (٨٠) عنوانا، من بينها موسوعة أعيان الشيعة (في ٥٠ مجلدا)، من تلامذة الآخوند الملا كاظم الخراساني، والفقيه آقا رضا الهمداني. كان له أدوار اصلاحية وأعمال مهمة لا سيما في لبنان وسوريا.

يذكرها مؤرخ ولا مؤلف، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة وزادوا ونقصوا فيها لما يرونه من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحة الأخبار وسقمها حتى حفظت على الألسن وأودعت في المجامع واشتهرت بين الناس ولا من رادع وهي من الأكاذيب التي تغضبهم ﷺ وتفتح باب القدح للقادح فإنهم لا يرضون بالكذب الذي لا يرضي الله ورسوله ﷺ وقد قالوا لشيعتهم: كونوا زينا لنا ولا تكونوا شينا علينا، وقد اكتسبوا هم ومن قبلها منهم وأقرهم عليها الإثم المبين، فإن الله لا يطاع من حيث يعصى ولا يتقبل الله إلا من المتقين، والكذب من كبائر الذنوب الموبقة لا سيما إن كان على النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين..)[1]

وهنا ينبغي التفريق بين عدم الثبوت وعدم تعقله من قبل السامع وقد يغفل عن هذا التفريق كثير من الناس، فقد يكون شيء غير ثابت من الناحية التاريخية وهذا يختلف عن أنه لا يتقبله ذهن هذا الإنسان فقد يكون المستوى الذهني لهذا الشخص غير مؤهل لقبول بعض الحقائق ولكن لا يعني ذلك عدم تحققها وعدم وجودها تماما كما أننا نجد اليوم حقائق في حياتنا المعاصرة لو سمعها الأقدمون لم يقبلها عقلهم !!.

وربما يزعم البعض بأن التهويل والتضخيم للمصائب يقع في دائرة (حدثوا شيعتنا بأعظم ما وقع علينا) لبيان مظلوميتهم ومأساتهم، وهذا غير صحيح فإن فيما وقع عليهم مما صح نقله شيئا كثيرا يستغنى بمثله عن افتعال بعض القصص، أو زيادة الأقوال.. خصوصا أن هذا الأثر[2] يقول (بأعظم ما وقع علينا) أي لا بد من إحراز (أو الاطمئنان بـ) كونه مما وقع عليهم، ثم ينتخب الأعظم منه، لا أعظم ما لم يقع عليهم.

---

(١) المجالس السنية في مناقب ومصاب العترة النبوية.

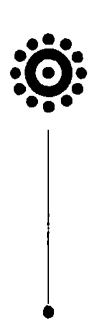
(٢) مع أن البعض ينقله باعتباره حديثا عن الائمة ﷺ إلا أنني لم أجده بهذا النص في مصدر يعتمد عليه بالمقدار الذي وسعني البحث.

لقد كان آية الله الشيخ الشوشتري[1] رحمه الله يصعد المنبر ويصرح بأنه لا يحتاج المرء إلا إلى التأمل في بعض الروايات التاريخية الثابتة ويستنطقها ليرى عظم المصيبة التي حلت بأهل البيت ﷺ، فلماذا يأتي البعض بروايات غير صحيحة، أو يبالغون في قسم من القضايا؟ وهذا ما يظهر لكل قارئ لكتابه المواعظ أو الأيام الحسينية.

فليس معنى التحقيق في الروايات التاريخية تجريدها من الجانب المأساوي أو حذف مواضع المصيبة وإنما يعني أن تذكر المصائب الحقيقية، وهي كثيرة جدا.

(١) الشيخ جعفر بن الحسين الشوشتري، توفي سنة ١٣٠٣ هـ فقيه من تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري رجع إليه في التقليد في منطقته بجنوب إيران، وكان يصعد المنبر ويعظ، ويقرأ السيرة الحسينية بنحو قل نظيره، له من الآثار المطبوعة في مجال المنبر الخصائص الحسينية.

أسئلة في السيرة والثورة الحسينية



س: لماذا لم يستلم مسلم بن عقيل الكوفة؟ ولِمَ لم يقتل ابن زياد عندما زار هذا عبد الله بن شريك الأعور؟

الجواب: أما أنه لماذا لم يستلم مسلم الكوفة بأن يقوم مثلا بعمل انقلاب عسكري ويسيطر عليها فلأمور:

١/ ما ذكره بعض العلماء من أن مهمته التي كلف بها لم تكن إلى هذا الحد، وذلك أن الإمام الحسين ﷺ قد عين وظيفته في رسالته التي أرسلها معه إلى الكوفة وأهلها فقال: إلى هذا الحد، وذلك أن الإمام الحسين ﷺ قد عين وظيفته في رسالته التي أرسلها معه إلى الكوفة وأهلها حيث كتب:

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين. أما بعد: فإن (فلانا وفلانا) قدما

علي بكتبكم، وكانا آخر رسلكم، وفهمت مقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله[1]. وبهذا يتبين أن وظيفة مسلم بن عقيل لم تكن السيطرة على الكوفة عسكريا عن طريق القيام بانقلاب مثلا، أو البدء في حرب مع أنصار بني أمية. وإنما كانت مهمته أشبه بالاستطلاعية لكي يرى هل الواقع يتطابق مع ما هو مذكور في رسائل القوم؟ أو أنه يختلف؟ وأن عليه أن يكتب للإمام ﵇ ما يرى ويشاهد، حتى يقرر الإمام ﵇ ما هو لازم بحسب خبره. وقد قام مسلم بما طلب منه وبالفعل فقد أرسل إلى الإمام الحسين ﵇، بما رأى من اجتماعهم على بيعته وأرسلها إليه مع عابس بن أبي شبيب الشاكرى (.. أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام[2]).

٢/ يحتمل أيضاً أن الأمور جرت بنحو فوجئ به مسلم حيث أنه بعدما بايعه ثمانية عشر ألفا وكان الناس في رأيه وكما تشير إليه ظواهر الأمور ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، فإن ذلك كان يمثل تطميناً بالنسبة له، لكي لا يبدأ في عملية انقلابية، إضافة إلى ما ذكر سابقا. وكان قدوم عبيد الله بن زياد بتلك السرعة متخفياً يمثل عنصر المفاجأة التي لم تكن محسوبة بهذه السرعة.

لقد كانت السيطرة على الوضع بحسب الظاهر في الكوفة تامة لمسلم، ولأشياعه.. فالنعمان بن بشير الأنصاري والي الأمويين على الكوفة،لم يشأ الاصطدام العنيف بمسلم، واكتفى بسيطرته على القصر، والناس كانوا يرغبون

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١/ ٤٣٦

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨١

ولو على مستوى الرغبة الداخلية والنفسية في تغيير الوضع القائم، لكن الذي غيّر الأمور بشكل كامل هو مجيء بن زياد غير المتوقع أصلا، وذلك أنه كان على خلاف مع يزيد، ولم يكن يزيد في بداية أمره يميل إليه. لكن اقتراح سرجون بن منصور الرومي[1]، المسيحي الذي كان مستشارا لأبيه ثم مستشارا له بأن يرسل إلى الكوفة ابنَ زياد خلط الأمور وغيّر المعادلة. وكان الأمر بهذا النحو وبهذه السرعة مفاجئا حتى بالنسبة للنعمان بن بشير الذي قال لابن زياد لما طرق باب القصر: ما أنا بمؤد إليك أمانتي يا ابن رسول الله !!

وأما أنه كيف تمت السيطرة على الأمور بهذه السرعة لصالح بني أمية، فذلك لأنه في أوقات الأزمات الاجتماعية لا يمكن أن يبقى الانتظار سيد الموقف للأخير، وصاحب المبادرة هنا والاقتحام ولو كان من أهل الباطل هو الذي يأخذ بزمام الأمور فيفرض على المجتمع، ولو لمدة، ما يريد. والمتتبع للتاريخ منذ ما بعد رسول الله وإلى أيام الأمويين والعباسيين يرى هذا بوضوح.. فضلا عن التاريخ الإنساني العام.

أما بالنسبة إلى قتل ابن زياد، فقد ذكرت أمور لامتناع مسلم عن القيام بذلك:

١. الناحية الأخلاقية والشرعية: فإنه قد ذكر حديثا عن رسول الله ﷺ أن (الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مسلم)[2]، وفي هذا تعليم هام لجميع المسلمين أن لا

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٨:.. فدعا مولى له يقال له سرجون وكان يستشيره فأخبره الخبر فقال له: أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا؟ قال: نعم ! قال: فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولها إياه ! وكان يزيد عليه ساخطا وكان همّ بعزله عن البصرة فكتب إليه برضائه وإنه قد ولاّه الكوفة مع البصرة وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده. قال فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام حتى نزل القصر..

(٢) قد روي هذا الحديث في كثير من مصادر الفريقين بهذا اللفظ في مناسبات مختلفة: ففي المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٨ ص ٦٤٤: قال: جاء رجل إلى الزبير أيام الجمل، فقال: أقتل لك علياً، قال: وكيف؟ قال: آتيه فأخبره أني معه ثم أفتك به، فقال الزبير: لا، سمعت رسول الله (ص) يقول:

يتجاوزوا في صراعاتهم للقواعد الشرعية، فلأن يكون هدفك شريفاً وسامياً يتطلب منك وسيلة وأسلوباً متناسباً مع ذلك الهدف.. ولا تبرر أهمية الهدف استخدام الوسائل السيئة، وهذا ما عرف اليوم بأن الغاية أي الهدف الجيد لا تبرر الوسيلة (السيئة).

وهذا ما عُرف به أهل البيت ﷺ في طريقتهم في العمل، وفي طليعتهم أمير المؤمنين ﵇، فهو لا يغدر ولا يفجر، وإن انتهى حفاظه على القيم إلى أن ينهزم في الظاهر، ويفوز عدوه الذي لا يلتزم بأخلاق في صراع فهو لا يطلب النصر بالجور والغدر (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة. ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة..) [1] وربما يفوز هذا الثاني لفترة مؤقتة ولكن النصر النهائي هو لصاحب المنهج الأخلاقي.

وربما تقول: إذاً كيف أمر هاني (أو شريك) بذلك وهو أيضاً من شيعة أهل البيت ﷺ ومن كبارهم؟ والجواب على ذلك: هو أن (هاني) قد نفى أن ينطبق ذلك الحديث عليه، فقال: إنما الممنوع هو الفتك بالمسلم بينما ابن زياد في نظره ليس

(الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن). وفي مسند أحمد إن معاوية دخل على عائشة فقالت له: أما خفت أن أقعد لك رجلاً يقتلك؟ فقال: ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول. يعني: الإيمان قيد الفتك.. وفي مسند الشاميين للطبراني ج ٣ ص ٣٥٠:عن عمرو بن الحمق، عن النبي (ص) قال: (الإيمان قيد الفتك، من أمن رجلاً على دمه فقتل فأنا من القاتل برئ وإن كان المقتول كافرا). وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٦٤:عن أبي الصباح الكناني: قلت لأبي عبد الله: ان لنا جاراً من همدان يقال له الجعد بن عبد الله يسب أمير المؤمنين أفتأذن لي أن أقتله؟ قال: ان الإسلام قيد الفتك.. والعجيب أن معاوية الذي يروي الحديث المتقدم وأنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ مارس سياسة الفتك والقتل غيلة كما لم يمارسها أحد قبله، إلى أن كان يفتخر بقوله (إن لله جنوداً من عسل) !! وعلى هذا النهج سار ابنه يزيد فقد أرسل كما تقول بعض الروايات التاريخية ثلاثين رجلا، وأمرهم بقتل الحسين غيلة في مكة، ولو كان في البيت الحرام.

(١) نهج البلاغة ٢/ ١٨٠

بمسلم بل كافر فاجر.. وسيأتي بعد هذا ذكر ما نقله التاريخ عن الواقعة.

٢. كراهية هاني بن عروة أن يتم ذلك الأمر في بيته، فإنه بحسب منطق صفات رؤساء القبائل وهاني بن عروة واحد منهم، لم يكن يريد أن يعرف عنه وعن قبيلته أنه يغدرون بمن يأتيهم، حتى لو فرض أن هناك استثناء في مسألة الفتك، ولقد لاحظ مسلم بن عقيل هذه الرغبة، فلم يشأ أن يتم هذا العمل في بيته مع كراهيته. فقد نقل أبو مخنف حادثتين أعرب فيهما هاني عن كراهية قتله في بيته.. فقد قال ابو مخنف أنه:

...مرض هاني بن عروة فجاء عبيد الله عائدا له، فقال له عمارة بن عبيد السلولي: انما كيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله منه فاقتله، قال هاني: ما أحب أن يقتل في داري. فخرج فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء (وكان شديد التشيع) فأرسل إليه عبيد الله إني رائح إليك العشية.

فقال لمسلم: ان هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فان برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها !.

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك،فقام مسلم بن عقيل ليدخل وقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس، فقام هاني بن عروة إليه فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري كأنه استقبح ذلك، فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس فسأل شريكاً عن وجعه وقال: ما الذي تجد ومتى اشتكيت؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى أن الآخر لا يخرج خشي أن يفوته فأخذ يقول:

ما تنظرون بسلمى أن تحيوها؟ أسقنيها وان كانت فيها نفسي !! فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله ولا يفطن: ما شأنه؟ أترونه يهجر؟

فقال له هاني: نعم أصلحك الله ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه. ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

فقال: خصلتان أما إحداهما فكراهة هاني أن يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي ﷺ: إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن !، فقال هاني: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً...ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثا ثم مات. (١)

س: مقالة الحسين للحر الرياحي: ثكلتك أمك.. هل تناسب مقام الإمامة؟

الجواب: أصل الحادثة كما نقلها المؤرخون جرت لما التقى الحر بن يزيد الرياحي مع الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء. فقد نقل الطبري في تأريخه، أنهما لما التقيا وأقيمت صلاة الظهر، قام الإمام الحسين عليه السلام خطيبا فقال:

أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولايته هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به على رسلكم انصرفت عنكم !.

فقال له الحر بن يزيد: إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر!

فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي ! فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم فقال الحر: فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٧١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ٣٢.. لا يخفى أن هذا الكتاب المطبوع مأخوذ من تأريخ الطبري وقد سبقت الإشارة إلى هذا، وقد طُبع كتاب باسم مقتل أبي مخنف يقول المحققون أنه موضوع.

ابن زياد !

فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك! ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك ما تريد؟

قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه[١].. انتهى ما نقله الطبري.

والثكل يعني فقد الولد.

ويبدو أن قسما من الكلمات تتأثر في معناها المتبادر إلى الذهن العام بالزمان، فقد يكون لفظ عندنا اليوم مستنكرا بينما هو في زمان آخر، ليس بتلك الصورة من الاستنكار. ومن ذلك الكلمة المذكورة، أو قولهم قاتله الله فإنها اليوم كلمات مستنكرة بينما لم تكن كذلك في الزمن السابق، وإلى ذلك أشار ابن الأثير في كتابه النهاية فقال: يجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء، كقولهم تربت يداك، وقاتلك الله.

ونحن نلتقي في سيرة النبي ﷺ، مع أصحابه بهذه الكلمات كما نقل عنه في روايات الجمهور ففي مسند أبي داود الطيالسي روي عن رسول في حديثه مع معاذ:...فقال: يا رسول الله قولك أولا أدلك على أملك ذلك كله؟ فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى لسانه. فقلت يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نتكلم بألسنتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٣

بل نجد بعضهم يدعو على نفسه بذلك، كما نقل ابن قتيبة في غريب الحديث أن عمر بن الخطاب سار مع رسول الله ليلا فسأله عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ! فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا لا يجيبك (أي ألححت عليه).

ونقل الكوفي في مناقب أمير المؤمنين ﷺ كلام حذيفة مع أحدهم عندما استعلم عن فضائل أمير المؤمنين ﷺ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد ﷺ وسلم في كفة الميزان من يوم بعث الله محمدا إلى يوم الناس هذا ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم !

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد !

فقال حذيفة: وكيف لا يحتمل هذا يا ملكعان (لُكع) أين كان أبو بكر وعمر و حذيفة ثكلتك أمك - وجميع أصحاب محمد؟ يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة.

بل نجد أمير المؤمنين ﷺ يتحدث عن أخيه عقيل، فيقول له ذلك كما في نهج البلاغة:

(.. وعاودني مؤكدا. وكرر علي القول مرددا، فاصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده مفارقا طريقتي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبربها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبه وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى..)

هذه الشواهد وهي غيض من فيض تشير إلى أن هذه الكلمة في ذلك الوقت لم

تكن تعطي المعنى الذي يتبادر إلى الذهن اليوم.

بل حتى لو فرضنا أن هذه الكلمات كانت تعني الدعاء الجدي والحقيقي على الطرف المقابل بأن تثكله أمه، وأن يموت، فلا مانع من الالتزام بها في مورد مخاطبة الإمام الحسين ﷺ مع الحر الرياحي، فإن الحر ـ إلى ذلك الوقت كان باغياً على إمام زمانه، ومضيقا عليه مسيره، وحاجزاً له عن حرية الانتقال، بل قادماً لاعتقاله بالقوة ! وهذا يعني إعلان الحرب عليه، ولو قتل في تلك الحال لكان مصيره إلى النار دون ريب، وكان حينئذ على من يناصر الحسين ﷺ أن يشهر سيفه في وجه الحر ويقاتله ويقتله لو استمر.. فلا مانع من الالتزام بهذا المعنى.

س: هل كان الحسين ﷺ يعلم بمقتله أم لا؟ والأمر نفسه بالنسبة إلى أمير المؤمنين ﷺ، فإن كان يعلم فهو إلقاء بالنفس في التهلكة، وإن كان لا يعلم فكيف يمكن تفسير ما يذكر على المنابر من أقوال تفيد علمهما بمقتلهما؟

الجواب: بالرغم من أن هذا البحث طويل الذيل، وفيه بعض الجوانب التخصصية، إلا أننا سوف نسعى بمقدار ما يمكن لتبسيط الجواب، وذكر أهم أجوبة العلماء في المسألة ثم نركز على الجواب الأسلم بينها:

فقد سئل الشيخ المفيد[1] رضوان الله عليه عن ذلك وأجاب بما يلي:

١. إن إجماع الشيعة قائم على علم الإمام بالحكم في كل ما يكون، دون أن يكون علماً بأعيان ما يحدث تفصيلا (أي أن إجماع الشيعة منعقد على علمهم التفصيلي بالأحكام ولا إجماع على ذلك في المواضيع)، ولا نمنع علمه بذلك بإعلام الله له.

٢. علم الإمام بقاتله وعلمه بأنه مقتول لا شك فيه، وأما علمه بوقت قتله فلم

---

(١) الشيخ محمد بن النعمان العكبري، المعروف بالشيخ المفيد،

يثبت بأثر (أو خبر تام).

٣. لو أتى عليه أثر لم يكن مشكلاً حيث لا نمنع أن يتعبده الله بالصبر والاستسلام ليبلغ من المرتبة ما لا يبلغه إلا به[1].

وأما جواب الشيخ الطبرسي: إن فعله يحتمل وجهين أحدهما: إنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله « ﷺ وسلم » والآخر: إنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبرا، كما فعل بابن عمه مسلم، فكان القتل مع عز النفس والجهاد، أهون عليه.

أما العلامة المجلسي[2] فقد نقل جواب العلامة الحلي[3] رضوان الله عليهما من المسائل المهنائية فقال في جواب عن مقتل أمير المؤمنين ﵇ (ويلاحظ أن كلا جوابيه ينتهيان إلى أجوبة الشيخ المفيد):

- بأنه يحتمل أن يكون ﵇ اخبر بوقوع القتل في تلك الليلة، ولم يعلم في أي وقت من تلك الليلة أو أي مكان يقتل. (وهذا الجواب هو نفس جواب الشيخ المفيد في أنه لا يعلم على نحو التفصيل بلحظة المقتل).

---

(١) المسائل العكبرية ٧١

(٢) الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المجلسي الإصفهاني (١٣٠٧/ ١١١٠هـ) شيخ المحدثين، عالم حاز الرئاسة الدينية والدنيوية في أصفهان، وتتلمذ عليه كما قال السيد الجزائري نحو من ألف تلميذ أصبحوا فيما بعد من أعيان الطائفة، وله الكثير من الكتب عمدتها (بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار)، وقد طبع في مائة وعشرة مجلدات، وله أيضاً (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) (شرح الكافي) وله (ملاذ الأخيار في شرح التهذيب)، وعدد كبير من الكتب الأخرى باللغة العربية والفارسية.

(٣) الشيخ الحسن بن يوسف (ابن المطهر) الحلي ٦٤٨ - ٧٢٦ هـ المعروف بالعلامة من تلامذة خاله المحقق الحلي صاحب الشرائع والسيد علي بن طاووس الحسني، له عدد كبير من المؤلفات (١٠١ عنوانا) في الفقه والأصول والكلام والتفسير والمعقول والرجال. كما كان له الدور الأكبر في تحول إيران إلى مذهب أهل البيت ﵈ في قصة معروفة.

- وأن تكليفه ﷺ مغاير لتكليفنا، فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة في ذات الله تعالى، كما يجب على المجاهد الثبات، وإن كان ثباته يفضي إلى القتل [١].

لكن الذي يظهر من السيد المرتضى[٢] رحمه الله أن الحسين ﷺ ربما كان يشاهد لوائح النصر وعلامات النجاح في الثورة، وهذا الذي دفعه إلى التحرك والإقدام. فقال:

قد علمنا أن الإمام متى غلب في ظنه يصل إلى حقه والقيام بما فوض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وان كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها تحملها، وسيدنا أبو عبد الله ﷺ لم يسر طالبا للكوفة إلا بعد توثق من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه ﷺ طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين.[٣].

ثم قال ما حاصله: إن الأمور قد سارت فيما بعد على خلاف هذا الظن، وأن الاتفاق السيء قد عكس هذا الأمر وقلبه حتى تم فيه ما تم. ثم صار بين أن يكون آخر أمره إلى الذل وربما صار مع ذلك إلى القتل من قبل عبيد الله بن زياد، وبين أن يلجأ إلى المحاربة والمدافعة، فاختار الشهادة والسعادة..

أقول: هذا الذي ذكره رضوان الله عليه يشم منه عدم علم الإمام ﷺ بمصرعه،

---

(١) بحار الانوار ٤٢/ ٢٥٩

(٢) علم الهدى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥ - ٤٣٦هـ) قال فيه السيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة: «كان الشريف المرتضى أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابةً وجاهاً وكرماً إلى غير ذلك... له تصانيف كثيرة، منها (الغرر والدرر) يعرف بأمالي المرتضى، و(الشهاب في الشيب والشباب) و(الشافي في الإمامة) و(تنزيه الأنبياء) و(الانتصار) فقه، و(المسائل الناصرية) فقه، و(تفسير القصيدة المذهبة) شرح قصيدة للسيد الحميري، و(إنقاذ البشر من الجبر والقدر) و(الرسائل) و(طيف الخيال) مقدمة في الأصول الاعتقادية (ورقتان)، و(أوصاف البروق) و(ديوان شعر) يقال: إن فيه عشرين ألف بيت».

(٣) تنزيه الأنبياء ٢٢٧

وهو خلاف ما يذكره التاريخ، والروايات، ولذا فقد رد السيد محسن الأمين رحمه الله في كتابه لواعج الأشجان بنحو مفصل ذاكرا الشواهد التاريخية على علم الإمام بمصرعه من كلمات الإمام وغيرها فقال:

ومما يدل على أن الحسين ﷺ كان موطناً نفسه على القتل وظاناً أو عالماً في بعض الحالات بأنه يقتل في سفره ذلك:

- خطبته التي خطبها حين عزم على الخروج إلى العراق التي يقول فيها خط الموت على ولد آدم...الخ فان أكثر فقراتها يدل على ذلك.
- ونهي عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام له بمكة عن الخروج وإقامته البرهان على أن ذلك ليس من الرأي بقوله إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه وعدم أخذ الحسين ﷺ بقوله مع اعتذاره إليه واعترافه بنصحه.
- ونهي ابن عباس له أيضاً محتجاً بنحو ذلك من أن الذين دعوه لم يقتلوا أميرهم وينفوا عدوهم ويضبطوا بلادهم.
- وجوابه لمحمد بن الحنفية حين أشار عليه بعدم الخروج إلى العراق فوعده النظر ثم ارتحل في السحر فسأله ابن الحنفية فقال له الحسين ﷺ: أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك فقال يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً!. قال:ما معنى حملك هذه النسوة معك قال إن الله قد شاء أن يراهن سبايا[١].
- وقول ابن عمر له حين نهاه عن الخروج فأبى «إنك مقتول في وجهك هذا» فإنه دال على أن ظاهر الحال كان كذلك وما ظهر لابن عمر ما كان ليخفى على الحسين ﷺ وقول الفرزدق له «قلوب الناس معك وأسيافهم عليك».
- وقول « بشر بن غالب له إني خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية

---

(١) سوف يأتي جواب عن هذه الكلمات فانتظر.

وتصديق الحسين عليه السلام له.

- ونهي عبد الله بن جعفر له وقوله «إني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك» وقول الحسين عليه السلام له: «إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمرني بما أنا ماض له وامتناعه من أن يحدث بتلك الرؤيا» وما رآه في منامه بالثعلبية وقوله لأبي هرة «وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية» وقوله لأصحابه حين جاءه خبر مسلم وهاني وعبد الله بن يقطر «انه قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف» وقول الحسين عليه السلام له ليس يخفى على الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره وقوله عليه السلام «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي» وقوله عليه السلام «وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني».
- وكتابه الذي كتبه إلى بني هاشم حين توجه إلى العراق أما بعد فأنه من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح.. إلى غير ذلك مما يقف عليه المتتبع المتأمل وهذه كلها ما بين صريح أو ظاهر في المطلوب.

ثم إنه نقل ما ذكره السيد ابن طاووس[1] فقال: وإلى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن طاووس عليه الرحمة أيضاً في اللهوف حيث قال:الذي تحققناه أن الحسين عليه السلام كان عالما بما انتهت حاله إليه وكان تكليفه ما اعتمد عليه ثم أورد بعض الأخبار الدالة على ذلك ثم قال لعل بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أن الله لا يتعبد بمثل هذه الحالة ورده بأن الله تعالى تعبد قوما بقتل أنفسهم فقال ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾[2].انتهى كلام

---

(١) السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (٥٨٩/ ٦٦٤هـ) له العديد من الكتب منها (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) أربعة عشر بابا في آداب السفر، و(سعد السعود) و(زوائد الفوائد) و(فرج المهموم) و(الطرائف) و(جمال الأسبوع) و (الملهوف على قتلى الطفوف).

(٢) سورة البقرة: من الآية ٥٤.

السيد الأمين[١].

فتحصّل: أن التوجيه للمسألة بعدم علم الإمام بمصرعه، لا ينسجم مع ما هو المختار والمشهور من علمهم صلوات الله عليهم.

وتوجيهها بعدم وجود أخبار أو آثار أيضاً لا يتفق مع المعروف تاريخيا. فيبقى توجيهه مع فرض العلم بالمصرع. وفيه: إما أن ينفى انطباق عنوان التهلكة عليه، فإن التهلكة بالمعنى الأخروي يعني السير في طريق لا يرضى به الله ومن المعلوم أن الطريق الذي سار عليه الحسين كان في رضا ربه.

بل حتى التهلكة بالمعنى الدنيوي أي فقدان الحياة فهي غير مرفوضة لو ترتب عليها فوائد عظيمة، فلا تعد عند العقلاء ولا عند الشرع خسارة لو كان في مقابلها شيء عظيم، ومن المعلوم عظمة الفوائد التي ترتبت على شهادة الإمام عليه السلام.

بل يقال أنه لا مانع أن يتعبد الله قوما بامتحان أعظم لينالوا من المراتب[٢] ما لا يناله غيرهم فيقدمون على الموت إذا كان ذلك في رضا الله، مع علمهم بأن هذا الطريق ينتهي إلى موتهم، وهذا في أمور الجهاد واضح حيث تجتمع من القرائن لدى الذاهب إلى القتال ما يعلم علما عاديا متعارفا أنه سيقتل. ومع ذلك يذهب، بل هناك حالات يكون غيره يعلم بموته أيضاً فضلا عنه، كما نقل أن الرسول لما وجه المسلمين لمقاتلة الروم في مؤتة، قال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعلى الناس عبد الله بن رواحة.. فعلم المسلمون أنهما يقتلان.

---

(١) الأمين ؛ السيد محسن: لواعج الأشجان ٢٥٧.

(٢) روى الشيخ الصدوق في الأمالي أن الحسين لما غفى على قبر جده، ورآه في المنام قال له النبي صلى الله عليه وآله: إن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة. ونقل الشيخ الطوسي في الأمالي: عن أبي عبد الله وأبي جعفر: إن الله عوض الحسين من قتله بأن جعل الإمامة في ذريته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره.. (وهذا المعنى ورد كثيرا في زيارات الحسين عليه السلام).

وإنها لمنزلة عظيمة أن يعلم الإنسان أنه مقتول في طريق الله ومع ذلك يختار ما عند الله سبحانه.

س: و ألا يُعد ذلك إلقاءا بالنفس في التهلكة؟

الجواب: إنه في البداية ينبغي أن يُعرف معنى التهلكة، ثم يتم على ضوء ذلك تحديد أن العمل الذي قام به الإمام الحسين ﷺ هل يدخل فيها أو لا يدخل؟ أولاً: هذه الكلمة وردت مرة واحدة في القرآن الكريم فقط، وهي في سورة البقرة ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقد ذكر الشيخ الطوسي في التبيان[2] المعاني المتصورة في الآية فقال: قيل في معنى الاية وجوه:

أحدها: قال الحسن، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وهو المروى عن حذيفة، وابن عباس: إن معناها ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بالامتناع من الإنفاق في سبيل الله.

الثاني: ما روي عن البراء ابن عازب، وعبيدة السلماني: لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة.

الثالث: ما قال البلخي، من أن معناها: لا تتقحموا الحرب من غير نكاية في العدو، ولا قدرة على دفاعهم.

والرابع: ما قاله الجبائي لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفس.

ثم قال الشيخ والأولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥

(٢) التبيان ٢/ ١٥٢

أقول: تارة يراد تأويل الآية وتطبيقها على المصاديق المختلفة، فيصح ما ذكر، وغيره كما أن الإمام محمداً الباقر ﷺ قد طبقها على العدول عن ولاية أهل البيت ﷺ، وكل ذلك صحيح، فلا مانع من الجري والانطباق لآية على مصاديق كثيرة، وتارة يراد تفسيرها فيكون الصحيح هو ما ذكر من أنه أنفقوا ولكن لا تهلكوا أنفسكم بكثرة الإنفاق، وإنما يجب أن يكون الإنفاق بنحو الإحسان وهو حد وسط بين الإسراف والكثرة وبين التقتير ومسك اليد، وشاهد ذلك أن طرفي الآية من الصدر والعجز ظاهران في الإنفاق فلا بد أن يكون الوسط وهو (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) كذلك.

وعلى هذا فالمقصود هنا هو التهلكة الدنيوية. بمعنى أن نظام حياتكم ينبغي أن يكون قائما على أساس الاعتدال.

وأما بناء على المعنى الآخر فالمقصود هو التهلكة الأخروية، أي أن لا يحصل منكم عمل ينتهي إلى الهلاك الأخروي وسوء العاقبة عند الله سبحانه، بأن تتركوا ولاية أهل البيت أو تقوموا بالمعاصي، وما شابه.

والمعنى الأول لا يرتبط بقضية الإمام الحسين ﷺ، كما أن المعنى الثاني غير معقول في حقه، فإن معناه أن لا يعمل المرء عملا يؤدي به إلى الهلاك والدخول في نار جهنم فلا بد أن يقوم بعمل ينتهي إلى النجاة و وليس سوى الطاعة، والحسين لم يفعل إلا طاعة الله.وأي طاعة أفضل من أن يقتل المرء في سبيل الله؟

ثم إننا «لو تنزلنا وقلنا بحرمة التهلكة فإنما تصح لو كانت بلا عوض، وأما التهلكة التي يعوض فيها الإنسان بأسمى أنواع العوض والأجر فليست سيئة كما هو الحال في نظر الناس. فالتضحية لأجل الدين وهي هلكة بمعنى الموت ليست قبيحة في نظر العقل..

ورابعا: أنه في الفقه الإسلامي ليست كل تهلكة حراما، بل لو كانت الآية عامة

أو مطلقة فهي مقيدة بما دل على الجهاد بقسميه، و (سيد الشهداء ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله..)، ومثل تسليم المجرم نفسه للقضاء الشرعي ليقام عليه حد الرجم أو الجلد أو القطع»[١].

ولو كان قيامه صلوات الله عليه وشهادته تهلكة، لكانت حركات الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التاريخ الإسلامي كلها تهلكة، ولتم حذف كل أبواب الجهاد وأحاديثه من كتب المسلمين، فإن الجهاد ملازم للموت والهلكة الدنيوية، ولكن فيه الحياة الأخروية الباقية والخالدة.

س: هناك من يقول: لماذا تبكون على الحسين مع أن النبي قد نهى عن البكاء والنياحة؟ إننا نجد أن الشيعة يقومون في موسم محرم بذلك مع أنه غير مشروع؟

الجواب: بالنسبة إلى مسألة البكاء سوف ننقل مع شيء من الترتيب في البداية رأي أحد علماء مدرسة الخلفاء وهو ابن قدامة المقدسي حنبلي المذهب من كتابه المغني[٢] فقد كتب:

(مسألة) قال (والبكاء غير مكروه إذا لم يكن معه ندب ولا نياحة) أما البكاء بمجرده فلا يكره في حال وقال الشافعي يباح إلى أن تخرج الروح. ولنا (في أن البكاء غير مكروه) ما روى أنس قال شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان.

وقبّل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت ورفع رأسه وعيناه

---

(١) الصدر ؛ الشهيد السيد محمد محمد صادق: أضواء على ثورة الحسين.

(٢) المغني لابن قدامة ٢ / ٤١٠

تهراقان.

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وإن عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم لتذرفان..

وانه دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن ابن عوف وأنت يا رسول الله؟ فقال (يا ابن عوف انها رحمة) ثم اتبعها بأخرى فقال (ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) متفق عليهما.

وأما الندب فهو تعداد محاسن الميت وما يلقون بفقده بلفظ النداء لأنه يكون بالواو مكان الياء وربما زيدت فيه الألف والهاء مثل قولهم وارجلاه واجبلاه وانقطاع ظهراه وأشباه هذا. والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب وضرب الخدود والدعاء بالويل والثبور، فقال بعض أصحابنا هو مكروه، ونقل حرب عن أحمد كلاما فيه احتمال إباحة النوح والندب اختاره الخلال وصاحبه لان واثلة بن الاسقع وأبا وائل كانا يستمعان النوح ويبكيان، وقال احمد: إذا ذكرت المرأة مثل ما حكي عن فاطمة في مثل الدعاء لا يكون مثل النوح يعني لا بأس، به وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: يا أبتاه، من ربه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه أجاب ربا دعاه. وروي عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أخذت قبضة من تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوضعتها على عينها ثم قالت:

ماذا على مشتم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصيبة لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

وظاهر الأخبار تدل على تحريم النوح وهذه الأشياء المذكورة لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها في حديث جابر لقول الله تعالى (ولا يعصينك في

معروف) قال أحمد هو النوح. ولعن النبي صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة، وقالت أم عطية: أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح متفق عليه وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية) متفق عليه، ولان ذلك يشبه الظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (إن الميت يعذب في قبره بما يناح عليه) وفي لفظ (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) وروي ذلك عن عمر وابنه والمغيرة، وهي أحاديث متفق عليها. واختلف أهل العلم في معناها فحملها قوم على ظواهرها وقالوا يتصرف في خلقه بما شاء، وأيدوا ذلك بما روى أبو موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه ونحو ذلك إلا وكل الله به ملكين يلهزانه أهكذا كنت؟) قال الترمذي هذا حديث حسن.

وأنكرت عائشة رضي الله عنها حملها على ظاهرها ووافقها ابن عباس، قال ابن عباس: ذكرت ذلك لعائشة فقالت: يرحم الله عمر ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه) ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه) وقالت: حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى) قال ابن عباس عند ذلك والله أضحك وأبكى وذكر ذلك ابن عباس لابن عمر حين روى حديثه فما قال شيئا رواه مسلم.

فتحصل أن استدلالهم على عدم جواز الندب:

١. بما رووه من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. ويعضده ما روي (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه إلا وكل الله به ملكين يلهزانه أهكذا كنت؟

٢. بما ذكروه من لعن النبي النائحة والمستمعة.

٣. وبأنه يشبه التظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله.

ولا يخفى على المتأمل ما فيها، فأما ما ذكر من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقد كفانا مؤونةَ رده، ما قالته عائشة.. وأن معناه غير مقبول من الناحية الإسلامية ومخالف للقرآن فإما أن يكون أحد رواته واهما في النقل أو الاحتمال الآخر وهو تعمد الكذب.. كما أن مقتضاه أن يعذَّب والعياذ بالله مثل الشهيد جعفر بن أبي طالب الطيار لأجل بكاء النبي ﷺ عليه؟؟ أو يعذَّب النبي والعياذ بالله وهو سيد الخلائق ببكاء الصديقة الزهراء ﷺ عليه؟؟

بل يستطيع على هذا شخص من الأحياء أن يزيد في عذاب ميت من أقاربه كان يعاديه بأن ينوح عليه حتى يكثر عذابه، ويزيد.. وهو كما ترى !!

وأما ما ذكر من لعن النائحة لو ثبت فهذا يفسره ما رووه (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول..) ومعناه لو تم صدوره عن النبي أن النياحة بالكذب غير جائز، باعتبار أن الكذب غير جائز سواء كان بنحو النياحة أو الفرح أو الحديث العادي، فهنا لا موضوعية للنياحة وإنما النهي منصب على موضوع الكذب فيها. والشاهد فيه قول الملكين: يلهزانه: أهكذا كنت؟ فإن كانت النياحة والندب بالصدق فلا معنى للهز الملائكة.. لأنه ليس بكذب ! وما ذكر في تفسير الآية (ولا يعصينك في معروف..) قال أحمد هو النوح.. ونقول هو يُحمل على النوح بالباطل والكذب.

وأما أنه يشبه التظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله، فبين هذا وبين النياحة عموم من وجه، أي قد يكون تظلم وسخط بقضاء الله من غير نياحة، وقد تكون نياحة من غير تسخط بقضاء الله، وقد تكون نياحة مع التسخط.. وهنا لا يتم الاستدلال بالمنع إلا في مورد الاجتماع لا عموم النياحة كما هو واضح..

هذا عند أتباع مدرسة الخلفاء، وأما عند أتباع أهل البيت ﷺ فيجوز البكاء

والنياحة على الميت. ويستدل عليه:

- بأصل الإباحة فإنه مع الشك في أن البكاء أو النياحة حرام يأتي أصل الإباحة فضلا عما سيأتي من الأدلة على الجواز بل الاستحباب في بعض الحالات.
- وبسيرة المعصومين ﷺ فإنهم بكوا على أمواتهم ولو بحسب الظاهر عند الناس كيوسف إذ بكى نبي الله يعقوب على يوسف، وواقعا كبكاء باقي المعصومين: فقد بكى النبي ﷺ على إبراهيم ابنه، وعلى أمه عندما زار قبرها فبكى وأبكى، وأمر أن يبكى على حمزة سيد الشهداء بعد واقعة أحد، وأظهر تأسفه على أن حمزة لا بواكي له[1]، فلما رأت نساء الأنصار ذلك كن لا يبكين قتلاهن حتى يبدأن بحمزة، تقول أم سعد: إلى يومنا هذا. وبكى علي أمير المؤمنين عليه السلام على أمه فاطمة بنت أسد، وبكت فاطمة الزهراء على أبيها، وبكى علي والحسنان على الزهراء عليها السلام، وعلي بن الحسين على أبيه الحسين عليه السلام.. وباقي الأئمة على الحسين مما يجده المتتبع لحياتهم صلوات الله عليهم.
- وبسيرة المتشرعة المتصلة والممضاة من قبل المعصومين عليهم السلام، فقد بكت الفاطميات وناحت على الحسين عليه السلام، بمسمع ومرأى من زين العابدين عليه السلام، وأنشدت الرباب الشعر في رثاء الحسين عليه السلام، وهو يسمع. وإنشاد الشعر من قبل الشعراء أمام الأئمة في حق الحسين عليه السلام كثير ويمكن مراجعته في باب ١٠٤ من أبواب المزار في الوسائل.
- وبالروايات وهي كثيرة كما في باب ٨٧ من أبواب الدفن و ٨٨ من كتاب

(١) قال في تاريخ الطبري ٢ / ٢١٠:

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وبنى ظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكي له فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الاشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسائل الشيعة كتاب الطهارة للحر العاملي.

بل ورد أنه لا مانع من البكاء حتى على غير المؤمن من الضُّلال.. إذا كان على وجه الرقة والحزن والأسف على مصيرهم. مما لا يعد تأييدا لطريقتهم كما في باب ٨٩ من الوسائل، وعليه يحمل ما فعله بعض أجلة العلماء مثل الشريف الرضي والمرتضى مع صاحبهما أبي إسحاق الصابي حيث رثاه كل منهما بقصيدة غراء.

نعم قد يعارضه أمور:

- منها ما في دعوى (المبسوط)[١] الإجماع على عدم جواز النياحة، ولكنها كما ذكر الكثير دعوى غير مقبولة وتعجب بعضهم من دعوى الشيخ الاجماع[٢] على المسألة.. نعم لو أراد النياحة المذكورة التي تنتهي إلى الكذب، فلا مانع من ذلك لكن المدعى غيرها.
- ومنها ما في جملة من الأخبار الناهية عن النياحة والجزع ففي رواية جابر عن الامام الباقر ﵇ (.. ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه)[٣] وفي رواية أخرى (النياحة من عمل الجاهلية)[٤] وما ورد من الإيصاء بأن (لا تخمشي علي وجها ولا تشقي علي ثوبا) وقد نقل هذا المضمون عن النبي والحسين ﵉.

والجواب عنها أن الأولى مع ضعف سندها ناظرة إلى النياحة الكاذبة التي

---

(١) المبسوط في فقه الإمامية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هـ)، يقع في ٨ مجلدات، وهو من أوائل الكتب التي فرع فيها الشيخ الطوسي رحمه الله الفروع الكثيرة من غير حاجة إلى الرأي والقياس، وإنما اعتمد على ما ورد من أخبار أهل البيت ورواياتهم ﵈.

(٢) قد ذكروا أن دعوى الشيخ الاجماع في كتبه لا سيما الخلاف، لا يقصد به الاجماع الاصطلاحي بالضرورة.

(٣) الكافي ٣/ ٢٢٢

(٤) وسائل الشيعة ٣ / ٢٧٢

كانت على زمان الجاهلية، والثانية مع إرسالها بأن بين ما ذكر (خمش الوجوه وشق الثياب) وبين النياحة عموما من وجه، والكلام هو في النياحة التي لا يوجد فيها تلك الأمور.

- ومنها حسنة معاوية بن وهب (لجهة أبي محمد الأنصاري فإنه لم يوثق بتوثيق خاص لكن مدحه محمد بن عبد الجبار في رواية في الكافي): كل الجزع والبكاء مكروه إلا الجزع والبكاء على الحسين ﷺ.

فإنها بعمومها تدل على منع الجزع والبكاء مطلقا، ويستثنى من ذلك الجزع والبكاء على الحسين ﷺ، وأما ما عداه فيبقى تحت المنع.. وقد وجهت بتوجيهات مختلفة مثل أن (مكروه) هل هي بمعنى الكراهة الاصطلاحية أو بما يشمل الممنوع؟ أو أن المكروه هو مجموع البكاء والجزع.. أو غيرها، ومحلها في الفقه حيث لا يتسع المقام لبسط الكلام فيه.

أما النياحة والندبة على الإمام الحسين ﷺ فيمكن الاستدلال عليها:

أولا: بما سبق من الأدلة الدالة على جواز البكاء والنياحة على المؤمن فكيف برأس الإيمان وإمام المؤمنين؟

وثانيا: بما ورد من الروايات في خصوص هذا الموضوع: فمنها حسنة معاوية المتقدمة.

ومنها: صحيحة الفضيل بن يسار: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر[١].

وفي هذه الرواية إضافة إلى ذكر الثواب الكثير على البكاء مما يفيد ما هو أكثر من مجرد الجواز بل الاستحباب، يستفاد منها جواز واستحباب ذكر الذاكر للأئمة

(١) قد يستشكل على هذه الرواية وأمثالها من جهات، وسوف نجيب على ما تثيره من أسئلة فيما بعد.

عموما وليس الحسين ﷺ فقط.

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم: عن الباقر: كان علي بن الحسين ﷺ يقول أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خديه بوأه الله بها غرفا يسكنها أحقاباً. وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فيما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بوأه الله مبوأ صدق..

وثالثا: بأن البكاء والنياحة على الحسين ﷺ مما ينطبق عليه عنوان إحياء الدين، وأمر أهل البيت وهو في أدنى درجاته مستحب. فمنها صحيحة الفضيل وقد تقدم شطر منها (تجلسون وتتحدثون؟ قلت نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا(.

هل يختص البكاء والندبة بوقت؟

إن عمومات جواز البكاء والنياحة على المؤمن فضلا عن الحسين ﷺ واستحبابه عليه، لا تختص بوقت دون آخر، نعم لو كانت مجددة للحزن على قريب الميت، وداعية إلى تأثره وتألمه فلا ينبغي ذلك بالنسبة للمؤمن، وأما بالنسبة إلى الإمام الحسين ﷺ، فلما كانت تجديدا للعهد، وداعية للتذكر، وباعثة على الاقتداء والتأسي، كان من المستحب الاستمرار عليها.

إن البكاء على الحسين ﷺ (وسائر المعصومين) له فوائد متعددة:

- فهو من جهة يمثل إعلان موقف انسجام، وانتماء، للحسين ﷺ ولخطه، ومواساة لرسول الله ﷺ، وأهل البيت ﷺ. ولعل فقرة الزيارة المشهورة (لبيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري)[1] فيها إشارة إلى هذا المعنى واستمراره.

(١) إقبال الأعمال / زيارة الحسين ﷺ في نصف شعبان.

- وفي نفس الوقت هو صرخة رفض للطغيان في التاريخ، وتحديد لمسؤولية المنحرفين فيه، وأن تقادم الأيام لا يمحو عبثهم بقيم الدين، وبمصالح الإسلام، ولا يمحو جرائمهم بل يبقى هذا السجل الأسود يلاحقهم بلعنة اللاعنين وأسى المؤمنين على مصائب الطيبين الطاهرين. وفي هذا شيء من الردع للظالمين اللاحقين لكيلا يظنوا أن بإمكانهم أن يفسدوا في الأرض ويهلكوا الحرث والنسل ثم ينسلّون من صفحة الحياة بعد ما ملؤوها ظلما وجورا، من دون أن يعكر صفوَ حياتهم شيءٌ.. كلا.. إن لعنة المؤمنين والذكر السيء المقرون بالاشمئزاز والتنفر ليلاحقانهم في البرزخ إلى يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)[1]..

كما أنه موقف طبيعي للإنسان الطبيعي..

فإن من يقرأ الحوادث التاريخية ويكون سويا، فلا بد أن يتفاعل معها بحسب ما يتطلبه الموقف، والحدث الذي يقرأ عنه، وإلا كان عديم الإحساس، بل لم يُعد من الناس. فإن من يقرا سيرة النبي ﷺ، ولا يتفاعل معها في المواقف المختلفة مستحسنا عمل النبي وسيرته تارة، ومتأسفاً على جحود أعدائه لدعوته أخرى، ومسترقاً خاضعا من مناجاته لربه ثالثة، وحزيناً تغرورق عيناه بالدمع على رحيله مريضاً رابعة.. من لا يكون كذلك لا بد أن يُشك في كونه طبيعياً !! وهذا لا يرتبط بكون القارئ مسلماً بل بكونه إنساناً، فإذا لم تؤثر المواقف الإنسانية النبيلة في عواطفه، فقد خرج عن الحالة الإنسانية السوية.

وإذا تطلع إنسان إلى القضية الحسينية وما جرى في معركة عاشوراء على أبطالها، رجالاً ونساءً وأطفالاً من القتل والذبح والتمثيل والتنكيل، والسبي والإيذاء بكل صوره البشعة.. فلا بد أن يتأثر ويتفاعل معها، ولو لم يحصل له أدنى مقدار من التفاعل فلا بد أن نشكك في إنسانيته وفي كونه سويا على الفطرة البشرية، والخلقة

---

(١) سورة غافر ٧٨

الإلهية.

ولعل هذا ما يشير إليه حديث رسول الله ﷺ في تأبين ابنه إبراهيم (إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن) أي إن القلب السوي لا بد أن يتأثر ويتحرك وأن العين الطبيعية لا بد أن ينعكس عليها تأثر الداخل فتفيض بالدمع، وإلا لما كان هذا الإنسان سوياً.

بل يجد الإنسان أنه يتأثر حتى لحال الحيوان.. فما ظنك بسادة البشر؟ الذين إنما تحركوا في تلك الواقعة إلا بأنبل الدوافع وأطهر الأهداف، وضحوا بأنفسهم وأموالهم وبنيهم وأصحابهم، من أجل حياة الدين وكرامة الإنسان.. قومٌ خيرهم ربهم تشريعا بين البقاء وفي مقابله انهدام الدين واللقاء به باذلين مضحين:

فرأيـــت أن لقـــاء ربـــك بـــاذلا للنفس خير من بقاء ضنين

س: سؤال: لماذا يقام العزاء للحسين كل سنة؟ مع أنه قتل في سبيل الله؟ ولماذا لا يقام العزاء لغيره ممن هو أفضل منه كالرسول؟

أما قتله صلوات الله عليه في سبيل الله فهذا ما لا يستطيع أن ينكره إلا مكابر، وهذا لا يبرر عدم البكاء والحزن عليه، فقد تقدم في جواب سابق استحباب البكاء عليه سلام الله عليه.

وأما كونه في كل سنة فما هو الإشكال فيه؟ لقد ذكرنا أن ما ورد في جواز بل استحباب البكاء عليه ليست محدودة بزمان دون غيره. بل الفوائد المترتبة على المأتم الحسيني، وذكر الإمام الحسين ﵇، من استثارة العزائم في وجه الظالمين، ومن تذكير المؤمنين بمسؤوليتهم تجاه الدين، وما إلى ذلك من فوائد المنبر والمأتم الحسيني (وقد نتطرق إليها في موضع آخر) إن كل ذلك يستوجب أن يكون تجديد العزاء لفوائده بنحو دائم، ولعل هذه الجهات هي التي تدعو أهل البيت ﵈ إلى جعل المنبر والمأتم الحسيني مما ينطبق عليه إحياء الأمر.

وأما أنه لماذا لا يقام ذلك للرسول ويقام للحسين، فلجهات:

- منها أن الحديث عن الحسين ﷺ، إنما يتم باعتباره امتدادا للرسول، وناصرا لشريعته، ومقتبسا من نوره، ولهذا فالحديث عن الحسين حديث عن جده المصطفى صلى الله عليه وعلى آله. بل تشير بعض الروايات ويساعدها الاعتبار على أن الحسين ﷺ كان في وقته بمثابة مجمع خصال النبوة والإمامة، وأن التجسيد الكامل للرسول ﷺ، وأمير المؤمنين، والزهراء والحسن ﷺ كان قد تمحض في الحسين ﷺ. كما تشير إليه رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي التي رواها الشيخ الصدوق في العلل قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) ﷺ: يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشورا يوم مصيبة وغم وحزن وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة، واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين ﷺ، واليوم الذي قتل فيه الحسن بالسم؟

فقال: إن يوم الحسين أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله عز وجل كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي ﷺ بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة، فلما مضى أمير المؤمنين ﷺ كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة [1].

هذا مع العلم أن العزاء على سيد المرسلين وخير الكائنات محمد ﷺ والبكاء عليه، وإقامة ذكره في كل عام في الوسط التابع لأهل البيت ﷺ هو أمر قائم، في

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ / ٣٠٥

مناسبة التحاقه بربه في يوم الثامن والعشرين من شهر صفر. وإنما ينبغي توجيه السؤال لمن لا يقيم ذلك لا بالنسبة للحسين ولا لجده المصطفى !!

س: كيف يمكن تصديق الروايات التي تعد بثواب عظيم لأجل عمل بسيط وهو البكاء وترتب عليه دخول الجنة..

الجواب: هذا الأمر لا يختص بالموضوع الحسيني فإن هناك الكثير من الروايات لسانها ذلك اللسان..

فقد روي عن النبي أنه قال: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة [(١)] وعنه صلى الله عليه أيضاً: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر[(٢)]. ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف وأربع وعشرون ألف حسنة [(٣)]..

ومثلها أيضاً في المجاميع الروائية لأهل البيت ﷺ. ونظرا لكثرتها العظيمة في كتب الفريقين (السنة والشيعة) فلا ينبغي الخوض في أسانيدها على أن ما فيها من الأحاديث المعتبرة شيء ليس بالقليل.. فينبغي أن يكون الجواب عاما هنا وفي سائر المواضع. والجواب قد يمكن تمهيده عبر مقدمات:

١. أن الثواب عند الله سبحانه وتعالى لا حدود له، ومشكلة الإنسان أنه يقيس المعادلات الإلهية بمقاييسه هو وهي مقاييس صغيرة وحقيرة للغاية. وهناك مشكلة أخرى وهي أننا لا نعرف كيفية الارتباط بين الفعل الإنساني والجزاء الإلهي، نعم نعرف أن هناك ارتباطا بينهما ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٣٣

(٢) المصدر ٥ / ١٧٥

(٣) مجمع الزوائد١٠/ ٨٧

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1]..لكن أي عمل هو الأفضل جزاء عند الله، هل هو الأطول زمانا؟ أو الأكثر تكلفة؟ أو الأصدق نية أو غير ذلك؟ فقد نرى في بعض المواقع أن عملاً لا يستغرق سوى وقت قصير ومع ذلك يترتب عليه ذلك الثواب العظيم، وقد نرى عملاً من أعمال الجوانح والقلوب، وهي لا تحتاج إلى بذل جهد ظاهري كبير، أفضل من حيث الثواب من بعض أعمال الجوارح والأعضاء مما يبذل لأجله جهد كبير.. وهكذا. فنحن لا نعرف ذلك إلا من خلال الإخبار الإلهي بواسطة الوحي.

ولذلك يتعجب الإنسان من مثل هذه الروايات لأنها تأتي في سياق خارج مقاييسه، فهو محدود وهي لا حدود لها، وهو بخيل وهي في نهاية الكرم.. ومن جهة أخرى هو لا يستطيع إدراك قيمة هذه الأمور عند الله..

٢. أن هذه الآثار المذكورة هي عادة على نحو الاقتضاء في التأثير وليست بنحو العلية التامة، وإنما تقول أن هذه الآثار تترتب على تلك المقدمات ما لم يمنع مانع من تأثيرها، أو يلغي فاعليتها. وهذا أمر يمكن ملاحظته في الحياة العامة للإنسان فهو يذهب إلى الطبيب ويصف له هذا دواء رافعا للمرض المعين، ولكن ذلك ليس على نحو الحتم والعلية التامة وإنما ذلك الدواء يقتضي أن يرفع المرض وآثاره ما لم يكن هناك مانع عن تأثيره كتناول أدوية مضادة لتأثير الأولى، أو التعرض لمسببات جديدة تزيد من آثار المرض وهكذا..

ولعله إلى هذا يشير ما ورد عن رسول الله ﷺ: من قال سبحان الله غرس الله بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش: إن شجرنا في الجنة لكثير !! قال: نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها وذلك إن الله يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا

---

(١) سورة الزلزلة٧، ٨

الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾[١]. فهذه الآثار تترتب ما لم يأت مانع فيمنعها أو رافع يرفعها.

٣. إنه لا يمكن التمسك بإطلاق هذه الروايات، بل لا بد من حملها على المقيدات، والنظر إلى سائر القرائن..فليس صحيحا أن يقال مثلا: أن من قال كذا دخل الجنة ولو كان في قوله مستهزئاً، أو أن من بكى على الحسين دخل الجنة ولو كان غير مسلم.. الخ.

وإنما ينبغي النظر إلى سائر الروايات والنصوص الإسلامية الأخرى التي تكون بمثابة القرينة على المقصود من هذه الروايات التي بين أيدينا، ويستفاد من سائر الروايات مثلا: أن القائل لهذا الذكر لا بد أن يكون معتقدا به ولو على نحو الإجمال، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٢]. فوصفهم بالكذب مع أن مقولتهم حقيقية، وربما يكون ذلك لأجل الاختلاف بين مقام التلفظ ومقام الاعتقاد.

وهكذا بالنسبة إلى هذه الروايات فإنها ينبغي أن تلاحظ مع سائر الروايات الأخرى التي هي بمثابة القرينة بالنسبة لها، حتى تنتج ما هو الصحيح.

٤. إنه قد ينطبق عنوان ما على فعل من الأفعال، فيكون ذلك الفعل علامة الإيمان ومظهر الدين، وحينئذ فلا ينبغي التعامل مع الفعل باعتبار ذاته وإنما باعتبار ما يرمز إليه ويدل عليه، فإن (شق سنام الناقة في قران الحج أو تعليق نعل في رقبتها) أمر لو نظر إليه في حدود نفس الفعل لم يكن شيئاً مهماً، ولكن حين يكون عنواناً لشعائر الله، لا يجوز لأحد حينئذ إحلاله كما قال

(١) وسائل الشيعة ٧/ ١٨٧

(٢) سورة المنافقون: ١

القرآن ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ﴾[١].
وحين يكون فعل من الأفعال عنواناً لشخصية الإنسان، أو كاشفا عن عمق الإيمان فإنه يثاب بمقدار أهمية المنكشف لا بمقدار قلة الكاشف. إن دمعة ندم واستغفار من مذنب في جوف الليل قد تستوجب من الثواب أضعاف ما يستوجبه مقدار كبير من النوافل والصلوات المستحبة التي تتجاوز تلك الدمعة من حيث وقتها وزمانها. وإن قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بما هو إعلان للإيمان وكفر بالطواغيت يمهد الطريق للمرء للوصول إلى الجنان. ويحقن بواسطته دم القائل ويصون ماله وعرضه، وينقله من الظلمات إلى النور، مع أنه لا يستغرق من حيث الجهد والزمان إلا شيئاً يسيراً، ولكنه يعني الانتقال من عبادة غير الله إلى عبادة الله. فيعطي للقائل جميع حقوق الإنسان المسلم ويساويه بذلك الذي عبد الله منذ صغره وقام بالنوافل..

والبكاء على الإمام الحسين ﷺ بما يمثل من إعلان موقف في الانتماء إلى خط الإمام ﷺ، وإعلان صرخة الاستنكار والعداء لظالميه وقاتليه وبما هو كاشف عن استيعاب خطه المقدس يجعل ترتب ذلك الثواب عليه أمراً طبيعياً.

س: هل أن الذي قتل الحسين هم شيعته؟ فنحن نقرأ في بعض الكتب أن شيعة الحسين في الكوفة هم الذين دعوه ثم خانوه وقتلوه !! فهم الآن يبكون لذلك؟

الجواب: إن تلك الكلمة تشبه الكلمة التي قالها معاوية خداعاً للناس عندما قتل عمار بن ياسر، وكانوا قد عرفوا حديث رسول الله (تقتله الفئة الباغية) فقال معاوية: ما قتلناه إنما قتله من أخرجه[٢]؟! يعني علي بن أبي طالب ﷺ.

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٢

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩:

(.. فدفع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله (بن عمرو بن العاص)؟ قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر. فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث

فإننا لو عرفنا من هم شيعة الحسين ﷺ ومن هم شيعة أعدائه ومن هم قتلته لعرفنا أن هؤلاء لم يكونوا إلا أعداءه؟ إن أهل البيت ﷺ يتحدثون عن شيعتهم فيحددون مواصفاتهم العامة بحيث يصبح فاقد هذه الصفات غير معدود من شيعتهم باختلاف مستويات تخلف هذه الصفات، في درجاتها فقد يسلب أصل الصفة وقد يسلب بعض درجاتها:

- شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً [(١)]
- شيعتي من لم يهِرّ هرير الكلب ولم يطمع طمع الغراب [(٢)]
- شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والأمانة وأهل الزهد والعبادة [(٣)]
- شيعتنا من قدم ما استحسن وأمسك ما استقبح وأظهر الجميل وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلى رحمة الجليل، فذاك منا وإلينا ومعنا حيثما كنا.
- ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله.
- شيعتنا هم الشاحبون الذابلون الناحلون، الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن.
- إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر.
- امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها،

وأنت تدحض في بولك ! أو نحن قتلنا عماراً؟ إنما قتل عماراً من جاء به ! فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به..قال الطبري: فلا أدرى من كان أعجب هو أو هم؟

(١) ميزان الحكمة ٢/ ٩٧٣

(٢) ميزان الحكمة ٢/ ١٢٢٢

(٣) نفس المصدر ٢/ ١٥٣٨

وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها.

- إن شيعتنا من شيعنا واتبع آثارنا واقتدى بأعمالنا.
- إنما شيعتنا يعرفون بخصال شتى: بالسخاء والبذل للإخوان، وبأن يصلوا الخمسين[١] ليلًا ونهاراً.
- لا تذهب بكم المذاهب، فوَ الله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل[٢].

في المقابل نحن نجد أن الإمام الحسين (عليه السلام) وهو العليم بمن يقاتله وصف الجنود الذين كانوا في المعسكر المقابل بأنهم: شيعة آل أبي سفيان. فقد ورد أن الحسين (عليه السلام) لما وقع صريعا وهجم القوم على مخيمه نادى: ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون [٣].

وفي خطابه فيهم في يوم عاشوراء يحدد صفات قاتليه فيقول (فسحقا يا عبيد الأمة، وشُذّاذ الأحزاب ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثام ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، أهؤلاء تعضدون. وعنا تتخاذلون؟ أجل والله الغدر فيكم قديم، وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجاً للناظر وأكلة للغاصب)[٤].

(١) جاءت صفة صلاة الخمسين (أو احدى وخمسين) كصفة من صفات الشيعة، والخمسون هي مجموع ١٧ ركعة واجبة للفرائض الخمس في اليوم. وضعفها ٣٤ صلاة النوافل اليومية، (وعندما تحسب الركعتان من جلوس لنافلة العشاء وهي ركعتان من جلوس بركعة واحدة يقال خمسين وأما أذا حسبت بما هي عدد فتكون احدى وخمسين).

(٢) الأحاديث من نفس المصدر ونفس الجزء.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف ١٤٤

(٤) نفس المصدر

بل إن هذا الأمر كان واضحا لكل الأطراف فهذا عبيد الله بن زياد كان يرى ان النصر قد حصل لشيعة آل أمية، وأن القتل كان من نصيب شيعة الحسين مما يعني أن القتلة كانوا من المعسكر الآخر..فإنه (لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد فقال الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بنى والبة وكان من شيعة علي كرم الله وجهه وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف قال فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين)[1]، وهكذا كانت الحوارات بين المجاهدين الحسينيين والمرتزقة الأمويين تشير إلى أن الطرف المقاتل والمعادي للحسين لم يكن من شيعته وإنما من شيعة غيره فقد تكلم حبيب بن مظاهر وقال لهم: أما والله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه ﷺ وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيرا ! فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت ! فقال له زهير(بن القين): يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية ! فقال: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانيا !!

قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط ولا

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٠

أرسلت إليه رسولاً قط ولا وعدته نصرتي قط ولكن الطريق جمع بيني وبينه فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله..[١].

ولنا أن نتساءل عن قتلة الحسين وأصحابه، فهل كان عمر بن سعد بن ابي وقاص من شيعة الحسين؟ أو أن يزيد بن معاوية كان من شيعة الحسين عليه السلام؟ أو أن عبيد الله بن زياد كان من شيعته؟ وهل كان شمر بن ذي الجوشن من شيعة الحسين؟.

إن مثل هذا الكلام عندما يصدر من كاتب أو مؤرخ فإنه يكون بمثابة اشتراك واضح في الجريمة بحيث يتهم فيها غير الجاني ويبرئ الجاني الحقيقي.

س: * هل كان مجبورا على النهضة؟

الجواب: إن من أصول عقائد أهل البيت عليهم السلام عقيدة الاختيار، وأن الإنسان مسؤول عن عمله بمقدار ما يكون مالكا لقراره ولاختياره. ولهذا يكون محاسبا عليه.. وهم يعتقدون بذلك خلافا لما روجته المدارس الفكرية الأخرى التي تذهب إلى أن الإنسان مجبر على عمله، ومضطر إليه، ولا يعمل شيئا إلا وهو مساق إليه. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه العقيدة الخاطئة التي تمسك بها بعض الناس لتبرير أخطائهم وانحرافاتهم بل وشركهم كما قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٢]. وفي آية أخرى يفضح القرآن الكريم مقاصد أولئك القوم في دعواهم بجبرية عمل الإنسان، وأنه مسير إليه لأن الله يعلم ما سيفعله هؤلاء من عمل ولم يمنعهم، ولهذا يعتبر آمراً

(١) نفس المصدر.

(٢) النحل / ٣٥

لهم، وهم لا يملكون مع أمره أمراً، فيقول بعد أن ينسب الفعل إليهم مما يبين أنه لا أحد صنع عنهم العمل بل هم فعلوه، وهم المسؤولون عنه، ثم يقول أيضاً إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1].

فعقيدة أهل البيت ﷺ وهي القرآن، تنص على أن الإنسان مختار ضمن دائرة علم الله به وأن كل شيء بإذن الله ولكن الله لا يمنع أو يقسر تكويناً وإنما يأمر وينهى تشريعاً وبناء على اختياره ذاك يكون مثاباً ومحاسباً و)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[2].

والامام الحسين ﷺ كآبائه الطاهرين يتحرك ضمن هذه الفلسفة، فهو يقول (إنما خرجت لطلب الإصلاح.. أريد أن آمر بالمعروف..) فهو ينسب هذه الأفعال في الحركة المباركة تلك إلى نفسه وإلى عمله واختياره هذا الطريق. وهذا ما فهمه من رافقه فعلي ابنه الأكبر ﷺ يقول (لا نبالي وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا).

وما ينقل مما ظاهره خلاف ذلك ينبغي أن يفهم في هذا الإطار، ذلك أن الإمام لا يقول هنا في هذه الحادثة شيئا يخالف ما هو عليه من الأصول الثابتة التي يصرح بها في سائر الأماكن.. كقوله مثلا (وخِير لي مصرع أنا لاقيه) مما يتصوره البعض أنه مجبور على ذلك، أو قوله (شاء الله أن يراني قتيلا) أو الرواية القائلة بأن كل واحد من الأئمة كان لديه كتاب ينظر فيه فيعمل بموجبه.. فالأولان من الأقوال معناها أن مصرعي ليس مجهولا علي وإنما يأتي عن اختيار، وخطة إلهية، فلست غافلا عنه

(١) الاعراف ٢٨ـ٣٠

(٢) سورة الشمس: ١٠،٩

كما أنه ليس ناتجا من أشر أو بطر أو شهوة للقتال وإنما هو ضمن التخطيط الإلهي، الذي سأختاره لأني أختار رضا الله وبرغبة مني في الإصلاح فسيكون نتيجة كل ذلك هو أن يراني الله قتيلا. وهناك تفصيل لهذا المعنى في سؤال خاص.

كما أن الرواية المذكورة، لو تمت من ناحية السند [١] تعني أن طريقة عمل كل إمام من الأئمة كانت تختلف عن طريقة الإمام الآخر تبعا لاختلاف الظروف، ولذا كان عليه أن يطيع أمر الله التشريعي في خدمة الدين بهذا النحو المعين في الوصية.

س: سؤال: لماذا اختلف دور الحسين عن دور الحسنC مع قرب المدة وتشابه الظروف؟ وما هو دور الإمام الحسين بعد الصلح؟

لم يختلف دور الإمام الحسين عن أخيه الإمام الحسن ﷺ مع وحدة الظروف الزمانية والمكانية، نعم لما تغيرت الظروف التي عاشها الحسين ﷺ، كان ينبغي أن تتغير لذلك طريقة العمل وهذا ما حصل.

وبيان ذلك: أن الظرف الذي عاش فيه الإمام الحسن إلى ان استشهد، وعاش فيه الإمام الحسين بعد أخيه مدة عشر سنوات تقريبا: فقد استشهد الإمام الحسن ﷺ في سنة ٥٠ للهجرة، ومات معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠ للهجرة واستشهد الإمام الحسين ﷺ في سنة ٦١ للهجرة أيام حكم يزيد بن معاوية.

وقد تميز حكم معاوية سواء أيام الحسن أو الحسين ﷺ بأنه كان يبقي قدر إمكانه الظاهر الإسلامي على الخلافة، والحكومة، فهو يصلي بالناس جماعة، ويأمر بالحج، ولا يصدم جمهور المسلمين بما يخالف معتقداتهم بشكل صريح.. بل إنه قد استأجر جيشا من المرتزقة والاعلاميين الذين يضعون الأحاديث في فضله

---

(١) في أكثر طرقها المفضل بن صالح (أبو جميلة) وهو كما قالوا ضعيف كذاب يضع الحديث كما عن رجال ابن داود، وعن النجاشي في ترجمة جابر بن يزيد أيضاً تضعيفه، وفي بعضها الآخر مجهولون.

باعتباره كاتبا للوحي !! وخالا للمؤمنين[1] !! وفي المقابل كان يسعى للقضاء على الخط الإسلامي الأصيل من الداخل لو تمكن، فهاهو يعلن أنه لا يحب نداء الشهادة بالرسالة لرسول الله ﷺ[2]، كما أنه لو ترك الوصية بأمور فإنه لا يترك الوصية بشتم علي بن أبي طالب[3].

---

(١) قال العلامة الأميني رضوان الله عليه في الغدير ج ١١ ص ٧٥ ما يلي:
قال ابن تيمية في منهاجه ٢: ٢٠٧: طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كلها كذب. وقال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه (سفر السعادة) والعجلوني في كشف الخفاء ص ٤٢٠: باب فضائل معاوية ليس فيه حديث صحيح. وقال العيني في عمدة القاري: فإن قلت: قد ورد في فضله يعني معاوية أحاديث كثيرة. قلت: نعم، ولكن ليس فيها حديث صحيح يصح من طرق الإسناد، نص عليه إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما، فلذلك قال يعني البخاري: (باب ذكر معاوية) ولم يقل: فضيلة ولا منقبة. وقال الشوكاني في (الفوائد المجموعة): اتفق الحفاظ على إنه لم يصح في فضل معاوية حديث.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٢٩: عن الزبير بن بكار في الموفقيات - وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة على ﷺ، والانحراف عنه -: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتما فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتما منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به. إنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمداً رسول الله)، فأي عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك ! لا والله إلا دفناً دفناً. وللتفصيل في هذا الأمر يراجع كتاب الصحيح من سيرة الرسول الأعظم للمحقق العاملي.

(٣) لما ولى معاويةُ المغيرةَ بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ هـ دعاه وقال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تتحمّ ! (إي لاتتجنب) عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم

وكان الإمامان عليهما السلام قد أرادا معالجة الموقف مع معاوية في البداية بالمقاومة العسكرية، إلا أن الظروف لم تساعدهما، نظرا لخذلان الجيش وخيانة بعض زعمائه، فاضطر الإمام الحسن عليه السلام باعتباره الإمام الناطق حينئذ، إلى المهادنة ضمن شروط كثيرة ذكرها من تعرض للحديث عن صلح الإمام الحسن عليه السلام.

وبدأت الحرب في غير الميدان العسكري، وفيها انتصر خط الإمامة والأئمة عليهم السلام، فهم من جهة سعوا إلى بيان الخط الإسلامي الصحيح المتمثل في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولزوم اتباعه والسير عليه، وفي بيان الكارثة التي تترقبها الأمة لو سلمت واستسلمت لبني أمية. وقد فضح الإمام الحسن عليه السلام بشروطه التي لم فرضها على معاوية، فضح الحكم الأموي وأماط الستار عن حقيقة عدائه للإسلام، وأيقظ النائمين آنئذ.. والذين كانوا في وقت من الأوقات يقرنون بين علي عليه السلام وبين معاوية!!

وأيضا كانا يقومان بتجميع شيعة أهل البيت عليهم السلام، وصيانتهم في وقت كانت سياسة معاوية قاضية بإفقارهم وإبعادهم، وإيذائهم وإيجاد المبررات لقتلهم أيضاً.

واستشهد الإمام الحسن عليه السلام قتيلا بسم أموي، بينما استمر الإمام الحسن عليه السلام في نفس الخط السابق القائم على تدعيم وتركيز خط أهل البيت عليهم السلام، من خلال حماية الأتباع ومساعدتهم بما يمكن في تلك الظروف سواء من الناحية المادية أو غيرها أو من خلال نشر الفكر الصحيح، والانتماء لخط أمير المؤمنين عليه السلام ببيان موقعه ومنزلته من النبي، ولزوم اتباعه والاقتداء به. فكم من المناظرات دارت بين معاوية وبين الإمام الحسن عليه السلام، وربما اشترك في بعضها شيعته كابن عباس. ولم تكن المناظرات في ذلك الوقت عند الأئمة ترفا فكريا، أو إظهارا للقدرة والغلبة. وكذلك كان الحسين عليه السلام في ما بعد حيث أنه كان يجمع الناس بمناسبة وبغيرها لكي يذكرها بمناقب أمير المؤمنين ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله. ففي موسم الحج

والاستماع منهم.

في عرفات ومنى يجمع بني هاشم ويقوم خطيبا في الناس ويستنشدهم الله أن أي أحد منهم يعرف منقبة أو فضيلة لأمير المؤمنين فليظهرها على الملأ حتى يعرفوها، ثم يتحدث لهم بما يعرف من فضائل علي، ودوره في خدمة الدين، واجتهاده مع رسول الله وتمثيله الامتداد لخط الرسالة.ولكي يرووا هذه المعاني عنه عندما يرتحلون إلى أوطانهم.

لكن تغيرت الظروف بالكامل مع موت معاوية، وجاء يزيد ضمن عملية انقلاب فاضح حتى على الظاهر الديني الذي كان ربما يتشبث به معاوية أمام الناس، وقد لخص الإمام الحسين ﷺ الموقف في جملة واحدة بقوله (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد) !! والعجيب أن مثل هذه المقالة لم تصدر عن الإمام الحسين ﷺ في زمن معاوية [1] الذي عاصره الإمام الحسين حوالي خمسة وعشرين سنة (خمس مع أبيه وعشر مع أخيه وعشر في زمان إمامته)، لكن أصدرها في حق يزيد بمجرد ولايته تلك على الأمة، فما أن وصل خبر موت معاوية، وولاية يزيد،

(١) وإن كان الإمام الحسين ﷺ قد تبادل مع معاوية رسائل عنيفة منها ما ورد في بعضها كما ذكره الشيخ الطبرسي في الاحتجاج ٢ ص ٢١:

...وقلت فيما تقول انظر نفسك ولدينك ولامة محمد ﷺ، واتق شق عصا هذه الامة، وان تردهم في فتنة، فلا اعرف فتنة اعظم من ولايتك عليها، ولا اعلم نظراً لنفسي وولدي وأمة جدي افضل من جهادك، فان فعلته فهو قربة إلى الله عز وجل، وان تركته فاستغفر الله لذنبي واسأله توفيقي لإرشاد أموري، وقلت فيما تقول إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، وهل رأيك إلا كيد الصالحين منذ خلقت؟! فكدني ما بدا لك إن شئت فاني أرجو أن لا يضرني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، على أنك تكيد فتوقظ عدوك، وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح والإيمان والعهد والميثاق فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، بما به شرفت وعرفت، مخافة امر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل ان يفعلوا، أو ماتوا قبل ان يدركوا، ابشر يا معاوية بقصاص، واستعد للحساب، واعلم أن لله عز وجل كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وليس الله تبارك وتعالى بناسٍ أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى دار الغربة والوحشة وأخذكَ الناس ببيعة ابنك، غلام من الغلمان، يشرب الشراب، ويلعب بالكعاب لا أعلمك إلا قد خسرت نفسك، وشريت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت التقي الورع الحليم.

ودعوة الوليد للحسين إلى البيعة ليزيد حتى قال تلك المقولة التي اختصر بها كل المستقبل، وكان ينظر فيها بنور الله. وهنا:

فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً إلا إذا دمه في كربلا سفكا

س: سؤال: كيف نرد على من قال: إن الحسين اجتهد فأصاب وله أجران ويزيد اجتهد وأخطأ فله أجر؟

الجواب: يُرَد على ذلك بقول الشاعر:

فيـــا مـــوت زر إن الحيـــاة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ومن عجبٍ أن يُجعل الإمام الحسين عليه السلام وهو سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والإمام بنص الرسول في كفة ميزان مع يزيد بن معاوية كيف والمقايسة كما يقول الحسين عليه السلام (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا بدأ الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق..)[1].

وتفصيل الأمر أن يقال:

١. ما هو محل الاجتهاد؟ فهل يستطيع أحد مثلا من المسلمين أن يجتهد في أمر وجود الله؟ أو في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله؟ فلو توصل مثلا إلى أن الله غير موجود، أو أن محمدا ليس بنبي فهل يثاب على اجتهاده هذا الذي أخطأ فيه؟ إن ذلك مما لا يقول به عاقل. وذلك أن للاجتهاد محلا محدودا في الفروع أما في الأصول فلا يمكن الاجتهاد[2].

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد بن طاووس / ١٧

(٢) قال أحمد بن علي الجصاص في كتابه الفصول في الأصول ج ٤ ص ١١:

الاجتهاد: هو بذل المجهود فيما يقصده المجتهد (و) يتحراه، إلا أنه قد اختص في العرف بأحكام الحوادث التي ليس لله تعالى عليها دليل قائم يوصل إلى العلم بالمطلوب منها، لان ما كان لله عز

والحسين ﷺ بنص رسول الله ﷺ، مع أخيه الحسن إمامان قاما أو قعدا وهما سيدا شباب أهل الجنة. وهما من أهل البيت الذي طهروا عن الرجس والدنس، وفيهم ورد ما ورد حتى عاد كونهم على الحق من الضروريات وشبهها عند الفريقين. وللحديث عن ما ورد في مناقبهم وفضائلهم مجال آخر.

فلا يمكن أن يدعي أحد أن أحداً يستطيع أن يجتهد في أمر قتل النبي ﷺ، فيقاتله ثم يقال له إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران. ومثل ذلك قتال أمير المؤمنين ﷺ، والحسين.

٢/ من هو المجتهد.؟ لو فرضنا أن هناك مجالا للاجتهاد وهو الفروع فهل يستطيع كل مسلم أن يجتهد فيها؟ إن الاجتهاد يحتاج إلى طي مراحل مهمة في العلوم الممهدة له حتى يصل المرء إلى مرتبة المجتهد، القادر على فهم أحكام الدين من خلال استنطاق النصوص، ومعرفة القواعد، وأين يزيد بن معاوية من هذا؟ هل يحتمل أحد أن يكون يزيد من هذا القسم؟ لقد قال الحسين ﷺ مبيناً شخصية يزيد ومستواه، واهتماماته عندما خطب معاوية ذاكراً ليزيد أموراً كاذبة يؤهله فيها للخلافة، قام الحسين ﷺ فقال:

هيهات يا معاوية: فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة

وجل (عليه) دليل قائم، لا يسمى الاستدلال في طلبه اجتهادا ألا ترى أن أحداً لا يقول: إن علم التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم من باب الاجتهاد وكذلك ما كان لله تعالى عليه دليل قائم من أحكام الشرع، لا يقال: إنه من باب الاجتهاد، لان الاجتهاد اسم قد اختص في العرف وفي عادة أهل العلم، بما كلف الإنسان فيه غالب ظنه، ومبلغ اجتهاده، دون إصابة المطلوب بعينه، فإذا اجتهد المجتهد، فقد أدى ما كلف، وهو ما أداه إليه غالب ظنه، وعلم التوحيد وما جرى مجراه، مما لله عليه دلائل قائمة كلفنا بها: إصابة الحقيقة، لظهور دلائله، ووضوح آياته

محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبّق لاترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول..)[١].

هذا هو يزيد فهل يتفرغ والحال هذه للاجتهاد؟

إننا نعتقد أن مثل هذه الأفكار هي التي تمهد الارضية لأن يأتي بعض الجهلة من المسلمين لكي يفسّقوا الآخرين ويبدّعوهم، وينسبونهم إلى الجاهلية أو الكفر، ثم يقومون بقتلهم.. ولا يتقون الله في دماء المسلمين ولا أعراضهم ولا أموالهم.. وقد شهد عالمنا الإسلامي في هذه الفترة الأخيرة ما يشيب لهوله ناصية الطفل من الجرائم القائمة على هذا الاساس.. فقتل المسلمين وهو مما ثبت بالضرورة حرمته يصبح ميداناً لاجتهاد أشخاص مثل يزيد، وانتهاك أعراضهم يصبح محلاً لفتوى من ليس له نصيب من العلم بمقدار ما له نصيب من الشهوات والانحراف !!.

ثم إن نفس هذا الكلام غير صحيح حتى على مسلك القوم، فإن مسلكهم هو التصويب لا أقل في بعض الصور بمعنى أن ما أدى إليه نظر المجتهد فهو الحق، كما قال الغزالي: (فإذا صدر الاجتهاد التام من أهله وصادف محله (أي ما يجوز فيه الاجتهاد) كان ما أدى إليه الاجتهاد حقاً وصواباً)[٢]. فإما أن يقال أن يزيد مجتهد واجتهاده صحيح لأن ما أدى إليه نظر المجتهد فهو صحيح، فكيف يكون خطأ؟؟ لكن الحق هو ما عرفت من أن مجال الاجتهاد لا يشمل مثل قتل الحسين عليه السلام، كما أن المجتهد هو شخص خاص قد عرف من العلوم المرتبطة بمسائل الدين ما يؤهله لاستنباط الحكم الشرعي في الواقعة. وهو لا ينطبق على يزيد قطعاً.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ٢٠٨

(٢) المستصفى للغزالي ٣٤٥

س: سؤال: ما هي حقيقة رض جسم الحسين بخيول الأمويين؟ هل يصح أن الخيل قد تراجعت عن رض جسم الحسينE مع أنها لا تمتلك إرادة؟ أو أن الخيول التي تجرأت على رضّه هي خيول الأعوجية؟

الجواب: الثابت تأريخيا أن القوم بعدما قتلوا الحسين عليه السلام وفصلوا رأسه الشريف عن بدنه، قاموا بتنفيذ أمر عبيد الله بن زياد في رسالته الأخيرة لعمر بن سعد يوم التاسع من محرم والتي أمره فيها بنحو صارم أن (.. فازحف إليهم حتى تقتلهم، وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئا، ولكن علي قول: لو قد قتلته فعلت به هذا...). وقد وردت الروايات بأنهم قاموا بذلك العمل، بل ذكرت المصادر التاريخية أسماء أولئك المجرمين الذين قاموا بالعمل المذكور فقد ذكر العلامة المجلسي في بحاره بأنه بعد مقتل الحسين عليه السلام: (نادى عمر ابن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة وهم إسحاق بن حوية الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن الطفيل السنبسي، وعمروبن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خيثمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهانئ بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك، فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا ظهره وصدره. قال: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال اسيد بن مالك أحد العشرة:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر   بكل يعبوب شديد الاسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ فقالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا جناجن صدره فأمر لهم بجائزة يسيرة.[1] ونفس الأمر نقله الطبري عن أبي مخنف.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥

نعم قد يستعظم ذلك من قبل المؤمن ولا يراه ممكنا لقداسة الحسين، وعظمة شأنه عند الله سبحانه وتعالى.. ولكن هذا لا يمنع وقوع أشد أنواع البلاء على أهل الايمان، فإن من الأنبياء من نشروا بالمناشير، ومنهم من مشط بأمشاط الحديد.. وهكذا.

نعم قد ذكر في البحار أن في الكافي رواية تدل على أن الخيول لم ترض صدر الحسين عليه السلام، ولم أعثر على تلك الرواية. ويرى بعضهم أن الخيل العربية لا تدوس على جسد القتيل في الحالات العادية بل تقفز فوقه، فإن صح ذلك وثبتت الرواية فيمكن أن يكون ذلك في أول الأمر، لكن فيما بعد كان من الثابت أنهم قاموا بذلك العمل.

وأما كونها من الخيل الأعوجية لو ثبت ذلك فليس بصفة ذم كما يتبادر إلى الذهن بدواً، وإنما الذم لمن ركب على ظهرها، وأجراها في غير ميدان الطاعة. فإن الأعوجية تعتبر من الخيول القوية والسريعة، بل يعود أصل كثير من الخيول إلى فرس بهذا الاسم كان في الجاهلية. قال ابن منظور في لسان العرب:

وأعوج: فرس سابق رُكب صغيراً فاعوجت قوائمه، والأعوجية منسوبة إليه. قال الأزهري: والخيل الأعوجية منسوبة إلى فحل كان يقال له أعوج، يقال: هذا الحصان من بنات أعوج، وفي حديث أم زرع: ركب أعوجياً أي فرساً منسوباً إلى أعوج، وهو فحل كريم تنسب الخيل الكرام إليه، وأعوج أيضاً: فرس عدي من أيوب، قال الجوهري: أعوج اسم فرس كان لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات وبنات أعوج، قال أبو عبيدة: كان أعوج لكندة، فأخذته بنو سليم في بعض أيامهم فصار إلى بني هلال، وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه، وقال الأصمعي في كتاب الفرس: أعوج كان لبني آكل المرار ثم صار لبني هلال بن عامر.

س: في السيرة: هل تصح قضية الحفيرة التي حفرت لمسلم؟

الجواب: ما وجدت فيما لدي من المصادر التاريخية والروائية شيئاً عن أنهم احتفروا لمسلم حفرة في ميدان المعركة وغطوها بالسعف أو التبن والتراب، ثم انفرجوا عنه حتى هاجمهم فسقط فيها كما يذكر ذلك بعض. والاعتبار أيضاً لا يساعد على وجود شيء من ذلك مع عدم ذكرها في النصوص والمصادر وذلك أن المعركة كانت سريعة بحيث أن جنود عبيد الله بن زياد كانوا قد أقبلوا يتصورون أنهم سيقبضون عليه بسهولة، لكن قتال مسلم بن عقيل بذلك النحو العنيف، ردهم على أعقابهم حتى لقد طلب محمد بن الأشعث المدد من أميره بن زياد. فلا يعتقد والحال هذه أنهم أقدموا على حفر حفرة خصوصا وأن المعركة دارت بين الأزقة والطرقات، وليست في منطقة مكشوفة حتى تتقدم فرقة للقتال، وأخرى للحفر مثلاً، ولذا استعانوا بأن يرموه بالحجارة بل بأطنان القصب المشتعل بالنار من فوق السطوح[١]. والله العالم بحقائق الأمور.

س: سؤال عن وقوف جواد الحسين وسؤاله القوم؟ هل أنه لم يكن يعلم بالأرض؟

نقل الشيخ الشريفي في كتابه كلمات الإمام الحسين عليه السلام ما يلي: وهناك رواية عن أبي مخنف في مقتله باسناده عن الكلبي أنه قال: وساروا جميعا إلى أن أتوا إلى أرض كربلا وذلك في يوم الأربعاء فوقف فرس الحسين عليه السلام من تحته فنزل عنها وركب أخرى فلم ينبعث من تحته خطوة واحدة ولم يزل يركب فرسا بعد فرس حتى ركب سبعه أفراس وهن على هذا الحال فلما رأى الإمام ذلك الامر الغريب. قال: ما يقال لهذا الأرض؟ قالوا: أرض الغاضرية. قال: فهل لها اسم غير هذا. قالوا: تسمى نينوى. قال: هل لها اسم غير هذا قالوا: تسمى بشاطئ الفرات. قال: هل لها اسم غير هذا. قالوا: تسمى كربلا. فتنفس الصعداء قال: (أرض كرب وبلاء، ثم قال: قفوا ولا ترحلوا منها فها هنا والله مناخ ركابنا، وها هنا والله سفك دمائنا،

---

(١) الطبري ٣ / في حوادث سنة ٦٠

وها هنا والله هتك حريمنا، وها هنا والله قتل رجالنا، وها هنا والله ذبح اطفالنا، وها هنا والله تزال قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف لقوله). وقال القندوزي: فساروا جميعا إلى أن انتهوا إلى أرض كربلاء، إذ وقف جواد الحسين، وكلما حثه على المسير لم ينبعث من تحته خطوة واحدة، فقال الإمام (ما يقال لهذه الأرض)؟ قالوا: تسمى كربلا. فقال: (هذه والله أرض كرب وبلا، ها هنا تقتل الرجال وترمل النساء، وها هنا محل قبورنا ومحشرنا، وبهذا أخبرني جدي ﷺ) وفي رواية اخرى قال الإمام عليه السلام: (قفوا ولا تبرحوا، ها هنا والله مناخ ركابنا، وها هنا والله محط رحالنا، وها هنا والله تسفك دمائنا، وها هنا والله يستباح حريمنا، وها هنا والله محل قبورنا، ها هنا والله محشرنا ومنشرنا).

وقد ذكر أصل الحادثة، وأن الحسين عليه السلام قد سأل من أصحابه عن اسم تلك الأرض كل من تعرض لنزوله إلى كربلاء من دون ذكر وقوف الفرس أو تبديله عليه السلام لأفراسه. لكن ذكر وقوف الفرس المحقق السيد المقرم رحمه الله في كتابه (مقتل الحسين).

ووقوف الفرس لو ثبت كما ليس ببعيد، ليس غريبا فإن مثاله في أكثر من موقع قد حصل، فإن الجميع ينقلون عن ناقة النبي ﷺ، أنها كانت (مأمورة) عندما دخل النبي المدينة واختلف المسلمون حيث أن كل قبيلة تريد أن ينزل النبي عليها، فكانوا يأخذون بخطام الناقة، فقال لهم الرسول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. حتى أناخت بمربد ليتيمين من الأنصار قرب بيت أبي أيوب الأنصاري حيث نزل النبي وبنى مسجده هناك. وهكذا عندما جاء النبي ﷺ إلى مكة، فلما وصل الحديبية وقفت ناقته ولم تتحرك، وكان ما كان من صلح الحديبية.

وأما سؤال الحسين عليه السلام لأصحابه، فهو من أجل التأكيد على معنى يريد أن يرتبه على جوابهم، وهذا من وسائل إلفات السامع وجلب نظره، فهو يسأل في البداية لكي ينبه المسؤول على وجود موضوع ثم يرتب عليه الحكم، والنتيجة.. ما اسمها؟ ربما

كان بعض الموجودين خصوصا من أهل الحجاز لا يعرفون تفاصيل تلك المناطق العراقية وأسماءها، فلا بد من تعريفهم من خلال إثارة السؤال لكي يجيب عليه من يعرفها من حيث اسمها، ثم يكمل الإمام ذلك بأن هذه الأرض هي أرض الشهادة.. وأنهم على موعد معها.

س: سؤال: هل ما يحدث الآن للشعب العراقي من مشاكل ومآسٍ هو نتيجة دعوة الإمام الحسين (اللهم فرقهم تفريقا.. ولا ترض الولاة عنهم أبدا..)؟ بل ما حدث على مر التاريخ !

النص كما نقله في معالم المدرستين عن مقتل الخوارزمي:

...فلما رآه الحسين رفع شيبته نحو السماء، وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك محمد (ص) وكنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلونا.

الجواب: أولاً من حيث ورود هذه الكلمات فقد ورد هذا الدعاء المنسوب للحسين عليه السلام في أكثر من مصدر تاريخي فقد ورد في الارشاد للشيخ المفيد، ومثير الأحزان لابن نما الحلي وفي البحار للمجلسي وعوالم العلوم للبحراني ونقله في معالم المدرستين عن مقتل الخوارزمي، ونقله الطبري في تأريخه وأبو مخنف في مقتل الحسين والشيخ الطبرسي في إعلام الورى بأعلام الهدى وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام وكثير غيرهم..

والبحث في كلمات الدعاء يتم من خلال ثلاثة محاور:

الأول: من خلال انسجامها مع الرؤى والثوابت الإسلامية العامة: فإنه من

المعلوم أنه (لا تزر وازرة وزر أخرى) ولا يتحمل اللاحقون مسؤولية ما اختاره السابقون بارادتهم. نعم هناك بعض الآثار الوضعية التي قد تترتب على اللاحق بسوء اختيار السابق، ولكن هذا ليس منها قطعا، وإلا كان قانون (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) متخلفاً وغير كلي، بل يصبح من يعمل مثقال ذرة شراً يراه غيره من اللاحقين، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يضع منه ويخسره على أثر عمل السابقين من أجداد أجداد قبيلته أ وهذا كما ترى لا يمكن الالتزام به، وإلا بطل الثواب والعقاب والمسؤولية الفردية عن العمل.

بل ذلك يخالف عدالة الله سبحانه، واعتقادنا فيه لا سيما الشيعة الإمامية القائلة بأن عدل الله هو أصل من الأصول كما هو المعروف بينهم.

فهل يعقل أن يدعو الإمام الحسين ﵇ على مجموعة من المؤمنين المخلصين في هذا الزمان بسوء الحال وبأن يمنعوا من بركات الأرض وقطر السماء، لأن شخصاً من سلسلتهم النسبية قبل ألف وثلاثمائة وستين[1] قد قام بعمل سيء، وقاتل الحسين ﵇؟ هذا لا يعقل.

ثم إن كون الإنسان مولوداً في منطقة جغرافية معينة أمر ليس باختياره هو حتى يكتسب الذم والاثم والمشاكل المستقبلية، والفقر والظلم، وإنما يكتسب الإنسان تلك الأمور بناء على اختياراته.

ونحن كما نجد ما ظاهره الذم لأهل العراق أو أهل الكوفة، وهو ليس خاصا بالإمام الحسين ﵇ بل نقل عن الإمام أمير المؤمنين كلمات تنتهي إلى هذا المعنى.. فإننا نجد أيضاً كلمات ظاهرها المدح والثناء على أهل تلك المناطق، والاشادة بهم.. ولا يعقل أن يكون هناك تضاد بين كلمات الأئمة ﵈، فيبقى أن يقال أن الذم هو لجهة والمدح لأخرى. وتلك الجهة قد تكون بلحاظ الساكنين فيها في زمان

---

(١) حين كتابة هذه السطور.

فيذمون، فإذا تغيروا وجاء جيل جديد يحتوي على صفات جيدة فإنهم يمدحون فإنه قد ألف أصحابنا كتباً كثيرة في فضل الكوفة، ورووا فيها روايات كثيرة تصف أهلها بأنهم شيعتهم وأنصارهم..الخ.

الثاني: محور النص نفسه فقد فُرض في النص واقعة خارجية وقوم معينون محصورون ضمن موقف اتخذوه، وقد حكم عليهم بحكم هو مفاد الدعاء الذي طلب الحسين فيه من الله سبحانه أن يجعلهم كذلك.

وقد ذكر العلماء فروقا بين القضية الواقعية وبين القضية الخارجية، منها ما يرتبط بالمقام أن القضية الحقيقية لا يتكفل فيها المتكلم بإحراز الواقع وإنما هي قضية فرضية أو شرطية، متى حصلت يترتب عليها الحكم، فإذا قال مثلا: الخمر حرام فهو لا يتكفل بإحراز الموضوع وأن هذا السائل الخارجي خمر أو لا؟ وإنما لو فرض وجود سائل وصدق عليه الخمر في هذا الزمان أو غيره فإنه يكون حراما.

وهذا بخلاف القضية الخارجية فإن المتكلم يحرز الموضوع ويرتب عليه الحكم. مثل علي مع الحق والحق مع علي، فإن النبي ﷺ، عيّن وأحرز الموضوع وهو شخص الإمام عليه السلام ورتب عليه كونه مع الحق، وكون الحق معه.

ومقامنا هو من القسم الثاني، فإن الإمام الحسين عليه السلام، يشير إلى هؤلاء بقوله (اللهم اشهد عليهم.. اللهم فامنعهم قطر السماء وبركات الأرض..). فهو يتحدث عن قوم موجودين أمامه، ويدعو عليهم دون أن يتعرض إلى من سيأتي بعدهم ومن هم في أصلابهم إلى يوم الدين.

بل يزيده وضوحا، أن الإمام عليه السلام قد علل دعاءه عليهم، بصفات خاصة بهم، ولا تتعداهم إلى غيرهم، فقد قال معللاً:.. فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا.. ومثل هاتين الصفتين لا تتحققان في غير القضية التاريخية المحدودة بزمانها.. نعم يمكن أن يأتي في المستقبل ممن هم أسوأ حالاً، أو أمثالهم، ولكن

هذا بحث آخر.

الثالث: المحور التاريخي: أن الكوفة والتي كانت تعرف بكوفة الجند، كانت مجمعاً للقبائل العربية المختلفة فكان منها القحطاني والعدناني وعرب الجنوب والشمال، وسكن فيها أكثر أفراد القبائل العربية، وهناك تكاثروا واستوطنوها. فقد قسمت أسباعاً في كل سبع كانت قبيلة.

ـ ولو نظرنا إلى ألقاب قتلة الحسين ﵇ وأصحابه، لرأينا التنوع بحيث لا يمكن القول بأن الذي قتلوه هم أهل العراق بالمصطلح السياسي الحديث والذي يختلف عما كان يعنيه هذا المصطلح في تلك الفترات. فنحن نجد أن الذي قتل عليا الأكبر بن الإمام الحسين ﵇ هو مرة بن منقذ بن النعمان العبدي، من بني عبد القيس وهذه قبيلة أصولها سكنت في البحرين (والقطيف حاليا) وسكن قسم آخر منها في البصرة فيما بعد أيام أمير المؤمنين، وسكن قسم منها في الكوفة[1].

والذي قتل أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين هو (يزيد بن الرقاد (وقاد) الحيتي، وحكيم بن الطفيل الطائي) كما ورد في الزيارة المنسوبة للإمام الحجة والتي فيها أسماء الشهداء وقتلتهم. والطائي من قبيلة طي عرب الجنوب، وسكنهم في غرب الجزيرة العربية حاليا أي على البحر الأحمر.

والذي قتل عثمان بن أمير المؤمنين، هو خولى بن يزيد الاصبحي الايادي، والاباني الدارمي والأصبحي من عرب الجنوب:اليمن.

والذي قتل السلام على عبد الله بن الحسن بن علي الزكي، لعن الله قاتله ورامية حرملة بن كاهل الأسدي وبنو أسد مكانهم الحجاز وهم من عرب الشمال.

---

(١) قبيلة عبد القيس غلب عليها التشيع منذ البدايات وناصرت أمير المؤمنين، والحسنين وكان عشرة من شهداء كربلاء من العبديين، يراجع كتاب: صفحات من التاريخ السياسي للشيعة، لكاتب هذه السطور.

والذي قتل القاسم بن الحسن هو عمرو بن سعد بن نفيل الازدي والأزديون ليسوا من الكوفة بل من البصرة، ودورهم في حرب الجمل معروف.

والذي قتل محمد بن عبد الله بن جعفر قاتله عامر بن نهشل التميمي والتميميون أصولهم من عرب الشمال: عدنانيون.

والذي شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام بنحو واضح: حرملة بن كاهل الأسدي وخولى بن يزيد الاصبحي، وشمر بن ذي الجوشن الضبابي. ومن ورائهم عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري. وتتنوع قبائل هؤلاء بين قحطانية وعدنانية، ومن حيث مساكنها بين مكة والبصرة والكوفة واليمن. وحرملة وشمر وعمر بن سعد من عرب الشمال وأصولهم في مكة.

في المقابل وجدنا أن عددا كبيرا من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا من العراق والكوفة بحسب هذا الاصطلاح، فلمَ لا يحسب هذا ويحسب ذاك. يقول أحد المحققين إن أكثر أنصار الحسين عليه السلام كانوا من الكوفة.[١]

س: * سؤال: عن بعض الكتب النافعة في السيرة الحسينية؟

الكتب التي كتبت حول الإمام الحسين عليه السلام وثورته كثيرة جدا، وتختلف فيما بينها بحسب طريقة التناول للقضية الحسينية، ولكن على نحو الاجمال يمكن الاشارة إلى بعض هذه الكتب، ولا يعني عدم ذكر غيرها أن غير المذكور ليس مفيدا:

ـ كتاب أضواء على ثورة الحسين عليه السلام للشهيد السيد محمد صادق الصدر (الثاني). ثورة الإمام الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية للشيخ محمد مهدي شمس الدين. وكتابه الآخر أنصار الحسين. والثالث: ثورة الحسين في الوجدان الشعبي. كتاب الشهيد والثورة للسيد هادي المدرسي. حياة الإمام

(١) شمس الدين ؛ محمد مهدي: أنصار الحسين: الرجال والدلالات.

الحسين للشيخ باقر القرشي.

س: سؤال: يقرأ الخطباء جملة (فخرجن من الخدور ناشرات الشعور) فكيف يمكن تفسير ذلك من الناحية الشرعية ولزوم الستر.

ورد أن زينب كانت تخاطب عمر بن سعد والحسين ﷺ صريع على الأرض قبل أن يحتز نحره: أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه.. قال الشيخ المفيد:

، وخرجت أخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص: ويحك يا عمر ! أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء، فنادت: ويحكم أما فيكم مسلم؟! فلم يجبها أحد بشيء)[١].

وأما عن اللفظ المذكور فهو لم يرد بهذا النص إلا في الزيارة المنسوبة للناحية المقدسة، وهي إن قيل بعدم ثبوتها عن المعصوم فلا حجية فيه، وإن قيل بثبوتها من الناحية السندية فيمكن توجيه هذه العبارة بعدة توجيهات:

الأول: أنهن خرجن من خدورهن لا إلى المعركة على هذه الحالة، وإنما بداية خروجهن من الخيمات الخاصة بالنساء إلى فناء المخيم أو الخيمات الأخرى، إذ أن بعض المصادر التاريخية تذكر بأن الإمام الحسين ﷺ يوم التاسع أمر أن تجعل خيام النساء متوسطة في المخيم، بحيث تحيطها باقي الخيمات من الجهات المختلفة، وهذا هو الأمر الطبيعي الذي يقوم به المؤمنون حتى في الأحوال العادية حيث يؤمنون لنسائهم أكبر ما يمكن من حال الستر والحفظ والحماية. فلما جاء جواد الحسين ﷺ وعرفن بعظم المصيبة فمن بما تقوم به كل امرأة ثاكل وفاقد من البكاء ونشر الشعر أي حله وترك الزينة واللطم، وخرجن من خيماتهن إلى خارجها ولكنهن ما زلن في داخل المخيم أولم يخرجن إلى المصرع بهذه الحالة.

(١) الارشاد ٢/ ١١٢

والثاني: بأن خروجهن ربما لا يكون على نحو بحيث تظهر شعورهن للأجانب خصوصا مع ملاحظة بعد المسافة بين مخيم الإمام الحسين وبين موقف الجيش الأموي. فمن المعروف أن المسافة كانت على الأقل بحيث تبتعد فيها المخيمات عن المرمى المباشر للسهام والنبال، وإن كانت ربما يصل بعضها بحسب ما ورد في أحداث اليوم العاشر، أن بعض سهام القوم ونبالهم قد وصلت إلى المخيمات.. وهذه المسافة (وهي كما قيل أن غلوة السهم قرابة مائتين وخمسين مترا) لا تسمح بالرؤية المباشرة.

والذي يلاحظ بقايا الأسماء للمواقع كما هي في مدينة كربلاء يجد هذه المواقع (التل الزينبي) و (محل مقتل الحسين ﷺ) و(المخيم) وفي الجهة الأخرى محل مصرع أبي الفضل العباس قرب شريعة الفرات يجد أن المسافة بين المخيم حيث أن المفروض أنه هو الموقع الحقيقي لخيام الحسين ﷺ وبين مصرع أبي الفضل الذي كان في طريقه إلى المخيم قادما من الفرات بعدما ملأ القربة، يجدها مسافة بعيدة لا تسمح للأعداء بالنظر والاطلاع على أحوال النساء حتى لو فرضنا خروجهن على باب المخيم.

هذا كله بالنظر إلى نفس العبارة، وأما لو فرضنا ما نعرفه من التزام نساء أهل البيت ﷺ بالحجاب والعفاف ومحافظتهن عليه، فإنه يشكل قرينة قطعية على أن المقصود من العبارة على فرض صدورها من المعصوم لا يراد منها معناها الظاهري جزماً..فتقيد بما يناسب ذلك أو ترد ! هذا كله بناء على تمامية نسبة الزيارة للإمام المعصوم ﷺ، وقد تقدم النقاش في هذا الموضوع في الصفحات السابقة، وأما لو لم يكن نصاً من المعصوم فالأمر فيه سهل.

وبالطبع هذا يختلف عما بعد السبي والسلب، فإنهن في تلك الحال كن مسبيات مسلوبات الإرادة، وليس معهن ما يستترن به بعد أخذت منهن تلك الأشياء، وسلبت منهن. وإنما الكلام في ما قبل السبي حيث أن ظاهر العبارة أنهن فعلن ذلك

بارادتهن، وتوجيهه هو ما عرفت.

س: سؤال: كيف يوفق بين قول الحسين: إن الله حاميكن وحافظكن، وبين أخذهن سبايا؟

الجواب: ذكر أن الإمام الحسين عليه السلام، قال في وداعه للنساء: (استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب أعاديكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم)[١].

مع معرفة الغاية من سبي النساء في الزمن السابق يتضح لنا الوجه في كلمة الإمام الحسين عليه السلام على فرض صدورها.. فإن الملاحظ لحالات السبي في الزمان السابق لا سيما بالنسبة للنساء، أن المرأة المسبية كانت تتخذ لأحد أمرين في الغالب: إما الاستمتاع الجنسي أو الخدمة المنزلية، وقد يجتمعان في بعض النساء[٢].

وهذا المعنى هو الذي جعل بعض القبائل العربية قبل الإسلام تقوم بوأد البنات خوفاً من أن يسبين ويتعرضن للانتهاك بالمعنى المتقدم. بل بقي في بعض القبائل آثاره إلى ما بعد الإسلام.

وبناء على هذا فإن ما حصل طيلة فترة السبي التي امتدت لأربعين يوماً، سلكت فيها النساء مدناً وقرى، وصحاري وأماكن بعيدة، ودخلن المجالس، ولم يتعرضن مع توفر الدواعي لأي شيء مما سبق ذكره، بل حتى لما أراد أحد أهل الشام أن

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ الشريفي

(٢) وإليه يشير ما في لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ٤١٠: قول أبي صرد لعيينة بن حصن وقد وقع في سهمته عجوز من سبي هوازن: أخذ عيينة بن حصن منهم عجوزا، فلما رد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، السبايا أبى عيينة أن يردها فقال له أبو صرد: خذها إليك فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا درها بماكد، ولا بطنها بوالد، ولا شعرها بوارد، ولا الطالب لها بواجد.

يطلب واحدة من المسبيات: هب لي هذه الجارية ! قالت له زينب: ما ذلك لك ولا لأميرك.

ولم يقصد من كلام الإمام عليه السلام، أنهن لن يتعرضن للضرب، أو الأسر، فهذا المقدار هو مقوم الأسر وإلا لم يكونوا قد أخذوهن لأجل أن يتفرجن ويتنزهن.

وبالفعل فقد حفظهن خالقهن كما سبق، وحماهن، وجعل عاقبة أمرهن إلى خير كما يلاحظ كل ناظر إلى النتائج التي ترتبت على ذلك السبي، من نصر الدين وإعلاء كلمة الله، وافتضاح أمر الظالمين، وانقلاب الأمر عليهم.

س: أين قبر السيدة زينب عليها السلام؟

الجواب: حيث أن أخانا العلامة الشيخ الصفار قد تحدث في هذا الموضوع في كتابه المطبوع والمسمى بـ (المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب) وجمع فيه أطراف الموضوع فأوعى، لذلك سوف ننقل ما ذكره هناك حيث نراه موافقا للمختار، وننقله مع شيء من الاختصار فقد كتب تحت عنوان:

شيء من التحقيق

لقد بذل العديد من العلماء والباحثين جهودهم، وخاضوا غمار البحث والتحقيق، لمحاكمة الروايات والنقول التاريخية حول قبر السيدة زينب الكبرى. والأراء التي ناقشها العلماء والباحثون تنحصر في ثلاثة احتمالات:

١ المدينة المنورة.

٢ مصر.

٣ دمشق.

أولاً المدينة المنورة

دافع العلامة السيد محسن الأمين العاملي عن هذا الرأي باعتبار أن المدينة هي موطن السيدة زينب وأن من الثابت عودتها الى المدينة بعد واقعة كربلاء، فاستصحاباً نحكم بأن وفاتها وقبرها في المدينة المنورة مالم يثبت العكس، وقال نصه:

يجب ان يكون قبرها في المدينة المنورة فانه لم يثبت أنها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها، وان كان تاريخ وفاتها ومحل قبرها بالمدينة مجهولين، ويجب أن يكون قبرها بالبقيع وكم من أهل البيت أمثالها من جهل محل قبره وتاريخ وفاته خصوصاً النساء.

وناقش هذا القول البحاثة الشيخ محمد حسنين السابقي بما يلي: نحن لا ننكر أن يكون مدفنها الطاهر في البقيع في المدينة المنورة إذ هي وطنها الكريم وبها قبور إخوتها وشيوخ قومها وجدها وأمها ولكن بشرط أن يقوم عليه دليل قاطع أو نصٍ تاريخي.

لأن قبور البقيع ذكرها المؤرخون قديماً وحديثاً يذكرها ابن النجار في (تاريخه)، والسمهودي في تاريخه الحافل (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) في باب مخصوص لذكر مزارات أهل البيت والصحابة ولا نجد فيها قبر العقيلة زينب لا في القبور المعمورة ولا المطموسة.

ولكان لمرقدها ذكر ولو في القرون الأولى كما بقي لمن دونها في الرتبة من بني هاشم بل ولمن يمت اليهم بالولاء أيضاً.

على أن الذين ذهبوا الى هذا القول انما مستندهم الإستصحاب الأصولي وهو أنه ثبت أن العقيلة زينب دخلت المدينة بعد محنة أخيها ورجوعها من الشام وكانت بالمدينة في قيد الحياة ثم شككنا هل ماتت في الشام أم لا؟ فالاستصحاب يقول: الأصل عدم موتها بالشام بل بالمدينة حتى يحصل لنا شيء يزيل هذا الشك ويثبت

لنا باليقين أنها ماتت بالشام.

وهذا الدليل لا غبار عليه في نفسه ولكن لا يستدل بمثله في القضايا التاريخية، ولو قلنا به فثبت ما أزال هذا الشك بما رواه ابن طولون الدمشقي من ذهابها الى الشام وموتها بها وعليه أكثر الفقهاء المجتهدين الأصوليين.

ثانياً: بين القاهرة ودمشق

وإذا لم يكن هناك أثر نقلي يتحدّث عن قبر للسيدة زينب الكبرى في المدينة المنورة ولا يوجد مقام ظاهر ينسب لها هناك، فإنّ الأمر ليس كذلك فيما يرتبط بمصر والشام، حيث توجد روايات ونصوص تاريخية يستدلّ بها أنصار كلّ من الرأيين، كما يتعالى في سماء القاهرة ودمشق مقامان شامخان ينسبان للسيدة زينب، وتؤمّهما جماهير المؤمنين ويقصدهما الزائرون.

لكنّ المطالعة الدقيقة والبحث الموضوعي في أدلّة الطرفين يرجّح كفّة الأطمئنان إلى أنّ مشهد الراوية في دمشق هو الأقرب إلى الصحّة والواقع.

وذلك لتظافر الأدّلة في كتب المؤرخين والرحّالة والسّائحين منذ القرون السابقة وإلى الآن.

ولضعف مستند القائلين بسفر السيدة زينب الكبرى إلى مصر وموتها فيها، وللإحتمال الكبير في أن يكون المقام في مصر لزينب أخرى من أهل البيت.

وقد أفرد بعض العلماء كتباً ورسائل لتحقيق هذا الموضوع، ومن أبرزهم العلامة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي (١٣٢١ هـ) والذي ألّف رسالة تحت عنوان (المرقد الزينبي) سنة (١٣٧٧ هـ) وطبعها في النجف الأشرف العراق) وكانت نتيجة البحث التي انتهى إليها في رسالته هو ترجيح المقام الزينبي في مشق، وأنّه للسيدة زينب الكبرى.

والبحث الآخر والأعمق هو للبحّاثة الباكستاني الشيخ محمد حسنين السّابقي، ويقع في أكثر من (٢٤٠ صفحة) وقد طبع في بيروت سنة (١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م).

ونقتبس منه الفقرات التالية بشيء من التصرّف والاختصار إنّ رحلة السيدة العقلية إلى مصر واقامتها هناك وتلبيتها لداعي حماها وحديث مدفنها بها قضية من أهمّ القضايا التي لا يفوت ذكرها كلّ مؤرخ يقظان.

ولا أقلّ من أن يذكره والمؤرّخين الذين نشأوا في مصر ولكنهم بأجمعهم لم يشيروا اليه أدنى اشارة.

وتتجلى هذه الحقيقة بعدما نرى اهتمام المصريين باحاطة الأخبار وضبط الحوادث المتعلقة ببلادهم.

فأول مدوّن لتاريخ مصر في الإسلام هو عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري المتوفى (٢٥٧ هـ) له في تاريخ مصر كتاب حافل سماه « منهج السالك في أخبار مصر والقرى والممالك » ذكر فيه تراجم كثير من الصحابة ممن دخل مصر.

وتبعه أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي المتوفى (٣٥٤ هـ) وله عدة تأليفات في تاريخ مصر.

ثم برع في تدوين أخبار مصر والأحاطة بحوادثها أبو محمد حسن بن إبراهيم بن ذولاق الليثي المصري المتوفى (٣٨٧ هـ).

ثم تلاه في هذا الموضوع عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني المسبحي المتوفى سنة (٤٢٠ هـ).

ثم المؤرخ المتتبع القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي المتوفى (٤٥٣ هـ) ولم يقصر همه على ضبط الحوادث التاريخية فقط بل ألف في المزارات المقصودة للزيارة والتبرك التي تشد اليها الرحال وله في هذا الموضوع

كتاب (أنس الزائرين) ترجم فيه للسيدة نفيسة وعين مدفنها وليس فيه لقبر زينب الكبرى عين ولا أثر.

ثم اعطف الى المقريزي والسيوطي والقلقشندي وغيرهم لم نجد أحداً من هؤلاء أنه ذكر دخول السيدة زينب الكبرى في مصر ومدفنها بها.

على أن هناك جماعة من مؤرخي مصر ممن أفرد تأليفه في تحقيق المزارات والقبور والمساجد كابن يونس والهتناني والقرشي صاحب (المزارات المصرية) وابن سعد النسابة صاحب (مزارات الأشراف) وابن عطايا والحموي الذي ذكر جملة من مزارات مصر، وموفق الدين صاحب (مرشد الزوّار) ترى هؤلاء الإعلام يترجمون أصحاب القبور ويميزون بين المزارات الصحيحة والمزورة من العلويين وغيرهم في مصر.

ولم يذكر أحد من هؤلاء أن العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين مدفونة في مصر.

إن كبار المؤرخين المطلعين على تاريخ مصر بدقة وتحقيق لم يصح لديهم دخول أي ولد لأمير المؤمنين لصلبه في مصر.

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى (٥٧٦ هـ): لم يمت له أي لعلي ولد لصلبه في مصر.

قال الحافظ المؤرخ أبو محمد حسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي المصري المتوفى (٣٨٧ هـ): أول من دخل مصر من ولد علي سكينة بنت علي بن الحسين. وبه قال السخاوي. وفي لفظ آخر للسخاوي: إن المنقول عن السلف انه لم يمت أحد من أولاد علي لصلبه في مصر.

فكيف من المعقول ان تدخل العقيلة زينب مصر وتقيم هناك زهاء السنة ثم تقبر

على مرأى من المحاشد الجمة ومسمع، ولا يعرف أمرها أحد من المؤرخين الذين عهدهم قريب بتلك الحادثة المهمة.

والإمام الشافعي كان يتجاهر بالولاء لأهل البيت، وقد ورد في سيرته أنه كان يزور السيدة نفيسة لكن لم يرد أنه زار السيدة زينب هناك.

كما دخل مصر جملة من الرحالين كابن جبير وابن بطوطة وابن شاهين وذكروا ما شاهدوا من القبور المعروفة المقصودة للزيارة في عهدهم ولكن لا تجد أحداً منهم يذكر قبر السيدة زينب الكبرى في مصر.. اللهم الا الرحالة الكوهيني الفاسي الاندلسي الذي دخل القاهرة في (١٤ محرم ٣٦٩ هـ).

إن الاشتباه بوجود قبر العقيلة زينب نشأ لتعدد المسميات بزينب من العلويات وغيرهم المدفونات بمصر، والذهن أسرع تبادراً عند سماع الإسم الى أشهر الأفراد وأكملها.

ومن المعلوم أن عادة العامة والخاصة جرت أنهم ينسبون العلويين الى رسول الله وأمير المؤمنين بلا واسطة.

والظاهر أن المشهد الزينبي المعروف في القاهرة هو للسيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

والمصدر الأساس لدعوى هجرة السيدة زينب الكبرى الى مصر وموتها ودفنها فيها رسالة (أخبار الزينبيات) للنسابة العبيدلي، وحول هذه الرسالة ومؤلفها ورواتها وبالخصوص الرواية المتعلقة بهذا الموضوع حولها كلام عند أهل التحقيق سنداً ومتناً».

س: سؤال: عن صوم يوم عاشوراء ما هو الأصل فيه؟ ماهو الرأي الشرعي ولماذا يصومه بعض المسلمين؟

يقول علماؤنا أنه يحرم صوم يوم عاشوراء إذا صامه الرجل بنية التبرك والتيمن لما ورد في الرواية أن (من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار)، وإذا صامه بقصد انه مستحب على العموم كسائر أيام السنة التي لا خصوصية فيها، صح صومه ووقع مكروها، وإذا أمسك فيه عن المفطرات حزنا إلى ما بعد العصر ثم افطر كان مستحبا من غير كراهة.

وأما تفصيل المطلب فإنه يوجد في مصادر مدرسة الخلفاء روايات متعددة حول صوم يوم عاشوراء واستحباب ذلك، وأنه كفارة سنة أو غير ذلك، كما يستفاد من بعضها أيضاً أن صوم عاشوراء كان مألوفاً ومعروفاً في مكة فكان اهل الجاهلية كانوا يصومونه، وكان النبي ﷺ يصومه أيضاً فلما نزل شهر رمضان تركه، بينما في روايات أخرى ما هو مخالف لهذا بل تشير إلى أن أمر صوم عاشوراء كان مجهولاً، وغير معروف حتى للنبي ﷺ وإنما كان موجودا لدى اليهود فاستغرب لما سمع عن صومه، وسأل عن مناسبة ذلك فأخبروه أنه لأجل إنتصار موسى على فرعون، فقال: أنتم أولى بموسى منهم. والأمران لا ينسجمان فإن معنى صوم أهل الجاهلية له بل وصوم النبي له أن يكون معروفا عند النبي ﷺ، بينما استغراب النبي وسؤاله بحسب الرواية الأخرى عن هذا الصوم وما شأنه؟ يعني أنه لم يكن معروفا عنده ﷺ.

فمن الروايات ما ورد في مسند أحمد عن ابن عمر قال كان يوم عاشوراء يوماً يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو يوم من أيام الله تعالى من شاء صامه ومن شاء تركه

وفيه أيضاً: عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فإذا اليهود قد صاموا يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أنتم أولى بموسى منهم فصوموه.

كذلك فإننا نعتقد، ويفترض أن جميع المسلمون يعتقدون، بأن النبي ﷺ كان أعلم بدين موسى وعيسى من الأحبار والرهبان الذين كانوا حينئذ فضلا عن عامة اليهود والنصارى. فقد سبق أن قال لعدي بن حاتم وكان على دين النصارى ومتعمقا فيه: أنا أعلم بدينك منك[١].

وفي نفس الوقت كان حساسا تجاه النفوذ اليهودي لنفوس المسلمين ودينهم فقد كان الله يرى ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[٢]، وذلك ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾. وعندما حاول بعض المسلمين أن يقرأ التوراة وينقل ما فيها من المواعظ نهره النبي ونهاه عن ذلك. فكيف يقوم هو بأمر الناس بأن يتابعوا اليهود في صومهم !!

وقبيل الانتهاء من هذه الكتاب عثرت على مناقشة جيدة للمحقق العاملي في الموضوع فألحقت حاصلها به لتتم الفائدة ؛ قال في كتابه الصحيح من سيرة الرسول:

ونحن نعتقد ونجزم: بأن ذلك كله من نسج الخيال. فبعد غض النظر عن:

١. المناقشة في أسانيد تلك الروايات، فإن فيهم من لم يات إلى المدينة إلا بعد عدة سنين من الهجرة كأبي موسى الأشعري، وفيهم من كان حين الهجرة طفلا صغيرا كابن الزبير، وفيهم من لم يسلم إلا بعد سنوات من الهجرة كمعاوية.

٢. وعن تناقضها فيما بينها، يكفي أن نذكر: أن رواية تقول: إنه صام يوم عاشوراء في المدينة، متابعة لليهود، ولم يكن يعلم به. وأخرى تقول: إنه كان يصومه هو والمشركون في الجاهلية. وثالثة: إنه ترك يوم عاشوراء بعد فرض شهر

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٥٧

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٤٤

رمضان. وأخرى: إنه لما صامه قالوا له: إنه يوم تعظمه اليهود، فوعد أن يصوم اليوم التاسع في العام المقبل، فلم يأت العام المقبل حتى توفي ﷺ..

وأيضا فإن إطلاق كلمة عاشوراء على العاشر من محرم إنما حصل بعد إستشهاد الامام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم إقامة المآتم لهذه المناسبة من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم، ولم يكن معروفا قبل ذلك على الاطلاق. وقد نص أهل اللغة على ذلك، فقد قال ابن الأثير، «هو اسم إسلامي». وقال ابن دريد: إنه اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية. وثالثاً: إننا لم نجد في شريعة اليهود صوم يوم عاشوراء، ولا هم يصومونه الآن، ولا رأيناهم يعتبرونه عيداً أو مناسبة لهم[١].

ثم إنه يوجد في روايات أهل البيت عليهم السلام ثلاث طوائف من الروايات:

الأولى: ما يدل على النهي عنه وأن الصائم في ذلك اليوم حظه حظ آل زياد وهو النار كما ورد في رواية عن الصادق عليه السلام. فعن الحسين بن أبي غندر، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سألته عن صوم يوم عرفة؟ فقال: عيد من أعياد المسلمين ويوم دعاء ومسألة، قلت: فصوم يوم عاشوراء؟ قال: ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، فان كنت شامتاً فصم، ثم قال: إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً، ويفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم، فلذلك يصومونه ويدخلون على أهاليهم وعيالاتهم الفرح ذلك اليوم، ثم قال: إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون شكراً للسلامة، وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء إن كنت فيمن أصيب به فلا تصم، وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بني امية فصم شكراً لله تعالى.

---

(١) العاملي: جعفر مرتضى ؛ الصحيح من سيرة الرسول الأعظم ٥/ ١٩٨.

وفي رواية أخرى عن زيد النرسي قال: سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار، أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار.

والثانية: يستفاد منها أنه لا مانع منه وأن رسول الله قد صامه وأنه كفارة سنة منها ما عن أبي همام، عن أبي الحسن عليه السلام قال: صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عاشوراء. ومنها ما عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه، أن علياً عليه السلام قال: صوموا العاشوراء التاسع والعاشر، فانه يكفر ذنوب سنة.

والثالثة: فيها التفصيل بأن لا يصام كيوم كامل وإنما إلى ما بعد الظهر، وأن لا يبيت الصيام فيه، وأنه في هذه الصورة يكون مطلوبا. فعن عبد الله بن سنان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: مم بكائك؟ فقال: أفي غفلة أنت؟ ! أما علمت أن الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟ فقلت: ما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

واعتبر جمع من الفقهاء أن هذه الثالثة جامع بين روايات المنع وروايات الجواز.. هذا مع وجود قائلين بالحرمة مطلقا وقائلين باستحباب الصوم فيه مطلقا، وقائلين بالاستحباب لو صامه على وجه الحزن..وللحديث المفصل مقام غير هذا المقام.

س: سؤال: عن موضوع زواج أو عقد القاسم؟

الجواب: نقل السيد هاشم البحراني في كتابه مدينة المعاجز ما يلي:

الرابع والثمانون العوذة التي ربطها - عليه السلام - في كتف ابنه القاسم وأمره أن يعمل بما فيها - الفخري: قال: روي انه لما آل أمر الحسين - عليه السلام - إلى القتال بكربلاء وقتل جميع أصحابه ووقعت النوبة على اولاد أخيه الحسن - عليه السلام - جاء القاسم بن الحسن - عليه السلام - وقال: يا عم الإجازة لأمضي إلى هؤلاء الكفار. فقال له الحسين - عليه السلام -: يابن أخي أنت من أخي علامة واريد أن تبقى (لي) لاتسلى بك ولم يعطه إجازة للبراز. فجلس مهموما مغموما باكي العين حزين القلب وأجاز الحسين - عليه السلام - إخوته للبراز ولم يجزه، فجلس القاسم متألما ووضع رأسه على رجليه وذكر أن أباه قد ربط له عوذة في كتفه الايمن وقال له إذا أصابك ألم وهم فعليك بحل العوذة وقراءتها فافهم معناها واعمل بكل ما تراه مكتوبا فيها، فقال القاسم لنفسه: مضى سنون علي ولم يصبني مثل هذا الألم فحل العوذة وفضها ونظر إلى كتابتها وإذا فيها: يا ولدي (يا) قاسم أوصيك إنك إذا رأيت عمك الحسين - عليه السلام - في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء فلا تترك البراز والجهاد لأعداء (الله وأعداء) رسوله ولا تبخل عليه بروحك وكلما نهاك عن البراز عاوده ليأذن لك في البراز لتحظى في السعادة الابدية. فقام [القاسم] من ساعته وأتى إلى الحسين - عليه السلام. وعرض ما كتب (أبوه) الحسن - عليه السلام - على عمه الحسين - عليه السلام - فلما قرأ الحسين - عليه السلام - العوذة، بكى بكاء شديدا ونادى بالويل والثبور وتنفس الصعداء، وقال: يا ابن الأخ هذه الوصية لك من أبيك، وعندي وصية أخرى منه لك ولابد من انفاذها. فمسك الحسين - عليه السلام - على يد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عوناً وعباساً، وقال لأم القاسم - عليها السلام -: ليس للقاسم ثياب جدد؟ قالت: لا. فقال لأخته زينب: ائتيني بالصندوق فأتت به إليه، ووضع بين يديه، ففتحه وأخرج منه قباء الحسن - عليه السلام -، والبسه القاسم، ولف على رأسه عمامة الحسن - عليه السلام -، ومسك بيده ابنته التي كانت مسماة للقاسم - عليه السلام - فعقد له عليها وأفرد له خيمة وأخذ بيد البنت ووضعها بيد القاسم وخرج عنهما. فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمه، ويبكي إلى أن سمع الأعداء يقولون: هل من

مبارز؟ فرمى بيد زوجته واراد الخروج (من الخيمة فجذبت ذيل القاسم ومانعته من الخروج) وهي تقول [له]: ما يخطر ببالك؟ وما الذي تريد [أن] تفعله؟ قال لها: أريد ملاقاة الأعداء فانهم يطلبون البراز وإني (إلى الميدان عازم وإلى دفع الأعداء جازم)، فلزمته الزوجة، فقال لها: خلي ذيلي فإن عرسنا أخرناه إلى الآخرة، فصاحت وناحت وأنت من قلب حزين، ودموعها جارية على خديها، وهي تقول: يا قاسم أنت تقول عرسنا أخرناه إلى الاخرة، وفي القيامة بأي شئ أعرفك؟ وفي أي مكان أراك؟ فمسك القاسم يده وضربها على ردنه وقطعها وقال: يا بنت العم اعرفيني بهذه الردن المقطوعة فانفجع أهل البيت بالبكاء لفعل القاسم، وبكوا بكاء شديدا، ونادوا بالويل والثبور. قال من روى: فلما راى الحسين - عليه السلام - أن القاسم يريد البراز، قال له: يا ولدي أتمشي برجلك إلى الموت؟ قال: وكيف يا عم وأنت بين الأعداء وحيد فريد لم تجد محامياً ولا صديقاً؟ روحي لروحك الفداء، ونفسي لنفسك الوقاء. ثم ان الحسين - عليه السلام - شق أزياق القاسم وقطع عمامته نصفين ثم أدلاها على وجه ثم ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشد سيفه بوسط القاسم وأرسله إلى المعركة.. انتهى ما في مدينة المعاجز.

وقد صار موضوع عرس القاسم وزواجه محلا للنقاش والجدال بين الكتّاب، والخطباء بأكثر مما يستحقه مع أنه لا يترتب عليه أثر شرعي عملي بحسب الظاهر إلا فيما لو نقله أحد جازما مع عدم ثبوت الكلام عن المعصوم فإنه قد يدخل في باب الكذب عليه.

ويظهر أن المعركة الأكبر كانت بغير اللغة العربية كما هو واضح من تتبع أسماء الكتب المؤلفة في تأييد وقوع العرس وفي نفيه، فالنصيب الأكبر هو باللغة الأردية، تليها الفارسية وأقلها اللغة العربية.

وقد تعرض للنفي المحقق السيد المقرم في المقتل فقال: كل ما يذكر في عرس القاسم غير صحيح لعدم بلوغه سن الزواج ولم يرد به نص صحيح من المؤرخين،

والشيخ فخر الدين الطريحي عظيم القدر جليل في العلم، فلا يمكن لأحد أن يتصور في حقه هذه الخرافة، فثبوتها في كتابه المنتخب (والمعروف بالفخري) مدسوسة في الكتاب وسيحاكم الطريحي واضعها في كتابه !

وفي مناقشته للشهيد مرتضى مطهري، الذي نفى الواقعة في كتابه (الملحمة الحسينية) بشكل كامل واعتبره من نماذج التحريف والوضع في سيرة كربلاء، وافق المحققُ السيد جعفر العاملي، صاحبَ الملحمة في أنه ليس صحيحا، وقال معددا الموارد التي لا يمكن قبولها أن منها: عرس القاسم فإنه أيضاً من الأمور التي قد لا نجد لها مبرراً مقبولاً أو معقولاً[١].

كما أن الدكتور الشيخ الوائلي رأى الحادثة لا تخلو من إشكالات مختلفة فقال: إن الرواية في موضوع الزواج غير معتبرة، يضاف لذلك أن مسألة الزواج يمكن تصورها على نحوين: النحو الأول هو الزواج بمعنى الدخول فهذا أركانه غير متوفرة فالقاسم صغير لم يبلغ الحلم يومئذ والمرأة المروي أنه تزوج بها كانت ذات بعل يومئذ يوم الطف والجو الذي كان فيه أهل البيت ليس يوم زواج أو فرح وأما النحو الثاني فهو بمعنى العقد أي أن الحسين قد عقد للقاسم على إحدى بناته، فيمكن أن يرد هنا سؤال وهو أنه ما هي الغاية من ذلك؟ والإمام ﷺ يعلم أن القاسم سيقتل بعد ساعة بالاضافة إلى إشكالات أخرى[٢]..

أقول: جريان الحادثة بالنحو الذي مر ذكره في نص الفخري والذي نقله عنه في مدينة المعاجز بعيد، فالمعروف أن عمر القاسم بن الحسن يوم كربلاء أنه لم يبلغ الحلم، أي لم يصل إلى عمر الخامسة عشر، بينما استشهد الإمام الحسن ﷺ قبل حادثة كربلاء بأحد عشر سنة، فلا يحتمل بحسب الأوضاع العادية أن يكون الإمام قد أوصى إلى ولده القاسم وحدثه بكل ذلك الحديث وهو في الثالثة من العمر،

---

(١) العاملي ؛ جعفر مرتضى: كربلاء فوق الشبهات / ٣٤

(٢) تجاربي مع المنبر / ١٣٠

وأنه قد استوعب ذلك، وطوال هذه المدة كان ناسيا للموضوع وللعوذة حتى إذا حصل أمر كربلاء تذكر كل تلك الأمور فانحلت المشكلة !! أو أن الحسين عليه السلام كان أيضاً غافلا عن وصية الزواج حتى إذا تذكر القاسم أمر العوذة وذكّر الحسين بها، ذكر الحسين الوصية الأخرى ! خصوصا إذا تم ما نقل من أن الحسين عليه السلام قد أخبر أصحابه بمصارعهم ليلة العاشر، ومن ضمن من أخبرهم كان القاسم أيضاً..

وكذا في قول الحسين عليه السلام له بناء على ما سبق أنه يريده أن يبقى له ليتسلى به فهل كان الحسين باقيا حتى يتسلى به أو أنه سيستشهد بعد قليل؟

ثم الطريقة التي دار فيها الحوار بين القاسم وبين سكينة، فهي في البداية لا تريده أن يخرج وإنما تريد العرس والزواج، بينما المعروف عنها (أن الغالب عليها الاستغراق مع الله) وقد أضافت بعض المصادر كلمة (فلا تصلح لرجل) لو ثبتت فهل تلك التي لا تصلح لرجل تمنع القاسم عن نصرة الإمام في ذلك اليوم العصيب بدعوى أنها تريد الزواج؟

وكيفية المعرفة في يوم القيامة والآخرة.. هل طريقها الردن وهو طرف الكم المقطوع؟

س: سؤال ماذا لو لم يخرج الحسين ضد يزيد؟

الجواب: حقاً هو سؤال جميل، فالعادة أن يتم السؤال عن أنه لماذا ثار الحسين عليه السلام ضد يزيد، وهذا السؤال يتناول القضية من طرفها الآخر.. ما هي الآثار التي يمكن أن تحصل لو لم يخرج الإمام الحسين ولم يقم بثورته؟ ويمكن تصور الآثار في عدة مستويات:

المستوى الأول: في حدود الفكر الإسلامي في حدوده الزمنية في تلك الفترة وللمستقبل: فلو لم يقم الحسين عليه السلام بثورته تلك، لكان لدينا معضلة في كيفية

التعامل مع الحاكم الجائر الذي يصل به الأمر إلى حدود التصريح بمخالفة العقائد الدينية كما صدر من يزيد بن معاوية. فكيف يتعامل المسلمون مع مثل هذا الحاكم؟ هل يخضعون له ويتبعونه؟ أو أنهم ينهضون ضده؟ لقد سعى الأمويون وأتباعهم إلى إشاعة الفكرة الأولى ودعموها بروايات نسبوها للرسول حاصلها أنه عليهم السمع والطاعة مهما بلغ الأمر، وأن خروجهم عليه فيه من المفاسد ما هو أكثر من ولايته. ولقد سُخر لهذه الفكرة من الأموال والرجال، لتكون الفكرة العامة السائدة بين المسلمين ما يفوق الوصف والعد. وكان كل حاكم يأتي يحلم بأمة الإسلام وهي خائرة العزيمة مقيدة الحركة، لا تستطيع غير الصبر الذليل، والخنوع الدائم سبيلا. ولولا خروج الحسين عليه السلام وتضحيته بالغالي والنفيس لما أمكن للمسلمين أن ينطلقوا من أسر ذلك الجبت الفكري.

بينما الفكرة الثانية تصطدم بسلوك الإمام الحسين عليه السلام فيما لو لم يخرج، فلو كان الخروج والثورة مشروعة لما تركها الإمام الحسين عليه السلام.

المستوى الثاني: في حدود الوضع التاريخي الذي كان يعيشه الإمام الحسين عليه السلام، فإن تشخيص الإمام للوضع الإسلامي آنئذ هو ما قاله: (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد). إن وجود شخص مثل يزيد وهو (رجل فاجر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق) على رأس الحكم والقيادة، يشبه أن تعطي قيادة حافلة مليئة بالركاب في طريق جبلي إلى سائق ثمل، لا يعرف من السكر موضع قدميه ! بل هو أعظم.

إن ما رآه المسلمون في السنوات العجاف الثلاث التي تسلط فيها يزيد على الأمة، وما ارتكب من مخاز ومآثم حيث قتل الحسين عليه السلام وصحبه في الأولى، وأباح المدينة في الثانية وهدم الكعبة في الثالثة، ولو مُد له في العمر لمد حبل الموبقات. ليشير بالصراحة إلى أنه لم يكن هناك مجال آخر أمام الحسين عليه السلام من الناحية الدينية حفاظا منه على مسيرة الأمة، إلا الخروج والثورة.

المستوى الثالث: انسجام العمل الثوري الذي قام به الحسين مع الأصول الدينية التي يؤمن بها: فهو من جهة روى عن رسول الله ﷺ: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا بقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله) وقد طبق هذا على الوضع الموجود آنئذ (ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيّر)[١].

ولو لم يفعل ما فعله لكان متناقضا والعياذ بالله، فكيف يقول من جهة أن يزيد هكذا ثم يسالمه ويبايعه ويترك الأمر له؟

إن مبايعة الحسين ليزيد وسكوته عنه، يعني إمضاء الخطأ الذي ارتكبه معاوية بتولية ابنه يزيد شؤون الخلافة، وهو الخطأ الذي وقف أمامه الحسين عليه السلام في أيام معاوية عندما قال له: لعلك تصف غائبا أو تنعت محجوبا، فخل بين يزيد وبين الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السبق لأترابهن ودع عنه ما تحاول من الخلافة [٢]!! فهل يمضي اليوم ما رفضه بالأمس؟ وهل يمضي ببيعته ليزيد أعماله المخالفة للدين؟ إنه حينئذ يفقد صفات الإمام..

قد يقول قائل: إن الحسين لو ترك يزيدا وشأنه، فلا هو يثور عليه، ولا يبايعه.. ألم يكن ذلك مخرجا مناسبا؟

وجوابه: أننا لا نفتش عن مخارج للحسين عليه السلام !! ولم يكن يزيد بالذي يترك الحسين عليه السلام، فإن هؤلاء الظالمين لا يحتملون أحدا يكون إلى جانبهم، وهو أضعف منهم شأنا فكيف إذا كان أعلى منهم منزلة، وأرفع شأنا عند الخلائق؟ وقد بين الإمام

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٤

(٢) الدينوري ؛ ابن قتيبة: الامامة والسياسة ١/ ١٦١

ﷺ أن الأمر قد انتهى بقوله: (ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة)[١] وفي ذلك إشارة إلى سياسة يزيد، وإلى رسالته لواليه على المدينة، فإن يزيد قد أرسل رسالة ليقرأها على الناس وأرسل إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد: فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة اخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[٢].

س: سؤال: هل يجوز تمثيل الواقعة الحسينية سينمائياً أو غير ذلك.؟

يستفاد من كلمات علمائنا اعلى الله درجاتهم أن تمثيل الواقعة سينمائيا لو لم يلزم منه محرم آخر كالهتك أو التوهين مثلا، أو الكذب على المعصوم بنقل ما ليس صحيحا عنه فلا يحرم.

ومما ذكروه في هذا المجال أن يكون ممثل دور المعصوم شخصاً مؤمناً غير متهتك. بل قد يكون من المهم في بعض الحالات ان يُصار إلى استخدام وسائل التأثير الإعلامي الحديثة لنقل القضية الحسينية بواسطتها كالمسرح والقصة والتصوير السينمائي[٣].

س: سؤال: عن وجود الإمام الباقر في كربلاء وبعدها، وكيف يمكن تفسير قول الحسين ﷺ لزينب عن السجاد احبسيه لئلا ينقطع نسل آل محمد. أفلا يعتبر الباقر من نسل الرسول؟

---

(١) أي استلال السيوف

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٠

(٣) تم اعداد فيلم سينمائي عن حياة الرسول وظهور الإسلام وانتصاره وهو (الرسالة: محمد رسول الله) وكان له من الأثر في تعرف غير المسلمين على الإسلام الشيء الكثير، وأيضا تم تصوير فيلم آخر بعنوان الإمام علي ﷺ (في ايران) وكان موفقا في عرض تلك الفترة من التاريخ الإسلامي وبعده حول حياة الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ..
وأخيراً أي سنة ١٤٣٠ هـ تم تصوير فيلم النبي يوسف، وكان تأثيره رائعا في الناس.

الجواب: أقدم مصدر وجدت فيه كلمة شبيهة بها هو بحار الأنوار « قال الحسين ﷺ: يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد ﷺ»[١]، ناقلا عن بعض تأليفات أصحابنا،ومع عدم معرفة ذلك التأليف، والمؤلف تبقى هذه الكلمة غير ثابتة. نعم جاء في مقاتل الطالبيين للاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ لفظ (احبسيه) وأيضا كتاب الارشاد للشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ نفس اللفظ ولكن متعلقه ليس الامام السجاد، وإنما قيل إنه عبد الله بن الحسن وهو غلام صغير، جاء مسرعا بعد أن صرع عمه الحسين على الأرض ليدافع عنه، فطلب الحسين من أم كلثوم أن تحبسه. ولكن ليس فيها لئلا ينقطع نسل آل محمد !

ولكن على فرض صدورها، فإن توجيهها واضح، وهو أن المقصود ليس مطلق النسل النبوي، وإلا فقد كان أحفاد الرسول من سبطه الحسن موجودين إذ أنه بناء على كون أبناء الإمام الحسن ﷺ خمسة عشر فإن الذكور منهم كانوا ثمانية[٢] ولم يشترك هؤلاء كلهم في كربلاء. وإنما المقصود منه النسل النبوي الفاعل الذي يمثل امتداد النبوة في العلم والتوجيه والارشاد للأمة فلو قتل الإمام السجاد ﷺ حينئذ لما بقي ذلك النسل. وهذا غير حاصل بالنسبة لأبناء وأحفاد الإمام الحسن ﷺ باعتبار أن الإمامة كانت في نسل الحسين ﷺ، وأبناء الحسن وإن كان بعضهم علماء أو مجاهدين إلا أن مقاييس الإمامة الإلهية لا تنطبق عليهم ولم تكن فيهم. والامام الباقر ﷺ كان حتى ذلك الوقت صغير السن جدا، حيث أنه لم يكن له على ما قيل في روايات تاريخية أكثر من ثلاث سنين، وهذه سن لم يكن ممكنا في الحالات الطبيعية أن يقوم صاحبها بالتصرف الخارجي المباشر مع الناس، والارشاد والتوجيه، والأخذ والعطاء لا سيما في تلك الظروف الصعبة التي أعقبت ثورة الإمام الحسين ﷺ.

(١) المجلسي ؛ محمد باقر: بحار الأنوار ٤٥/ ٤٦

(٢) هذا على رواية وعلى الأخرى أن الذكور كانوا ثلاثة عشر.

س: سؤال: احداث المعركة أخذت زمنا طويلا.. فهل هي أكثر من يوم.؟

مع أنه قد احتمل بعض العلماء كما نقل عنهم الفاضل الدربندي[١] رحمه الله في كتابه أسرار الشهادة ذلك الأمر.إلا أنه لا يمكن قبوله، فقد اتفقت كلمة المؤرخين قاطبة، والروايات الواردة من طريق أهل البيت ﷺ، على أن المعركة بدأت بصباح اليوم العاشر من شهر المحرم لعام ٦١ هـ وانتهت قبل غروب ذلك اليوم، بشهادة الإمام الحسين عليه السلام وقبله أصحابه وأهل بيته.

نعم ربما يتصور البعض ما ذكر من خلال حجم التفاصيل المذكورة في السيرة والكتب التاريخية، فيتوهم أنها تحدث مترتبة، بينما هي قد تحدث متزامنة وفي وقت واحد لكن الناقل لا يستطيع إلا أن ينقل القضية من جهات المختلفة ويفرد لكل خبر منها جهة مستقلة. لكن ذلك فمثلا قد يكون الحوار الذي يجري في داخل الخيمة بين الحسين وزينب مثلا، قد حدث في نفس الوقت الذي يكون فيه حبيب يخطب في أنصاره ويشجعهم على القتال غداً وهو في نفس الوقت الذي يكون فيه بعض الهاشميين يتعبدون أو يقرؤون القرآن، وهذه كلها في وقت واحد، أو حينما يحمل عدد من الأنصار في الحملة الأولى ويقاتل كل منهم في جهة، وينشد من شعر الحماسة ما هو أهله، فإن المؤرخ أو الراوي لا يستطيع أن ينقل ذلك إلا بإفراد خبر لكل واحد منهم، بينما قد تكون حملتهم في وقت واحد.

---

(١) المولى، آقا بن عابدين بن رمضان بن زاهد الشيرواني الدربندي، المعروف بـ « الفاضل الدربندي »، الحائري. ت ١٢٨٥ فقيه أصولي متكلم، جامع للمعقول والمنقول. كان من تلاميذ شريف العلماء المازندراني. له: « خزائن الأصول »، و « خزائن الاحكام » شرح منظومة بحر العلوم، و « قواميس القواعد » مشتمل على دراية الحديث والرجال وطبقات الرواة، وغيرها. توفى في طهران سنة ١٢٨٥ أو ١٢٨٦، ونقل إلى كربلاء ودفن في الصحن الحسيني. وهو مع تبحره الكامل في الفقه والأصول والرجال إلا أن كتابه (أسرار الشهادة) والذي خصصه لما جرى في كربلاء، يحتوي على غير قليل من الروايات غير الثابتة. واحتمل بعضهم أنه يرى تعميم قاعدة التسامح في أدلة السنن إلى الروايات التاريخية، بأنه حتى لو جاء بها خبر غير مسند، فإنه لا مانع من نقلها.

ولتقريب الأمر نضرب مثال الفيلم التلفزيوني فإنه قد يستطيع المخرج أن يختصر فيه عددا من المشاهد والأفكار من خلال الصورة، فيستطيع بذلك أن ينقل أكثر من معنى في مشهد واحد بينما لو أراد أن يتحدث متكلم عن ذلك لاحتاج إلى صفحات متعددة.

س: ما معنى كلمة الإمام الحسين ﷺ بالنسبة إلى نسائه: شاء الله أن يراهن سبايا على أقتاب المطايا؟ هل فيها دلالة على الجبر وأن هذا الأمر كان مكتوبا عليهن؟

الجواب:

في البداية نقول أن النص الوارد في اللهوف ليس فيه (على أقتاب المطايا) وإنما بهذا المقدار (شاء الله أن يراهن سبايا). في حادثة ينقلها [1].

وهناك تعبيرات في القرآن عن المشيئة والإرادة الإلهية تنتهي إلى أن لله إرادتين ومشيئتين: تكوينية وهي لا تتخلف فإن شاء شيئا كان من غير معالجة، وإذا أراده تحقق

(١) اللهوف في قتلى الطفوف- قال السيد ابن طاووس الحسني ص ٣٩:
ورويت من كتاب أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الثقة، وعلى الاصل إن كان لمحمد بن داود القمي بالإسناد عن أبي عبد الله ﷺ قال: سار محمد بن الحنفية الى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال. يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له: ابن الحنفية فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر إرتحل الحسين ﷺ فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلا فقال: أتاني رسول الله ﷺ وسلم بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء ان يراك قتيلاً، فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنا إليه راجعون.. فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له:قد قال لي (أي الرسول) إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى.

ذلك أنه ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] ولتقريب المعنى مع ملاحظة الفارق نقول إن الإنسان لو أراد أن يصور شيئاً في ذهنه، فلا يحتاج هذا التصوير إلا إلى لمحة التفاتة فيحضر المعنى المصور في ذهنه فورا، فلو أراد أن يتصور بحرا أو شجرة أو غيرها، فإنه لا يحتاج إلى معالجات وإعدادات وإنما يكفي أن يتصورها ويوجه ذهنه إليها في خلق الله للأشياء يكفي أن تتعلق إرادته بذلك، لكي يتحقق الموجود، ويصبح مخلوقاً خارجياً، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المشيئة والإرادة التكوينية فقال (لو شاء ربك ما فعلوه)، (ولو شاء لذهب بسمعهم) (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس..)..

وتشريعية: وهي أن تتعلق مشيئة الله بفعل العبد، فهو لا يجبر العبد عليها وإنما يحثه عليها تارة ويزجره عنها أخرى بأوامره ونواهيه، ولا يقسره على فعلها ولا يجبره على تركها، وإنما يبين له بالرسل، ويهديه بالعقول، ويزوده بالإرادة والاختيار لكي يختار و(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها): وهي التكاليف الشرعية، وقد تحدث عنها القرآن الكريم أيضاً بلسان الإرادة الإلهية فقال ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2] و﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3] و﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[4].

وهذه الثانية تبقي للإنسان مجال الاختيار، ولا يكون مسيرا فيها إلى جهة برغم إرادته، وإنما يكون في كل حالاته مختارا يستطيع الاستمرار ويستطيع التراجع، ومثل هذه الإرادة قول الإمام الحسين عليه السلام (شاء الله أن يراني قتيلا. وشاء الله أن

(١) سورة البقرة: ١١٧
(٢) سورة البقرة: من الآية ١٨٥
(٣) سورة النساء: ٢٦
(٤) سورة المائدة: من الآية ٦

يراهن سبايا).

كيف نعرف أن هذه إرادة تشريعية لا تكوينية (أن يراهن..)؟

- لمخالفة ذلك لعقيدة الاختيار التي يدين بها الإسلام ويُعرف بها أهل البيت، هذا مع أنها كان يمكن أن تتخلف بتغيير الحسين رأيه، أو مسيره بينما التكوينية لا تتخلف. والشاهد عليه أن محمد بن الحنفية والذي يعرف عنه القول بالاختيار والإرادة تبعا لما أخذه من أبيه أمير المؤمنين ﷺ لم ينكر على الإمام مقالته.

هذا مع ملاحظة كلام أمير المؤمنين ﷺ لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ (.. ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما. ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد. وإن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً. ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الانبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً « (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[1].

ومعنى الكلمة: أي شاء الله أن أخرج على القوم فيحاربونني فأكون قتيلاً، وشاء أن أصحب النساء لتكميل المسيرة فيكن سبايا بعد قتلي. ويقومون بدورهم في تكميل الثورة

وبالفعل فقد كان لذلك السبي أكبر الأثر في بقاء الثورة الحسينية، وتعريف الناس لحقيقة الحكم الأموي ومخالفته لأحكام الدين، مما أنتج الثورات المضادة له إلى أن سقط الحكم الجائر ذاك.

(١) سورة ص: من الآية ٢٧

س: ماهي الفوائد المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟

الجواب: نقل ثقة الإسلام الشيخ الكليني بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة.

ونقل أيضاً بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام: مروا شيعتنا بزيارة الحسين، فإن إتيانه فرض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة.

وروى شيخ الطائفة بسند معتبر عن عبد الله بن سنان عن الصادق: بينا الحسين بن علي في حجر رسول الله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه: ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بني من أتاني زائرا بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائرا بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائرا بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائرا بعد موتك فله الجنة[1].

في البداية لا بد من التنبيه على حقيقة هي اختيار الله مجموعةً من الناس واصطفاؤه إياهم وهذا وإن لم يقبله البعض حسداً أو جهلاً إلا أنه حقيقة واقعة فقد قال الله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2] وعرف النبي محمد صلى الله عليه وآله بالمصطفى والمختار لهذه الجهة. تماما مثلما أنه يمكن أن يختار الله زمانا كرمضان فيشرفه ذلك التشريف العظيم بحيث تكون إحدى لياليه أفضل من ثمانين عاماً ليس فيها ذلك الشهر وتلك الليلة، أو يختار مكاناً كمكة مع أنه بحسب الظاهر (غير ذي زرع) ولا ضرع ولا ميزة ظاهرية، أو يختار أشخاصاً كمن ذكر فيتعبد الله الناس باحترام تلك الأماكن والأزمنة التي اختارها وتقديسها، ويتعبدهم أيضاً بتقدير وتقديس واتباع أولئك الناس الذين اختارهم (على علم على العالمين)، ويجعل صلواته وصلوات ملائكته عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) قد مر بيان الوجه في ترتب ثواب عظيم على عمل بحسب الظاهر قليل.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣

وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾[١]. حتى لقد أصبح أمر الصلاة على النبي وآله من واجبات الصلاة عند جميع المسلمين..

ومن ذلك أمر زيارة قبورهم.

أما مشروعية زيارة القبور: فلا شك فيها عند المسلمين وذلك لما ورد من حديث رسول الله ﷺ: إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة[٢].. وقد دعا صلوات الله عليه إلى زيارة قبره بعد وفاته، فقد نقل عنه (من زار قبري بعد موتي وجبت له شفاعتي)[٣] و (من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي) بل حتى غير قبر النبي وقد ثبت أن النبي ﷺ قد زار قبر أمه فبكى وأبكى[٤] وكان صلوات الله عليه يخرج فيزور قبور المسلمين في البقيع كما كانت فاطمة الزهراء ﷺ تخرج إلى المسجد فتزور أباها ثم تخرج إلى أحد فتزور عمها حمزة بن عبد المطلب[٥].

وأما معنى الزيارة: ففي أصلها اللغوي هي بمعنى المَيل و القصد كما ورد في القرآن الكريم في قصة أهل الكهف (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين..) وسميت شهادة الزور بذلك لأنها مائلة عن الحق.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٦

(٢) مسند أحمد ١/ ١٤٥ ويحتمل أن يكون النهي عن زيارة القبور لو فرض صحة الحديث في هذه الجهة، كان راجعا إلى زيارة المسلمين لقبور آبائهم المشركين، وهو مما لا ينبغي منهم. فإنه إذا كان بالنسبة للمنافقين (.. ولا تقم على قبره) فهو بالنسبة للمشركين من باب أولى.

(٣) ألف الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي كتابا كاملا بخصوص رجحان واستحباب زيارة قبر النبي ﷺ، ردا على ما زعمه بعض من خلاف ذلك، وسماه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام).

(٤) ذخائر العقبى في مودة أهل القربى لأحمد بن عبد الله الطبري

(٥) وفي فعلها ذاك رد على من يدعي وجود الكراهة فضلا عن الحرمة في زيارة النساء للقبور. وأما ما تمسك به بعض من أن مجيئهن يكون سببا لارتفاع اصواتهن بالنياحة، أو اختلاط الرجال بالنساء ففيه أنه لو تم ذلك لكان ينبغي منع الحج لما فيه من الاختلاط و.. والعجيب أنه كيف تؤسس الفتاوى على مثل هذه المستندات !!

أهداف الزيارة:

١. تكريم المزور وأداء حقه.

٢. ارتباط بين الناس وبين المعصومين.

٣. تسليط الضوء على جهاد الصالحين وعمله، ولذلك كان المطلوب (عارفا بحقه..).

ملاحظات على قضايا تأريخية

س: هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري؟

بعد رحلة متعبة ومجهدة إلى الكوفة ثم إلى الشام، استمرت قرابة أربعين يوما، عاد الركب الحسيني محملا بأثقال الألم، إلى جانب أكاليل النصر و تحقيق هدف النهضة الحسينية (وهل كانت ولادة الأهداف السامية من غير ألم؟)، واتجه إلى كربلاء..حيث موطن الذكريات. وهناك التقى عند المصرع بجابر بن عبد الله الأنصاري فقد روى الشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري في كتابه بشارة المصطفى قصة الحادثة كما يلي:

أخبرنا الشيخ الامين ابو عبد الله محمد بن شهريار الخازن بقرائتي عليه في مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في شوال سنة اثني عشرة وخمسمائة قال أملى علينا أبو عبد الله محمد بن محمد البرسي قال أخبرني ابوطاهر محمد بن الحسين القرشي المعدل قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن حمران الأسدي قال حدثنا أبو أحمد اسحق بن محمد بن علي المقري قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن الايادي قال حدثنا عمر بن مدرك قال حدثنا يحيى بن زياد الملكي قال أخبرنا جرير بن عبد الحميد عن الاعمش عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب «

ع » فلما وردنا كربلا دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزر بأزار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى اذا دنا من القبر قال ألمسنيه فألمسته فخر عل القبر مغشيا عليه فرششت عليه شيئا من الماء فلما أفاق قال يا حسين ثلاثا ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه ثم قال وانى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك فاشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير ان قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد انك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله وأشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين والذي بعث محمدا بالحق نبيا لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له يا جابر كيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم فقال يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين « ع » وأصحابه. خذني نحو إلى أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية هل أوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك أحبب محب آل محمد ﷺ ما أحبهم وابغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواما قواما وارفق بمحب محمد وآل محمد فانه إن تزل له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت

له اخرى بمحبتهم فان محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار [١].

وقد شكك الشهيد الشيخ المطهري رحمه الله في الملحمة الحسينية بأمر لقاء الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري، وذكرها تحت عنوان التحريفات اللفظية: قصة زيارة الأسراء لقبر الحسين في كربلاء وملاقاة السجاد لجابر وذلك بعد أن وصل الأسرى إلى مفترق طريق بين المدينة والعراق والاستعانة بالنعمان بن بشير لمعرفة طريق كربلاء في حين أن حقيقة الزيارة المعروفة هي زيارة جابر وعطية العوفي لقبر الحسين لا غير. (هذا على فرض كون كل ما جاء في الطبعة العربية المترجمة صحيح النسبة إلى الشهيد المطهري وهو ما لم يقبله المحقق السيد جعفر العاملي في كتابه الجديد كربلاء فوق الشبهات).

ولم يذكر الشهيد المطهري رحمه الله وهو المحقق المتتبع ما يدل على كون الواقعة غير حقيقية، أو جهة كونها من التحريفات اللفظية ! ولعل حرصه على أن تكون الأمور محققة وحماسه ضد المبالغات غير المقبولة في السيرة الحسينية كما يلحظ ذلك قارئ الملحمة أدى به لذلك.

فمع أننا لا نجد تأريخا صريحا للواقعة في المصادر التاريخية القديمة في الباقي منها كما هو الحال في الباقي من مقتل أبي مخنف الأزدي، والذي نقل منه الطبري كثيرا، ولم ينقله بكامله، وإنما نقل ما يرتبط بالقضية التاريخية التي تنفعه في كتابه.. و لا يضر عدم ذكره الواقعة فإنه لم يذكر أصل زيارة جابر الأنصاري، كما لا يضر عدم ذكرها في المصادر التاريخية القديمة. فإن أول من ذكر الزيارة هو صاحب بشارة المصطفى المتوفى بعد سنة ٥٥٣ هـ فإنه قد التزم الشيخ الطبري بأنني (سميته بكتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى صلوات الله عليهم ولا أذكر فيه إلا المُسنَد من الأخبار عن المشايخ الكبار والثقاة الأخيار..) والشيخ الطبري وهو من تلاميذ ابن شيخ الطائفة الطوسى أعلى الله مقامهم في تلك الطبقة يمكن أن تقبل شهادته

(١) بشارة المصطفى ص ٧٥

في التوثيق وأنها عن حس لا عن حدس واجتهاد. ومع هذا يمكن الاطمئنان إلى وثاقة من هم في سند هذه الرواية التي نقلها في كتابه.. فإنهم يتحدثون في علم الرجال في باب التوثيقات العامة عن كتاب بشارة المصطفى كواحد من الكتب التي تفيد وثاقة من ورد في أسانيد رواياته إما كل من ورد في سلسلة السند كما لعله الأظهر باعتبار أن صاحب الكتاب وهو الضليع في هذا الفن يريد أن يصحح رواياته وهذا لا يتم إلا بالحكم بوثاقة من هم في السند جميعا وإما خصوص مشايخه على الخلاف المبحوث في بابه.

كما ذكر الشيخ الجليل بن نما الحلي[1] في كتابه (مثير الاحزان ص ٧٦ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف بنحو الاختصار موضوع اللقاء بين جابر وبين ركب السبايا فقال ولما مر عيال الحسين بكربلا وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه وجماعة من بنى هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد فتلاقوا بالحزن والاكتياب والنوح على هذا المصاب المقرح لأكباد الأحباب،.. وقد طبع هذا الكلام في حاشية مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص ٢٢٠.

وقد ذكر الموضوع أيضاً السيد علي بن طاووس الحلي المتوفى سنة ٦٦٤ هـ في كتابه اللهوف في صفحة ١٩٦ فقال: ولما رجع نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء ووصلوا إلى المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة قبر الحسين فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم.

ونحن لا نرى وجود مانع يمنع من الالتزام بالرواية المذكورة، فمن الناحية التاريخية كان دخول السبايا إلى الشام في أول يوم من صفر كما رواه الكفعمي

---

(١) هو الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر ابي البقاء هبة الله توفي سنة ٦٤٥هـ كان من الفضلاء والأجلة وكبراء الدين والملة، عظيم الشأن جليل القدر، وأحد مشايخ آية الله العلامة... كما عن المحدث القمي في الكنى والالقاب.

والبهائي والمحدث الكاشاني وكان بقاؤهم في الشام خمسة أو سبعة أيام، ثم عودتهم إلى كربلاء مع ملاحظة أن ذهابهم كان أكثر من ذلك لتوقفهم في الكوفة، ولأنهم كانوا يريدون التفرج عليهم في رحلة الذهاب بخلاف ذلك في رحلة العودة، وعلى أي حال فإن خمسة عشر يوما أو ثلاثة عشر يوما كافية للوصول إلى كربلاء في رحلة العودة.

هذا ولكني عثرت فيما بعد على كلام لشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله يشير فيه إلى يوم الأربعين باعتباره اليوم الذي عاد فيه حرم الحسين ﷺ إلى كربلاء وهو نفسه اليوم الذي زار فيه جابر بن عبد الله قبر الحسين، فأحببت إضافته إلى هذه الصفحات.

وربما يتوهم أنه اليوم (كتاريخ ومناسبة) لا اليوم الشخصي لكنه بعيد جدا من سياق الخبر كما ستلاحظ: قال الشيخ في مصباح المتهجد: (وفي اليوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ من الشام إلى مدينة الرسول ﷺ وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله ﷺ فكان أول من زاره من الناس ويستحب زيارته ﷺ فيه وهي زيارة الأربعين..)[1].

س: هل كانت أم البنين موجودة بعد كربلاء؟

جرت عادة الخطباء على ذكر أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، واستقبالها بشر بن حذلم، ثم استقبالها للركب الحسيني، والنساء، وهكذا خروجها لندبة أبنائها، ولكن استبعد المحقق المقرم في كتابه القيم (مقتل الحسين) بقاء أم البنين وأنها كانت موجودة إلى يوم الطف..

---

(١) نقله في الوسائل / ج ١٤ ص ٤٧٩، وقال أنه قد روى المفيد ذلك أيضاً مرسلا، في (مسارّ الشيعة).
قلت: ليس عندي هذا الكتاب حتى أرى عبارته.

ونحن لا نرى استبعاد العلامة المحقق السيد المقرم رحمه الله في محله. فإنه بعد أن قال: لم اعثر على نص يوثق به يدل صراحة على حياة أم البنين يوم الطف، ثم بدأ بمناقشة رواية أبي الفرج الاصفهاني عن محمد بن علي بن حمزة عن النوفلي عن حماد بن عيسى عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام أن أم البنين كانت تخرج إلى البقيع تندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس اليها ليسمعوا منها وكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك فلا يزال يسمع ندبتها.. ثم شرع في مناقشة رواة السند، قائلا بأن رجال اسناده لا يعبأ بهم، فإن النوفلي، حكي عن أحمد أن عنده مناكير، وعند أبي زرعة ضعيف الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا، وقال النسائي متروك الحديث. ومعاوية بن عمار بن أبي معاوية قال أبو حاتم لا يحتج بحديثه، وإن أريد غير هذا فمجهول.. ثم عرج على المتن، وانتهى إلى أن نسبة أبي الفرج خروج أم البنين إلى البقيع هي فرية واضحة إذ لا شاهد عليها وغايته التعريف بأن مروان بن الحكم رقيق القلب.. ثم عطف المحقق المقرم على ذلك أن أبا الفرج ناقض نفسه بأن قال في موضع آخر أن العباس كان آخر من قتل من إخوته فحاز مواريثهم وورث العباسَ ابنُه.. عبيد الله، وهذا يفيدنا وثوقا بوفاة أم البنين يوم الطف فإنها لو كانت موجودة لكان ميراث العباس مختصا بها لكونها أمهم ولا يرثهم العباس لأنه أخوهم. ذكر ذلك في سفره القيم (مقتل الحسين).

ولنا مع العلامة المحقق المقرم رضوان الله عليه وقفتان:

الأولى: نقاشه في رجال السند:

فأول ما هو مذكور في رواية أبي الفرج (علي بن محمد بن حمزة) وهذا الشخص لا ذكر له في كتب الرجال أصلاً، ويظهر أن في اسمه تقديماً وتأخيراً والصحيح هو (محمد بن علي بن حمزة المعروف بالعلوي) وهو بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام والذي نقل عنه أبو الفرج كثيراً واعتمد عليه فقد

ورد ذكره في أكثر من عشرين موضعا من كتاب المقاتل، وروى عنه النوفلي علي بن محمد أيضاً في المقاتل، وهذا الرجل يظهر أنه كان محيطا بأخبار حركات أبناء الائمة، وتاريخ نهضاتهم ضد الحاكمين فكان المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه أبو الفرج في كتابه، وهو كما يقول النجاشي (ثقة عين في الحديث صحيح الاعتقاد له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد ﷺ، وله مكاتبة وفي داره حصلت أم صاحب الأمر بعد وفاة الحسن ﷺ). ويذكر آية الله الخوئي في معجمه أن له كتاب بإسم مقاتل الطالبيين.

وأما النوفلي فإنه لقب رجال كثيرين منهم الحسن بن محمد بن سهل، وعبد الله بن الفضل بن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو من أصحاب الصادق وثقة، والحسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك النوفلي، وهو من أصحاب الرضا، وعلي بن محمد بن سليمان النوفلي وهو من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكري.

والمكثر للروايات في الفقه هو الحسين بن يزيد الذي يروي عن السكوني عادة، وله في ابواب الفقه لا سيما في المعاملات روايات كثيرة.

ولكن الذي يروي عنه أبو الفرج في المقاتل ليس هذا،وليس كما ذكر السيد المقرم أنه يزيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم..وإنما هو علي بن محمد بن سليمان النوفلي، ومع التتبع لكتاب المقاتل يظهر أنه يعتمد عليه اعتماداً كبيراً فيما ينقل من أمور ترتبط بأبناء علي ﷺ في أكثر من ٢٣ موضعا، وهذا بدوره ينقل عن أبيه كثيراً، فترى صاحب المقاتل ينقل عنه في قضية يحيى بن زيد ويعتمد على روايته بشكل أساسي في نقل أحداث حركة عيسى بن زيد، وفي ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن. وهذا النوفلي قد يذكر في الرجال تارة بعنوان علي بن محمد وأخرى علي بن محمد بن سليمان، ومع أن له رواية عن الإمام الجواد ﷺ، ومكاتبة للإمام العسكري ﷺ، وقد ذكره الصدوق في مشيخته، وطريقه

إليه صحيح..

إلا أنه لا توثيق له بخصوصه وإن كان إماميا، لكن يمكن استفادة ذلك من التوثيق العام بالنسبة لمن لم يستثن من كتاب نوادر الحكمة، بناء على أن عدم الاستثناء لهم لا يختص بتصحيح الروايات في الكتاب المذكور وإنما هو إضافة إلى ذلك توثيق للرواة. كما هو مسلك كثيرين.. فإنه قد ذكر علي بن محمد النوفلي في من لم يستثن من رواة كتاب النوادر.

والنوفلي روى في أصول العقائد كما هو في الكافي في أكثر من موضع، وفي الفروع أيضاً، لكن يبدو أنه كان متخصصا أكثر في حقل التاريخ وضبط أحداث معارضة أهل البيت وأبنائهم للحاكمين، ولذلك اعتمده أبو الفرج في مقاتله، وروى عنه الطبري أيضاً أحداث الثورات التي تقدم ذكرها.

وأما حماد بن عيسى الجهني من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام كان ثقة في حديثه صدوقاً، وممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وأقروا لهم بالفقه.

وأما معاوية بن عمار بن أبي معاوية فهو العجلي الدهني، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد نص على توثيقه وجلالة شأنه من تعرض لذكره في الرجال، فقد قال النجاشي: كان وجهاً من أصحابنا متقدماً كبير الشأن عظيم المحل ثقة، وكان أبوه عمار ثقة في العامة وجهاً، روى معاوية عن ابي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ومات في سنة خمس وسبعين ومائة. ومثله ذكر في الخلاصة.

ولذا فمن العجيب أن ينقل العلامة المقرم قول أبي حاتم فيه: أن معاوية بن عمار بن أبي معاوية لا يحتج بحديثه، وإن أريد غير هذا فمجهول. إذ تضعيفه عندهم كما هو جار في غيره، إنما هو على أساس مذهبه وتشيعه، فإنهم يسارعون إلى الطعن فيمن عرف عنه تشيعه لعلي عليه السلام ويكفي عندهم لعدم الاحتجاج بحديثه كونه

رافضيا كما يقولون فكيف إذا كان وجها عندنا وعظيم الشأن؟؟ ولم يكن منتظرا من المحقق المقرم الذي له الباع الطويل في هذا المجال أن يعتمد على تضعيف الرجاليين المخالفين لرواة أهل البيت، خصوصا أنه ذكر في المقتل بعض النماذج على التضعيف لأجل المذهب، وفي كتابه (العباس) قال في ذيل الحديث عن الأصبغ بن نباتة عندما نقل صاحب اللئالي المصنوعة فيه أنه متروك لا يساوي فلسا قال المقرم: ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكل ما يتسنى لهم، ويشهد لهذه الدعوى مراجعة ما كتبه السيد العلامة محمد بن أبي عقيل (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) فإنه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلا موالاة أمير المؤمنين وولده ﷺ.

وأما كلامه في المتن:

أما قوله أن خروج أم البنين فرية واضحة غايتها التعريف بأن مروان بن الحكم رقيق القلب فاستدرار الدمعة إنما يتسبب من انفعال النفس..الخ، فإنه يمكن على فرض صحة الخبر أن يكون ذلك من اظهار البكاء، واصطناع حالة البكاء الكاذب، وليس هذا بعيدا من شخصية مروان المنافقة، حيث أنه قد يعمل الشيء وضده، والأمر وخلافه إذا رأى في ذلك مصلحة دنيوية عاجلة..فهو على عدائه المعروف لأهل البيت لا يعدم وسيلة لكي يحوز بها على بغلة للحسن المجتبى ﷺ فيدفع أحدهم لمدح الإمام مدحاً عظيماً..الى آخر ما ذكروه في أحواله.فمثل هذا الأمر حضوره في الجبانة وإظهار شخصه أمام السذج بمظهر المتعاطف ليس شيئاً مستنكراً. فكم وجدنا من السياسيين، والزعماء الدنيويين من يقتل القتيل ويمشي في جنازته باكياً !!

ثم إنه بمراجعة كتابه الآخر (العباس) يتبين أن السيد المقرم رحمه الله يخالف نظريته في كتاب مقتل الحسين في أكثر من موضع ويبني على أساس أن أم البنين كانت موجودة إلى ما بعد زمان واقعة كربلاء، فقد ذكر في صفحة (١٣٣) أن السيدة

زينب قد زارت أم البنين بعد وصولهم إلى المدينة تعزيها بأولادها كما كانت تزورها أيام العيد. وتعزية زينب ﷺ وزيارتها لأم البنين بعد وصولهم إلى المدينة يشير بوضوح إلى حياتها إلى ذلك الوقت. بل أن ما نفاه هناك، أثبته هنا في مواضع متعددة منها في صفحة ٣٩٨ حيث قال: وأول من رثاه أي العباس أمه أم البنين كما في مقاتل الطالبيين فإنها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها اشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس لسماع ندبتها ... ويستدل على خطأ ما نقله أبو الفرج والطبري من أنه أبا الفضل قدم إخوته ليقتلوا أمامه لكي يرثهم (!!) يقول في صفحة ٢٠٣: وما أدري كيف خفي عليهما أي المؤرخين المذكورين (عدم إمكان) حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أمهم أم البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ، ولم يجهل العباس شريعة تربى في خلالها..

كما يقول مثبتاً وجود أم البنين حتى يوم الطف، في صفحة ٢٠٦: وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتى لو قلنا على بُعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف لوجود الأطرف وعبيد الله بن النهشلية..كما يشاركهم سيد شباب الجنة وزينب وأم كلثوم وغيرهن من بنات أمير المؤمنين ...هذا إن قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياته يومئذ وأنها بقيت بالمدينة وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة..

ولا نعلم عن تأريخ كتابته الكتابين وأيهما المتقدم ليكون المتأخر هو الناسخ، والرأي الأخير للمؤلف، فإن كان العباس هو الكتاب الأخير يكون ما ورد فيه عدولاً عن ما ورد في كتاب مقتل الحسين، وإن كان العكس فيلزم أن يشير إلى ما سبق أن شيّده وأكّده في كتاب العباس؟

وعلى كل حال فإن ما بذله المحقق المقرم رضوان الله عليه من جهد في كتاب مقتل الحسين في نفي حياتها أخيرا مع أنه كان في بداية حديثه مقتصرا على عدم العثور على نص يوثق حياتها، لا يمكن المساعدة عليه أو قبوله. ونفس الكلام الذي

قاله بعدم وجود نص يوثق حياتها يعود في عدم وجود نص يوثق وفاتها، مع أن بقاءها إلى ما بعد مقتل الحسين ﷺ أمر طبيعي، وهو مقتضى الأصل.

س: كيف يمكن تقييم حركة المختار الثقفي وشخصيته؟ فإننا نلاحظ في الروايات مدحاً له وذماً؟

تعرض المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله إلى حملة تشويه لحركته ولشخصيته على السواء من قبل فئتين في التاريخ الإسلامي: الأمويين الذين حاربهم في البداية واستأصل شوكتهم، وانتقم لآل محمد منهم، وسيأتي في الملحقات ذكر بعض من أقام عليهم جزاء جناياتهم من قادة الأمويين وأتباعهم الذين كان لهم دور سيء في كربلاء. ومن الزبيريين الذين حاربهم وهزمهم في البداية ومع أنهم قد انتصروا عليه في نهاية الأمر لفترة قصيرة لكي ينهزموا بعدها أمام الأمويين، إلا أن المختار كان قد عبأ الجو الكوفي الذي كانوا يحاولون استمالته إلى جانبهم، عبأه ضدهم فلم ينتفعوا به إلى الأخير. فكان أن شنوا عليه الحرب الاعلامية أثناء المعركة وبعدها.. وإذا علمنا أن من الزبيريين من كان شغله التاريخ وذكر الانساب، فقد غذّوا المصادر التاريخية بعدهم بالمعلومات المشوهة لحركة المختار وشخصيته بما يصل في بعضها إلى التناقض أوالتضاد ولكن ذلك لا يهم إذا كان الغرض عندهم يتحقق.

وربما وصلت تأثيرات تلك الحرب الاعلامية إلى الوسط الذي كان يؤيد حركة المختار مما يشير إليه النهي الصادر عن الإمام بأن لا يسبوا المختار ولا يتكلموا ضده.

فعن أبي جعفر الباقر ﷺ: لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة وقد رواه الكشي بسنده عن حمدويه عن يعقوب عن ابن ابي عمير وهم ثقات عن هشام بن المثنى وهو وإن لم يوثق توثيقاً خاصا

إلا أنه ممن روى عنه المشايخ الثقات عن سدير والد حنان وهو ممدوح وممن روى عنه المشايخ الثقات، وقد استحسن هذا الطريق في الخلاصة وكذا السيد بن طاووس.

وعن الصادق عليه السلام بسند حسن: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام رواه الكشي عن إبراهيم بن محمد بن العباس الختلي (وهو ممدوح) عن أحمد ابن ادريس عن محمد ابن احمد عن الحسن بن علي (بن عبد الله بن المغيرة) عن العباس بن عامر عن سيف بن عميرة عن جارود بن المنذر (هؤلاء ثقات إماميون).

والغريب أن هذه الحملة المضادة للمختار اشترك فيها (المتخاصمان) الأمويون الذين انتقم منهم ومن أنصارهم، والزبيريون الذين ثار على واليهم في الكوفة وهم الذين تحالفوا فيما بعد مع من استطاع الهرب من قتلة الحسين عليه السلام.. وعملوا على تلك الحملة بشكل دقيق ومستمر مما جعل أثرها يبقى إلى الآن في كتب التاريخ والأدب.

فتارة يصورونه بأنه ادعى النبوة وأن الوحي ينزل عليه وأخرى يتهمونه بأنه من الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية، ولا أدري (ولا المنجم يدري) كيف يجتمع ادعاء النبوة مع اتّباع محمد بن الحنفية؟ والمشكلة التي ساعدت على انتشار مثل هذه التهم أن الظرف الذي كان يمر به الإمام زين العابدين لم يكن ليسمح له باظهار علاقة المختار به..

وربما يلاحظ أن في كتب الرجال روايات يستفاد منها ذم المختار بن ابي عبيدة وهذه إما أن تكون غير نقية السند، وإما أنه يمكن توجيهها ببعض الجهات، فإن من أفضل أصحاب الإمامين الباقر والصادق وهو زرارة لو لم يكن أفضلهم، ومع ذلك قد وردت روايات وبعضها تام السند فيها ذم ظاهري له، وذلك للحفاظ عليه

مثلما خرق الخضر السفينة لكي تنجو من الملك الغاصب. فمنها ما رواه جبرئيل بن احمد عن العنبري عن محمد بن عمرو عن يونس بن يعقوب عن أبي جعفر ﷺ: كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين وبعث إليه بهدايا من العراق فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليه رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم.

وفيه أن جبرئيل بن أحمد وهو الفاريابي لم يوثق، والعنبري لا ذكر له في الرجال ويحتمل أن يكون العبيدي محمد بن عيسى وهو ثقة، والمشكلة أيضاً في رواية يونس بن يعقوب وهو من أصحاب الصادق والكاظم والرضا ﷺ وتوفي في زمن الإمام الرضا ولم يرو عن الباقر ﷺ أصلا، وإنما رواياته عن الباقر إما بالواسطة كما يلحظ المتتبع في الكافي والتهذيب أو مرفوعة عن الإمام الباقر كما في أصول الكافي، ولم ترد ولا رواية واحدة عنه عن الإمام الباقر، وأن يكون (أبو جعفر) في الرواية مقصودا به الجواد غير محتمل لوفاة يونس في زمن الرضا. فهذه الرواية مرفوعة للإمام الباقر ولا يمكن الاعتماد عليها.

وهناك روايات أخرى حتى لو سلمت من المناقشة السندية، فإنه يمكن توجيهها بالتقية حيث أن سلطنة المختار لم تكن شاملة، وكان الإمام السجاد ﷺ يعلم حتى بالمقاييس الطبيعية للحكم على الأشياء فضلا عن علم الإمامة أن أمر المختار لا يتم، فلم يكن من الصالح إظهار التأييد العلني له، أو بيان علاقته به.

كما يمكن الجمع بين الروايات التي تشير إلى رفض الإمام استقباله وبين الروايات المادحة له بما ذكره ابن نما، من أن أنصار المختار جاؤوا لمحمد بن الحنفية طالبين منه النصر والتأييد، فجاء بهم إلى الإمام زين العابدين وعرض عليه أمرهم، فقال ﷺ: يا عم لو أن عبدا اسود تعصب لنا اهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت.. وقد لا يحتمل وضع الكتاب هذا مزيدا من التحقيق في الروايات، فيمكن لمن أراد المزيد من التفصيل مراجعة تنقيح

المقال للعلامة المامقاني، وتنزيه المختار للمحقق السيد المقرم وهو مطبوع في آخر كتابه زيد الشهيد.

س: سؤال: عن الحياة الأسرية للإمام الحسين ﷺ: زوجاته؟

الجواب: يتحدث المؤرخون عن أن الامام الحسين ﷺ، كان له (٥) نساء بالعقد الدائم، وبالطبع فإنه لا يجوز لغير النبي ﷺ، أن يتزوج أكثر من أربع نساء بالعقد الدائم، فلا يمكن للحسين ﷺ أن يجمع الخمس في وقت واحد، وإنما بعد وفاة احداهن يستطيع أن يستكمل عدد الأربع..

وعدم جواز أكثر من أربع لغير النبي ليس راجعا إلى موضوع العدالة بينهن، بحد ذاته، فإننا نعتقد أنها كما تتيسر للنبي، كذلك تتيسر للإمام المعصوم، وإنما هي من مختصات النبي، حيث له مختصات تحدث عنها العلماء، في النكاح والعبادة وغيرها.

وأما عن زوجات الحسين ﷺ فهن التاليات:

١. شهربانو وهي من بنات الأسرة الملكية في فارس على المشهور.. وهناك روايتان في زواجها منه: المشهورة[١] بين مؤرخي مدرسة الخلفاء، وقسم من مؤرخي مدرسة أهل البيت ﷺ[٢]، وهي القائلة أنه بعد هزيمة الفرس أيام

---

(١) عمدة الطالب: ١٩٢ / ولد أربعة بنين وبنتين وعقبه من ابنه على زين العابدين السجاد ذي الثفنات، وقد اختلف في أمه فالمشهور أنها شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار بن أبرويزد، وقيل إن اسمها شهربانو، قيل نهبت في فتح المدائن فنفلها عمر بن الخطاب من الحسين «ع» وقيل بعث حريث بن جابر الجعفي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع» ببنتي يزدجرد بن شهريار فأخذهما وأعطى واحدة لابنه الحسين «ع» فأولدها علي بن الحسين «ع» وأعطى الأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالة، وقال ابن جرير الطبري: اسمها غزالة وهي من بنات كسرى.

(٢) وقد نقل الكليني رحمه الله في الكافي رواية بنفس مضمون الرواية المشهورة، إلا أن تلك الرواية

الخليفة الثاني عمر، وحصول المسلمين على غنائمهم، وسبي نسائهم كان في السبي بنتان من بنات كسرى. فلما جيء بهن، أخبر الامام علي ﷺ، الخليفة الثاني أن في الاسلام عز الأذلاء، ولا ذل الأعزاء.. وأنه ليس من الصالح أن تباع هذه النساء في الأسواق، وإنما يخيرن فإن اختارت أحدا من المسلمين كانت من نصيبه، ويتحمل التفاوت المالي.. وهكذا كان فاختارت احداهما الامام الحسين ﷺ، والثانية محمد بن أبي بكر.. فتزوجاهما وأولداهما علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، فالقاسم وزين العابدين أبناء خالة.

ويرد على هذه الرواية ملاحظة وهي: أن هذا يتنافى مع ما هو المعروف من تاريخ ولادة زين العابدين ﷺ وعمره في كربلاء. فإن غزو الجيوش المسلمة لفارس زمان الخليفة الخليفة الثاني كانت على مرحلتين في سنة (١٤) هـ،وفي سنة (٢٣) هـ حيث انتهت الدولة الفارسية وفيها أيضا توفي الخليفة، فيفترض أن يكون زواج الحسين بها في هذه السنة، ولو فرضنا أنه ولد للحسين في السنة الأولى أو الثانية من الزواج، فهذا يعني أن ولادة الامام السجاد تكون أيام الخليفة عثمان، وأن عمره في كربلاء كان (٣٦) سنة، وهو مخالف لما عليه المؤرخين فإن أكثرهم مبالغة في عمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين. ومؤرخو سيرة الامام السجاد ينصون على أنه شهد من أيام أمير المؤمنين سنتين أو ثلاثا.. فقط.

ولذلك فنحن نميل إلى الرواية الثانية التي أوردها الشيخ المفيد في الارشاد والقائلة بأن: أمير المؤمنين ﷺ ولي حريث بن جابر الحنفي جانبا من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين ﷺ شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين ﷺ، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد ابن أبي بكر، فهما ابنا خالة وكان مولد علي بن الحسين ﷺ بالمدينة سنة

ضعيفة من حيث السند. بالاضافة إلى ما سيذكر من الملاحظة على مضمونها.

ثمان وثلاثين من الهجرة، فبقي مع جده أمير المؤمنين ﷺ سنتين، ومع عمه الحسن عشر سنين، ومع أبيه الحسين ﷺ إحدى عشرة سنة »[1] وهذه الرواية تتناسب مع ما هو مشهور من إدراك زين العابدين لسنتين من أيام الامام علي ﷺ، وتكون سنة الزواج في حدود سنة ٣٧ هـ. وعمره أيام كربلاء بين ٢٢ ٢٤ سنة.

نعم الرواية غير مذكورة فيما رأيت في كتب التاريخ العام (الرسمي)، ولا توجد تفاصيل عنها وأنها متى حدثت؟ وفيها تساؤل عن أن الأسرة الملكية الفارسية يفترض أنها قد تقوضت قبل هذا التاريخ؟

٢. أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، كانت زوجة الامام الحسن المجتبى ولدت له ولدا، ويظهر من خلال وصية الامام الحسن ﷺ، أن لا تخرج من بيوت بني هاشم[2]. أن لها ميزة خاصة تجعله يوصي بذلك، فبقيت وتزوجها الإمام الحسين ﷺ.. وقد نقل عنها شيء من رصدها لعبادة الحسنين ﷺ، فكانت تقول: كان الحسن بن علي يأخذ نصيبه من قيام الليل من أول الليل كان الحسين يأخذ نصيبه من آخر الليل [3].

وأنجبت أم اسحاق للحسين ﷺ، ابنته فاطمة التي وصفها أبوها بأنها تشبه الحور العين في جمالها وفي العبادة تشبه أمها الزهراء ﷺ.

٣. الرباب بنت أمرئ القيس بن عدي الكلبي: وينقل المؤرخون أنه تزوجها أيام الخليفة عمر بن الخطاب، عندما جاء أبوها ليسلم، فلحق به بعد اسلامه الإمام علي ورغب إليه في المصاهرة معه، فأجابه وزوج بناته الثلاث:

---

(١) المفيد ؛ محمد بن النعمان: الارشاد ٢/ ١٣٨

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧٠/ ١٧ قال: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وكانت قبله عند لحسن بن علي فولدت له طلحة لا عقب له فلما حضرت حسنا الوفاة قال لأخيه حسين يا أخي لا تخرجن أم إسحاق من دوركم فخلف على أم إسحاق الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٣) الكوفي: بن أبي شيبة ؛ المصنف ٢/ ١٧٤

المحياة للإمام علي، وسلمى (أو زينب) لابنه الحسن، والرباب للحسين ﷺ! وأنجبت له: سكينة، وعبد الله، وهي وابنتها التي يقول فيهما الحسين ﷺ كما نقلوا:

لعمـرك إننـي لأحـب دارا تحل بها سكينة والربـاب
أحبهـما وأبـذل جـل مـالي وليس لعاتب عندي عتاب

وبالرغم من أن أكثر المؤرخين[1] ذكروا الرواية الرسمية الآنفة عن زواج الإمام علي وابنيه ببنات امرئ القيس إلا أن هناك مجالا للتأمل فيها والنقاش:

١. وهو أنه على فرض أنه الحسين تزوج بها أيام الخليفة الثاني، وقبل وفاته سنة (٢٣ هـ) فإنه يكون قد مر على هذا الزواج إلى أيام عاشوراء ٦١ هـ، على الأقل ٣٨ سنة، فلو فرضنا أن عمر الرباب حين الزواج كان ١٥ سنة، فهذا يعني أنها في أيام عاشوراء كانت تبلغ ٥٣ هـ وفي مثل هذه السن كيف لها أن تنجب عبد الله (الرضيع) سواء قلنا إن عمره ستة أشهر أو دون ذلك؟

٢. إن من المعلوم أن فاطمة بنت الحسين هي أكبر من أختها سكينة، وقد تزوج

---

(١) الظاهر أن من أوائل من ذكرها كان أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) في كتابه أنساب الأشراف ٢/ ١٩٥، فقال: حدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه عن جده عن عبد الله ابن حسن بن حسن، عن عبد الجبار بن منظور بن ريان الفزاري، عن عوف بن حارثة المري قال:
بينا نحن عند عمر إذا قيل امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبي فإذا رجل أمعر أجلى فوقف على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إني أحببت الإسلام فاشرحه لي. قال: ومن أنت؟ قال:
أنا امرئ القيس بن عدي بن أوس العليمي من كلب. فقال عمر: أتعرفونه؟ قالوا: هذا الذي أغار على بكر بن وائل، وهو أسر الدعاء بن عمرو. أخا مفروق بن عمرو. فشرح له عمر الإسلام فأسلم وعقد له على جنود قضاعة، فلم يُر رجل قبله لم يصلّ قط عقد له على مسلمين - فخرجٍ يهتز لواؤه بين يديه، فأدركه عليّ فأخذ بمنكبيه وقال: يا عم أنا علي ابن أبي طالبٍ ابن عم النبي صلّى الله عليه وسلم وهذان ابناي الحسن والحسين أمّهما فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقد أحببت مصاهرتك لنفسي ولهما فزوّجنا. قال: نعم ونعمة عين وكرامة، قد زوّجتك يا أبا الحسن المحياة بنت امرئ القيس، وزوّجت حسنا زينب، وزوّجت حسينا الرباب بنت امرئ القيس.

الحسين ﷺ بأم فاطمة وهي أم اسحاق بنت طلحة، كما تقدم بعد شهادة أخيه الحسن المجتبى سنة ٥٠ هـ لأنها كانت زوجة الحسن وهذا يعني أن فاطمة بنت الحسين لا يمكن أن يكون عمرها في محرم ٦١ هـ، أكثر من ١١ سنة ! وبناء عليه فإن سكينة إلى ذلك الوقت كانت بنت عشر سنين أو دونها.. فهل هو طبيعي أن يتزوج الحسين أم سكينة (الرباب) سنة ٢٣ هـ، وينجب منها سكينة سنة ٥٠ هجرية؟ أي بعد ٢٧ سنة من ذلك الزواج؟

٣. هناك تساؤل: هل أنه يراد أن توظف بعض الحوادث التاريخية، في الجانب العقدي والسياسي، لعمل مصالحة بين خطي الخلافة والامامة، بتصوير أن العلاقات كانت بين الخطين على أفضل حال، وكان هناك اعتراف من قبل الامام وإمضاء لما يجري؟ فمثلا: تصوير زواج الامام علي ﷺ بخولة الحنفية باعتبارها غنيمة في أيام الخليفة الأول، واعتبار الامام علي ذلك أمرا شرعيا، وعملا صائبا، وترتيبه الأثر على هذا الغزو.. مما يعني ضمنيا الاعتراف بصحة الخلافة ! وهكذا الحال عندما يتم الحديث عن سبي بنات كسرى أيام الخليفة الثاني، واعتبار ذلك شيئا شرعيا وعملا سائغا، مما يعطي اعترافا بالخلافة القائمة، وعلى مستوى استحلال (الفروج) ! وهكذا الحال في أمر زواج الامام علي والحسنين ببنات امرئ القيس ! هو تساؤل !

وعلي أي حال، فقد كانت الرباب شديدة المحبة للحسين ﷺ، كما كان هو لها، وينقل عنها كما نقل عنه صلوات الله عليه ما يفيد هذا المعنى، فلقد رثته بحرقة في مجلس يزيد لما رأت رأسه الشريف يقرع بعود الخيزران، قائلة:

وا حسينا فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعا لا سقى الله جانبي كربلاء

وأيضا قالت:

إنّ الذي كان نورا يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون

سـبط النبـيّ جـزاك اللهً صالحة — عنا، وجنّبت خسران الموازين
قد كنـت لي جبلا صعبـا ألوذ به — وكنت تصحبنا بالرّحم والدّين
من لليتامى ومن للسـائلين ومن — يغني ويأوي إليه كلّ مسكين
واللهً لا أبتغـي صهـرا بصهركم — حتى أغيّب بين الرمل والطين

وأنها ردت كل من خطبها بعد شهادة الحسين ﷺ،ولم تستظل بظل سقف، وكان عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) قد هدم عدة دور، من بينها دار الرباب في المدينة[١]، وتوفيت بعده بسنة واحدة [٢].

٤. ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهي والدة علي الأكبر الشهيد، وقد شبه النبي ﷺ جدها بأنه كصاحب ياسين، فقد أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف. واستأذن النبي ﷺ في الرجوع إلى قومه، فقال له النبي: إني أخاف أن يقتلوك، فقال: إن وجدوني نائما ما أيقظوني (أي يحترمونه كثيرا)، فأذن له رسول الله ﷺ، فرجع إلى الطائف ودعا قومه إلى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه الأذى حتى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره فأذن وتشهد فرماه رجل بسهم فقتله ولما بلغ النبي ﷺ قتله قال: مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه.

ووالدها هو أبو مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ويعد من أصحاب النبي أيضا، فقد جاء وهو صغير- وأخوه وأخبرا النبي بمقتل أبيهما وأسلما على يدي النبي[٣]. وقد تزوج أبو مرة ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، وأنجبا ليلى التي تزوجها الإمام الحسين ﷺ. وقد نقل عن الواقدي أنه (أي أبو مرة) ولد على عهد النبي ﷺ،

ومع ملاحظة هذا وقدومه على النبي يكون أكبر سنا من الامام الحسين ﷺ بعدة

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ٣/ ٢٦٩

(٢) للمزيد من التفصيل حول حياتها يمكن مراجعة كتاب (نساء حول أهل البيت) لكاتب هذه السطور.

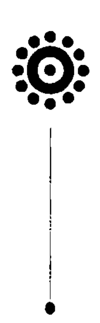
(٣) العسقلاني ؛ ابن حجر: الإصابة ٧/ ٣٠٦

سنوات، ونحن نحتمل بناء على بعض المقاربات أن يكون زواج الحسين بها مع ملاحظة كون عمر علي الأكبر ابنها الشهيد في كربلاء (٢٨ سنة) ما بين سنة (٣١ـ و٣٢ هـ).

وهناك خلاف بين المؤرخين في أنها شهدت كربلاء أو لا ! ففيما ذكر المحدث القمي أنه لم يعثر على شيء يدل على مجيء ليلى إلى كربلاء، وقبله المحقق التستري بأنه لم يذكر أحد من أصحاب السير المعتبرة حياة ليلى إلى أيام كربلاء، دافع السيد جعفر العاملي عن ذلك، مشيرا إلى أنه قد ورد في كلمات ابن شهرآشوب المازندراني (مناقب آل أبي طالب) حيث قال في ذيل مصرع علي الأكبر « وضمَّه إلى صدره وأتى به إلى باب الفسطاط فصارت أمه شهربانويه ولْهى تنظر ولا تتكلم) وحمل السيد العاملي ذكر شهربانويه هنا على الاشتباه. وفي المقابل لم يذكر أحد أنها توفيت أيضا ! واستفاد من ذلك عدم صحة الجزم بغيابها عن كربلاء. أقول: نفس الكلام يأتي في شأن أم اسحاق بنت طلحة. (ويمكن في هذا المجال مراجعة جواب السؤال الخاص بحضور النساء في كربلاء أو دورهن).

٥. امرأة من قضاعة: لم نعثر على ذكر واضح لها في كتب التاريخ والتراجم، ومن ذلك القليل المذكور ذكر أنها أنجبت طفلا للحسين توفي وهو صغير وبعضهم قال إن اسمه جعفر. وهي بدوره توفيت في وقت مبكر.

ملحقات



1/ شهداء الفتح الحسيني

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(١)

١/ الزيارة المنسوبة للإمام الحجة، والتي تحتوي على أسماء شهداء كربلاء:

جاء في كتاب إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس الحسني:

فيما نذكره من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء رويناها باسنادنا الى جدي أبي

---

(١) سورة الزمر: ٧٣

جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمة الله عليه، قال حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش قال: حدثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي رحمة الله عليه، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الاصفهاني رحمه الله، حين وفاة أبي رحمه الله، وكنت حديث السن، وكتبت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله ﷺ وزيارة الشهداء رضوان الله عليهم فخرج إلي منه: بسم الله الرحمن الرحيم. إذا أردت زيارة الشهداء رضوان الله عليهم فقف عند رجلي الحسين ﷺ، وهو قبر علي بن الحسين صلوات الله عليهما، فاستقبل القبلة بوجهك، فإن هناك حومة الشهداء، وأومِ وأشر إلى علي بن الحسين ﷺ، وقل: السلام عليك يا أول قتيل، من نسل خير سليلِ، من سلالة إبراهيم الخليل، صلى الله عليك وعلى أبيك، إذ قال فيك: (قتل الله قوما قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الرحمان، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا) كأني بك بين يديه ماثلا، وللكافرين قائلا:

أنــا عــلي بن الحســين بــن علي ... نحن، وبيت الله أولى بالنبي
أطعنكــم بالرمــح حتــى ينثني ... أضربكم بالسيف، أحمي عن أبي
ضرب غــلام هاشــمي عــربي ... والله لا يحكم فينا ابن الدعي

حتى قضيت نحبك، ولقيت ربك أشهد أنك أولى بالله وبرسوله، وأنك ابن رسوله (وحجته ودينه) وابن حجته وأمينه. حكم الله لك على قاتلك: مرة بن منقذ بن النعمان العبدي، لعنه الله وأخزاه ومن شركه في قتلك، وكانوا عليك ظهيراً، وأصلاهم الله جهنم وساءت مصيراً، وجعلنا الله من ملاقيك ومرافقيك، ومرافقي جدك وأبيك وعمك وأخيك، وأمك المظلومة، وأبرأ إلى الله من قاتليك، وأسأل الله مرافقتك في دار الخلود، وأبرأ إلى الله من أعدائك أولي الجحود. السلام عليك ورحمة الله وبركاته..

السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع، المرمي الصريع، المتشحط

دماً، المصعد دمه في السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي و ذويه.

السلام على عبد الله بن أمير المؤمنين، مبلي البلاء، والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء، المضروب مقبلاً ومدبراً، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

السلام على العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه. لعن الله قاتليه، يزيد بن الرقاد (وقاد) الحيتي، وحكيم بن الطفيل الطائي.

السلام على جعفر بن أمير المؤمنين، الصابر بنفسه محتسبا، والنائي عن الاوطان مغتربا، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

السلام على عثمان بن أمير المؤمنين، سمي عثمان بن مظعون، لعن الله راميه بالسهم خولى بن يزيد الاصبحي الايادي، والاباني الدارمي.

السلام على محمد بن أمير المؤمنين قتيل الاباني الدارمي لعنه الله وضاعف عليه العذاب الاليم. وصلى الله عليك يا محمد وعلى أهل بيتك الصابرين.

السلام على أبي بكر بن الحسن الزكي الولي، المرمي بالسهم الردي، لعن الله قاتله عبد الله بن عقبة الغنوي.

السلام على عبد الله بن الحسن بن علي الزكي، لعن الله قاتله وراميه حرملة بن كاهل الأسدي.

السلام على القاسم بن الحسن بن علي المضروب هامته، المسلوب لامته حين نادى الحسين عمه، فجلى عليه عمه كالصقر، وهو يفحص برجله التراب، والحسين يقول: بعدا لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك، ثم قال: عز والله

على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك وأنت قتيل جديل فلا ينفعك، هذا والله يوم كثر واتره، وقل ناصره. جعلني الله معكما يوم جمعكما، وبوأني مبوأكما، ولعن الله قاتلك عمرو بن سعد بن نفيل الازدي وأصلاه جحيماً، وأعد له عذاباً أليماً.

السلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمثاني والقرآن، لعن الله قاتله عبد الله بن قطبة النبهاني.

السلام على محمد بن عبد الله بن جعفر الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقيه ببدنه، لعن الله قاتله عامر بن نهشل التميمي.

السلام على جعفر بن عقيل، لعن الله قاتله (وراميه) بشر بن خوط الهمداني.

السلام على عبد الرحمن بن عقيل لعن الله قاتله وراميه عمر بن خالد بن أسد الجهني.

السلام على القتيل بن القتيل، عبد الله بن مسلم بن عقيل ولعن الله قاتله عامر بن صعصعة، وقيل: أسد بن مالك.

السلام على أبي عبد الله بن مسلم بن عقيل ولعن الله قاتله وراميه عمرو بن صبيح الصيداوي.

السلام على محمد بن أبي سعيد بن عقيل ولعن الله قاتله لقيط بن ناشر الجهني.

السلام على سليمان مولى الحسين بن أمير المؤمنين ولعن الله قاتله سليمان بن عوف الحضرمي.

السلام على قارب مولى الحسين بن علي.

السلام على منجح مولى الحسين بن علي.

السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف. أنحن نخلي عنك؟ وبمَ نعتذر إلى الله من أداء حقك، ولا والله حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ثم لم أفارقك حتى أموت معك، وكنت أول من شرى نفسه وأول شهيد من شهداء الله قضى نحبه، ففزت ورب الكعبة، شكر الله لك استقدامك ومواساتك إمامك إذ مشى إليك وأنت صريع فقال: يرحمك الله يا مسلم ابن عوسجة، وقرأ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] لعن الله المشتركين في قتلك عبد الله الضبابي وعبد الله بن خشكارة البجلي.

السلام على سعد بن عبد الله الحنفي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله لو أعلم أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى، ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا. فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين.

السلام على بشر بن عمر الحضرمي. شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حياً إذا فارقتك، وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الاعوان لا يكون هذا أبداً.

السلام على يزيد بن حصين الهمداني المشرقي القاري المجدل. السلام على عمران بن كعب الأنصاري.

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية ٢٣

السلام على نعيم بن عجلان الأنصاري.

السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين ﷺ وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً، أأترك ابن رسول الله ﷺ أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراني الله ذلك اليوم.

السلام على عمرو بن قرظة الأنصاري.

السلام على حبيب بن مظاهر الأسدي.

السلام على الحر بن يزيد الرياحي.

السلام على عبد الله بن عمير الكلبي.

السلام على نافع بن هلال البجلي المرادي.

السلام على أنس بن كاهل الأسدي.

السلام على قيس بن مسهر الصيداوي.

السلام على عبد الله وعبد الرحمن ابني عروة بن حراق الغفاريين.

السلام على جون مولى أبي ذر الغفاري.

السلام على شبيب بن عبد الله النهشلي.

السلام على الحجاج بن يزيد السعدي.

السلام على قاسط وكرش ابني زهير التغلبيين، السلام على كنانة بن عتيق.

السلام على ضرغامة بن مالك.

السلام على جوين بن مالك الضبعي.

السلام على عمرو بن ضبيعة الضبعي.

السلام على زيد بن ثبيت القيسي.

السلام على عبد الله وعبيد الله ابني يزيد بن ثبيت القيسي.

السلام على عامر بن مسلم.

السلام على قعنب بن عمرو النمري.

السلام على سالم مولى عامر بن مسلم.

السلام على سيف بن مالك.

السلام على زهير بن بشر الخثعمي.

السلام على بدر بن معقل الجعفي.

السلام على الحجاج بن مسروق الجعفي.

السلام على مسعود بن الحجاج وابنه.

السلام على مجمع بن عبد الله العائذي.

السلام على عمار بن حسان بن شريح الطائي.

السلام على حيان بن الحارث السلماني الازدي.

السلام على جندب بن حجر الخولاني.

السلام على عمرو بن خالد الصيداوي. السلام على سعيد مولاه.

السلام على يزيد بن زياد بن المظاهر الكندي.

السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي.

السلام على جبلة بن علي الشيباني.

السلام على سالم مولى بني المدنية الكلبي.

السلام على أسلم بن كثير الازدي.

السلام على قاسم بن حبيب الازدي.

السلام على عمر بن الاحدوث الحضرمي.

السلام على أبي ثمامة عمر بن عبد الله الصائدي.

السلام على حنظلة بن أسعد الشبامي.

السلام على عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الارحبي.

السلام على عمار بن أبي سلامة الهمداني.

السلام على عابس بن شبيب الشاكري. السلام على شوذب مولى شاكر.

السلام على شبيب بن الحارث بن سريع.

السلام على مالك بن عبد الله بن سريع. السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني.

السلام على المرتث معه عمرو بن عبد الله الجندعي.

السلام عليكم ياخير أنصار. السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، بوأكم الله مبوأ الأبرار، أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء، ومهد لكم الوطاء وأجزل لكم العطاء، وكنتم عن الحق غير بطاء، وأنتم لنا فرط، ونحن لكم خلطاء في دار البقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [1].

---

(١) ناقش المرحوم آية الله شمس الدين في كتابه أنصار الحسين عليه السلام، الزيارة من الناحية السندية، وتأمل فيها من جهة أنها إما أن يكون تأريخ صدورها المذكور في أولها غير دقيق، أو أنها ليست منسوبة للإمام الحجة.. فقال:.. والتاريخ المذكور للزيارة، وهو سنة اثنتين وخمسين ومائتين، لا يتفق مع نسبتها إلى الناحية، والمعني بهذا المصطلح هو الامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، فقد ولد الامام المهدي عليه السلام سنة ٢٥٦ هـ أو ٢٥٥ هـ، وتوفي والده الامام الحسن العسكري عليه السلام في اليوم الثامن من شهر ربيع الاول سنة ٢٦٠ هـ وقد تنبه الشيخ المجلسي إلى هذه الاشكال، فقال في البيان الذي عقب به على

الزيارة: (واعلم أن في تاريخ الخبر إشكالا، لتقدمها على ولادة القائم ﷺ بأربع سنين. لعلها كانت اثنتين وستين ومائتين، ويحتمل أن يكون خروجه (الخبر) عن أبي محمد العسكري ﷺ. وإذن فنحن، بسبب هذا التعارض بين تاريخ صدور الزيارة ونسبتها أمام خيارين. الاول تأخير تاريخ صدورها عشر سنين فتكون قد صدرت سنة (٢٦٢ هـ.) بدلا من (٢٥٢ هـ) وعلى هذا فيمكن الحفاظ على نسبتها إلى الامام الثاني عشر. الثاني التخلي عن نسبتها، والمحافظة على تاريخها بافتراض أنها صادرة عن الامام الحادي عشر أبي محمد العسكري ﷺ. وقد جزم التستري بهذا الافتراض فقال: (.. والمراد بالناحية فيه (الخبر) لا بد أن يكون العسكري ﷺ، لان الحجة لم يكن ولد في تلك السنة.

أقول: يظهر أن ما ذهب إليه المحقق التستري رحمه الله هو الأقرب، بالرغم من أن لفظ الناحية إذا أطلق فإنه يقصد منه صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، إلا أننا وجدنا في كتب الحديث والمصادر الرجالية أيضاً التعبير عن غير الامام الحجة بلفظ الناحية، مما يسهل أمر حمل اللفظ على الاحتمال الثاني وهو أنها صادرة عن الامام العسكري ﷺأو الذي كان أيضاً في فترات معينة يتعامل مع شيعته بنحو غير مباشر، تمهيدا للمرحلة القادمة وتعويدا لهم على التعامل مع إمام مستور. فنحن نرى أن هذا اللفظ قد استعمل من قبل الامام الجواد ﷺ للإشارة إلى أمر التشيع فقد نقل الشيخ الطوسي عن داود أبي هشام الجعفري، قال، قلت لابي جعفر ﷺ: ما تقول في هشام بن الحكم؟ فقال: رحمه الله ما كان أذبه عن هذه الناحية. أي المذهب.. أو الامام. ونقل الكليني رضوان الله عليه في الكافي عن علي بن عبد الغفار قال دخل العباسيون على صالح بن وصيف ودخل صالح ابن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد ﷺ، فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكلت به رجلين من أشر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت: لهما ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله. ويحتمل فيه أن المقصود هو انحرافه عن خط الامامة أو عن الامام العسكري ﷺ. وحين يتحدث الشيخ الصدوق عن إبراهيم بن محمد الهمداني يصفه بأنه وكيل الناحية مع أنه لم يدرك الامام الحجة بل ولا العسكري وإنما هو من أصحاب الرضا والجواد والهادي فقد قال في من لايحضره الفقيه:

إبراهيم بن محمد الهمداني من أصحاب أبي الحسن الهادي ﷺ ووكيل الناحية ثقة جليل والطريق إليه حسن كالصحيح بإبراهيم بن هاشم. وأما العلامة في الخلاصة فقد استعمل لفظ الناحية للدلالة على الائمة الحجة و العسكري والهادي فقال: محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد الهمذاني - بالذال المعجمة - روى عن ابيه، عن جده، عن الرضا ﷺ، وكان محمد وكيل الناحية، وابوه علي وكيل الناحية، وجده إبراهيم بن محمد وكيل الناحية. ويتحدث السيد بن طاووس عن داود بن القاسم (أبي هاشم الجعفري) باعتباره وكيل الناحية الذي لا تختلف الشيعة فيه، وقد كان من أصحاب الجواد والهادي والعسكري ﷺ، وكان وكيلا لهم وتوفي بعد شهادة الامام العسكري بسنة تقريبا..

2/ المصير الأسود لمجرمي كربلاء

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾[١].

يحرص القرآن الكريم في إيراده لقصص الأقوام على التركيز على عواقب الأمور، فيؤكد دائما أن ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، ولكي لا يعمي الواقع الراهن أبصار الناس بزخارف أصحاب المال ومظاهر قوة ذوي السلطان، فإنه يأمر الناس بأن يسيروا في الأرض فينظروا لا إلى الآثار وإنما إلى العاقبة والنهايات ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٣].

ذلك أن المشكلة التي تعترض الكثير من الناس هو أنهم يريدون أن يروا النتائج عاجلة، فييأسوا مع تأخرها من نصر الله، بينما ينصحهم القرآن بأن ينظروا إلى سنن الله في الذين خلوا من قبل، وهذه السنة لن تخطئ من يعاصرونهم من الظالمين والمجرمين.

وفي قضية كربلاء شاهد صدق على سنة الله في الظالمين أ وبرهان حق على أن (العاقبة للتقوى). انظر إلى تأريخ القتلة والمشاركين في الظلم، لم يمر عقد من الزمان إلا وقد تنشبت بهم أنياب أعمالهم فأصبحوا في وهق خطاياهم السابقة. وهلكوا غير مأسوف عليهم من أحد.

وهذه النتائج لأولئك الأشخاص الذين قاموا بالجرائم حرصا على دنياهم ورغبة في بقائهم، فلا متع الدنيا حصلوا عليها ولا البقاء أتيح لهم، فكما قلنا ما مر عقد من الزمان إلا وقد ابتلعت الأرض أجسادهم، وفرقت عن الأجسام رؤسهم.

---

(١) سورة الطلاق: من الآية ٩

(٢) سورة القصص: ٨٣

(٣) سورة النمل: ٦٩

بل ربما لو لم يرتكبوا تلك الجرائم لحصلوا على متع من الدنيا كثيرة، ولعمروا أكثر مما صاروا إليه.

- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: المسؤول الأول عن قتل الامام الحسين ﷺ..عجيب أن كتب التاريخ قد أغفلت كيفية هلاكه، وكأن ذلك كان عقاب التاريخ لمن قام بما قام به من أجل أن يبقى فإذا به في بدايات عمره من حيث السن (٣٨ سنة) يهلك بنحو يُختلف فيه حتى عاد أمر هلاكه مجهولا. فقد نقل في ترجمة اللهوف (باللغة الفارسية) ما حاصله: أنه قد خرج للصيد فاعترضه غزال وظل يطارده إلى أن انفرد عن عسكره وحرسه، ووصل إلى خباء واستسقى صاحبه ماء فسقاه وعرفه على اسمه، فلما عرفه قام إليه الأعرابي ليقتله انتقاماً للحسين ﷺ، فهرب يزيد وتعلق في هذه الأثناء بالركاب ولم يستطع الاستواء على فرسه فظل هذا الفرس وهو مسرع يضرب به كل حجر ومدر حتى هلك إلى لعنة الله.[1] ومر غيره على مصرعه لاعناً إياه، فـأكثر من تعرض لحديث رسول الله القائل بأن من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (البعض قال: إنه في الدنيا، وقال آخرون إنه إذابته في النار، وجمع قسم ثالث بين الأمرين) ذكره في هذا الموضع مع مسلم بن عقبة المري.. هل مجهولية مصرعه جزء من الإذابة؟ فقد ذكر في فيض القدير بعد أن تعرض لشرح الحديث قال: قال القاضي عياض: وهذا حكمه في الآخرة بدليل رواية مسلم أذابه الله في النار أو يكون ذلك لمن أرادهم بسوء في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطاناً بل يذهبه عن قرب كما انقضى شأن من حاربهم أيام بني أمية كعقبة بن مسلم فإنه هلك في منصرفه عنها ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك[2].

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف (فارسي)/ ٢٦٣ مع أن الكاتب قد نقل الرواية عن أبي مخنف إلا أننا لم نجد في الطبري الذي ينقل عن ابي مخنف أكثر روايات المقتل ما هو مذكور أعلاه.

(٢) المناوي ؛ محمد عبد الرؤوف: فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٦/ ٦٦

وقال الطبري: هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم.[١] وبهلاكه انتهى الحكم من الفرع الأموي السفياني، حيث لم يبق ابنه معاوية في الحكم غير شهرين !!

- عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق: والي المدينة الذي عينه يزيد بعد الوليد بن عتبة والذي مال شدقه لكثرة سبه أمير المؤمنين عليه السلام، حتى إذا جاءه خبر قتل الحسين عليه السلام ونودي بقتله، لم يُسمع بواعية كواعية بني هاشم، هنا استخفه الطرب، وأمالته الشماتة.. وتمثل بقول القائل:

عجت نساء بني زياد عجة   كعجيج نسوتنا غداة الارنب..

لم يمر عليه إلا تسع سنوات حتى كان رأسه معزولا عن بدنه. وعاقبته هي ما يذكرها المؤرخون، فإن عبد الملك لما أحكم أمر الشام، ووجه روح بن زنباع الجذامي الى فلسطين شخص عن دمشق، حتى صار إلى بطنان يريد قرقيسيا لمحاربة زفر بن الحارث، وأمرُ ابن الزبير على حاله، فلما صار إلى بطنان من أرض قنسرين أتاه الخبر بأن عمرو بن سعيد بن العاص قد وثب بدمشق، ودعا إلى نفسه، وتسمى بالخلافة، وأخرج عبد الرحمن بن عثمان الثقفي خليفة عبد الملك بدمشق وحوى الخزائن وبيوت الاموال، فعلم عبد الملك أنه قد أخطأ في خروجه عن دمشق، فانكفأ راجعا إلى دمشق، فتحصن عمرو بن سعيد، ونصب له الحرب، وجرت بينهم السفراء، حتى اصطلحا وتعاقدا، وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق والإيمان على أن لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك، ودخل عبد الملك دمشق وانحاز مع عمرو بن سعيد أصحابُه، فكانوا يركبون معه إذا ركب إلى عبد الملك.

ثم دبر عبد الملك على قتل عمرو، ورأى ان الملك لا يصلح له إلا بذلك، فدخل إليه عمرو عشية، وقد أعد له جماعة من أهله ومواليه ومن كان عنده ممن

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٨٣

سواهم، فلما استوى لعمرو مجلسه قال له: يا أبا أمية ! إني كنت حلفت في الوقت الذي كان فيه من أمرك ما كان، أني متى ظفرت بك وضعت في عنقك جامعة، وجمعت يديك إليها. فقال: يا أمير المؤمنين ! نشدتك بالله أن تذكر شيئاً قد مضى. فتكلم من بحضرته، فقالوا: وما عليك أن تبر قسم أمير المؤمنين؟

فأخرج عبد الملك جامعة من فضة، فوضعها في عنقه، وجعل يقول:

أدنيتــه منــي ليســكن روعــه فأصول صولة حازم مستمكن

وجمع يديه إلى عنقه، فلما شد المسار جذبه إليه، فسقط لوجهه، فانكسرت ثنيتاه، فقال: نشدتك الله، يا أمير المؤمنين، أن يدعوك عظم مني كسرته إلى أن تركب مني أكثر من ذلك، أو تخرجني إلى الناس فيروني على هذه الصورة ! وإنما أراد أن يستفزه فيخرجه، وكان على الباب من شيعة عمرو بن سعيد نيف وثلاثون ألفا منهم عنبسة بن سعيد، فقال له: أمكراً أبا أمية، وأنت في الانشوطة؟ وليس بأول مكر، إني والله لو علمت أن الأمر يستقيم، ونحن جميعا باقيان، لافتديتك بدم النواظر، ولكني أعلم أنه ما اجتمع فحلان في إبل إلا غلب أحدهما. وقتله وفرق جمعه، وطرح رأسه إلى أصحابه، ونفى أخاه عنبسة إلى العراق، وكان ذلك سنة ٧٠هـ..

- عبيد الله بن زياد: قال إبراهيم الاشتر القائد العسكري لجيش المختار الثقفي بعد انتهاء المعركة بينهم وبين جيش ابن زياد في سنة ٦٧ هـ: قتلت رجلا شرقت يداه وغربت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا، ضربه فقده نصفين.

س: قتلة الحسين ﷺ وأصحابه وهم ممن شارك في المعركة مباشرة[1]:

---

(١) تم الاعتماد بشكل أساسي على تاريخ الطبري ج ٣. ولسنا في صدد مناقشة كيفية الجزاءات التي تعرض لها أولئك القتلة وإنما في صدد بيان أنه (بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين) وأن لا يتصور

١. عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي[١]: وقد قتل القاسم بن الحسن ﷺ فلم يبرح الموقعة، إذ أن الحسين جلى كالصقر لاستنقاذ القاسم ابن أخيه، بينما راحت خيل بني أمية لاستنقاذ عمرو هذا، فاستقبلته بصدورها ووقع تحت حوافرها وهلك في مكانه.

٢. عمرو بن الحجاج الزبيدي: وهو الذي كان على شريعة الفرات في أربعة آلاف فارس لمنع أصحاب الحسين من الوصول إليها والشرب منها. هرب في أثناء القتال من جيش المختار الثقفي فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ في طريق شراف وواقصة فلم ير حتى الساعة كما يقول الطبري في حوادث سنة ٦٦، فلا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته !!

٣. شمر بن ذي الجوشن:هرب من الكوفة حتى إذا وصل قرية تسمى الكلتانية فوجد علجاً[٢] هناك فضربه وقال: النجاء بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل قرية فيها أبو عمرة، ورأى علجاً آخر فأخذ يشكو إليه ما لقي من شمر وسمعه رجل من أصحاب أبي عمرة ورأى كتابه فسأل عن مكانه فدل عليه وذهبوا إليه فقتلوه.

٤. عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني

٥. مالك بن النسير البدي

٦. حمل بن مالك المحاربي: هربوا إلى القادسية فأرسل المختار خلفه، وجيء بهم إليه فقال: يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين بن علي؟ أدّوا إلي الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في

المجرم بأنه يستطيع أن يفلت من آثار عمله.

(١) الغريب أن أخاه عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي كان ممن خرج مع التوابين بل هو من رؤسائهم واستشهد بعد سليمان والمسيب، كما استشهد معه أخوه الآخر خالد بن سعد بن نفيل. راجع الطبري

(٢) الرجل الغليظ، أو الكافر من العجم.

الصلاة، قالوا: بعثنا ونحن كارهون فامنن علينا واستبقنا، فقال: فهلاّ مننتم على الحسين واستبقيتموه وسقيتموه.. فسأل البدي: انت صاحب برنسه؟ قيل له نعم: فقال: اقطعوا يدي هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ففعل به ذلك وترك.وقدم الآخران فقتلا.

٧. زياد بن مالك

٨. عمران بن خالد

٩. عبد الله بن قيس الخولاني

١٠. عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي

أدخلوا على المختار فقال يا قتلة الصالحين لقد أقاد الله منكم ! لقد جاءكم الورس[١] بيوم نحس. وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين فقدموا في السوق فضربت أعناقهم.

١١. عثمان بن خالد الدهماني

١٢. بشر بن سوط القابضي وكانا قد اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه، فقدما في موضع بئر الجعد فقتلا وأحرقا.

---

(١) الورس: نبت أصفر يكون باليمن يتخذ منه الغمرة للوحه، تقول أورس المكان / عن الصحاح للجوهري.

ويظهر أنه من بقايا ما أخذه الإمام ﷺ وهو حقه حيث هو الولي الشرعي دون يزيد من القافلة التي أرسل بها بهل بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وكانت محملة بالورس والحلل، فلقيها الحسين ﷺ في منطقة التنعيم أول خروجه من مكة متجها إلى العراق. وخيّر أصحاب الابل قائلا: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض. فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

١٣. خولى بن يزيد الأصبحي بعث خلفه معاذ بن هانئ بن عدي (ابن أخي حجر) فجاؤوا بيته، وسألوا امرأته فقالت لا أدري وأشارت بيدها إلى موضعه فوجدوه قد وضع قوصرة على رأسه.. فجاؤوا به إلى المختار وأحرق بالنار.

١٤. عمر بن سعد: وكان قد أخذ الأمان من المختار وأعطاه ذلك (..إلا أن يحدث حدثاً) فكان أبو جعفر يقول: أما أمان المختار لعمر بن سعد ألا يحدث حدثاً فإنه كان يريد به إذا دخل بيت الخلاء فأحدث. فأمر أبا عمرة فقتله ثم قتل ابنه حفص.

١٥. حكيم بن الطفيل السنبسي وهو من قطع يد ابي الفضل العباس وقيل إنه ضربه بعمود من حديد، ورمى الإمام الحسين ﷺ وكان يقول تعلق سهمي بسرباله وما ضره شيء فقبض عليه وأراد أهله أن يوسطوا أحداً عند المختار، فقال من قبض عليه لعبد الله بن كامل نخشى أن يشفع الأميرُ عدي بن حاتم في هذا الخبيث، فدعنا نقتله فقال شأنكم به، فنصبوه غرضا ورموه بالسهام إلى أن هلك.

١٦. مرة بن منقذ العبدي: أحاطوا بداره، فضربه ابن كامل بالسيف ولكن استطاع الهرب ولحق بمصعب ثم شلت يمينه فيما بعد.

١٧. زيد بن الرقاد (الحيتي) وكان قال رميت منهم فتى بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فاثبت كفه فيها وهو عبد الله بن مسلم بن عقيل، فأحاطوا بداره وخرج عليهم مصلتاً بسيفه فقال بن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل، وارجموه بالحجارة ففعلوا به ذلك، وسقط على الأرض وبه رمق فأخرقوه بالنار.

١٨. عمرو بن صبيح الصدائي: وكان يقول لقد جرحت فيهم وطعنت بعضهم وما قتلت منهم أحداً فجيء ليلاً وهو على سطح داره فأخذ أخذاً.. وسجن إلى الصباح ثم قال ابن كامل للمختار: إنه يقول أنه قد جرح في آل محمد

وطعن فمرنا بأمرك فقال: علي بالرماح فأمر أن يطعن بها حتى يموت.

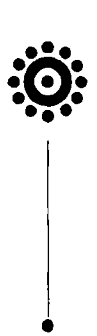
١٩. الحصين بن نمير التميمي الذي كان من طلائع القادة الذين قاتلوا مسلم بن عقيل في الكوفة وقد أسر جنوده عبد الله بن يقطر وسلموه لابن زياد حتى قتل، وكان له دور سيء في كربلاء وقد هلك في المعركة التي دارت بين جنود المختار وبين جيش بني أمية فقد حمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير فقتله.

٢٠. محمد بن الأشعث قتل في حملة مصعب بن الزبير على جنود المختار في الكوفة.

٢١. حرملة بن كاهل الأسدي: صاحب السهم المثلث والذي رمى به كبد الحسين عليه السلام، والسهم الآخر الذي رمى به عنق طفله الرضيع، تقول الرواية أنه قد أخذه المختار فقطع يديه ورجليه، وأحرقه بالنار.

٢٢. سنان بن أنس النخعي: الذي احتز رأس الحسين عليه السلام على بعض الروايات، أو حمله إلى ابن زياد، تقول بعض الروايات التاريخية أنه كان من جملة من قبض عليهم أيام انتصار المختار وقد قطع جنود المختار أنامله، ثم قطع يديه ورجليه وأحرق بالنار كما ذكر ذلك السيد بن طاووس في اللهوف. غير أن الطبري ذكر أنه كان قد طلب في الكوفة فهرب إلى البصرة، فهدم المختار داره. ويظهر من المنتخب من ذيل المذيل للطبري وكذا من ترجمة الامام الحسين لابن عساكر: أنه كان موجودا إلى أيام الحجاج الثقفي، فقد قال الحجاج: من كان له بلاء فليقم !! فقام قوم فذكروا وقام سنان بن أنس فقال: أنا قاتل الحسين !! فقال بلاء حسن. ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث مكانه !!

المصادر



١. إبن كثير، إسماعيل، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٦هـ.

٢. الأزدي، لوط بن مخنف، مقتل الحسين المكتبة العامة السيد شهاب الدين المرعشي، قم المقدسة ١٣٩٨هـ (متخذ من تاريخ الطبري).

٣. الأمين، السيد محسن، المجالس السنية في مناقب ومصاب العترة النبوية، مؤسسة أهل البيت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٤. الأميني، عبد الحسين، الغدير، دار الكتاب العربي.

٥. الترمذي، أبي عيسى محمد، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

٦. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٧. الحلي، بن نما، ذوب النضار في الأخذ بالثار، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٦هـ

٨. الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء) انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة.

٩. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة الدار الإسلامية، بيروت.

١٠. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء، دار الأضواء، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

١١. الصدر، السيد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين.

١٢. الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٣. الطبري، إبن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي.

١٤. الطبري، عماد الدين جعفر محمد، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

١٥. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، عن دار إحياء التراث العربي.

١٦. العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الرسول الأعظم دار الهادي، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٧. العاملي، محمد بن مكي، المزار، مؤسسة الإمام المهدي (عج) قم المقدسة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٨. الغزالي، أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.

١٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

٢٠. المفيد، محمد بن النعمان، الارشاد.

٢١. المفيد، محمد بن النعمان، المسائل العكبرية.

٢٢. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين.

٢٣. المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير بشرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٤. الهيثمي، نور الدين علي، مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

٢٥. بن حنبل، احمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت.

٢٦. بن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، عن الطبعة الفارسية (همراه فرجام قاتلان إمام حسين) الطبعة الخامسة ١٣٧٨هـ ش، دفتر نشر نويد إسلام ـ قم المقدسة.

٢٧. بن طاووس، السيد رضي الدين، إقبال الأعمال (زيارة الحسين في نصف شعبان)، مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٨. بن قدامة، عبد الله بن احمد، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت.

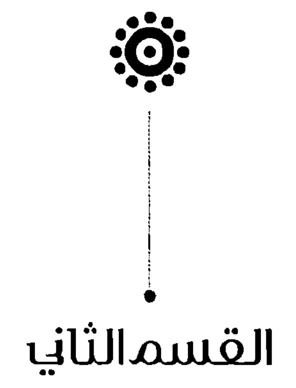
٢٩. شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين: الرجال والدلالات، الدار الإسلامية، بيروت ١٤٠١هـ.

٣٠. عبده، محمد، نهج البلاغة، دار المعرفة بيروت.

٣١. موسوعة كلمات الإمام الحسين إعداد معهد تحقيقات باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، دار المعروف، قم المقدسة.

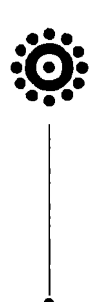
من قضايا النهضة الحسينية

أسئلة وحوارات



القسم الثاني

مقدمة



الإقبال الذي شهده القسم الأول المطبوع من هذا الكتاب، تبعا لشرف المكتوب عنه ﷺ وعظمة قضيته، حفزني للاستمرار وإصدار القسم الثاني الماثل بين يديك عزيزي القارئ.

كما أن ردود الفعل والتي أرى أن أكثرها ينطبق عليه (الكلمة الطيبة صدقة)[1] كانت محفزاً آخر ودافعا إضافيا للاستمرار. وأسأل الله أن يشركهم في ثواب ما كُتب. وهنا أنبه إلى أهمية التفاعل مع عمل الخير، والدفع باتجاه المزيد، فإن كلمة تأييد أو تشجيع يقولها قائلها وينساها بعد فترة من الزمان لكنها يمكن أن تكون بمثابة الجزء الأخير من العلة في إنجاز العمل، فيثاب المرء ويحسب له من الأجر ما لا يتصوره.

---

(١) من وصية الرسول الكريم ﷺ وسلم لأبي ذر الغفاري.

ومن هنا أقدم لكل أولئك شكري ومنهم الذين كانت لديهم بعض الملاحظات على ما ورد في القسم الأول، أو كانت له مناقشات في بعض ما جاء فيه، وأعتبر أن تلك الملاحظات من شأنها أن تثري الموضوع وتنير الدرب لمن يريد مناقشة قضايا التاريخ. وليس متوقعا أن يكتب أحد في موضوع (تاريخي) ويكون متسالما عليه من قبل الجميع، وموافقا لآراء الكل.

وقضايا التاريخ تختلف عن القضايا العقيدية في أن الثانية يوجد فيها ثوابت، ومسلمات يعتبر المساس بها غير صحيح، بخلاف الأولى فليس لها من القداسة ذلك المقدار. كما أن منهج مناقشة النوعين من القضايا يختلف.

ومع أنه لا يزال الكثير من الأسئلة، والقضايا التاريخية في السيرة الحسينية على صاحبها آلاف التحية والثناء، مما يمكن أن يكون القسم الثالث للكتاب في المستقبل إلا أن عددا من الإخوة أشاروا علي بأن أقدم هذا للطباعة، فامتثلت ذلك وهاهو القسم الثاني بين يديك أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به وأن يجعل ثوابه لوالدي تغمدهما الله بالرحمة.

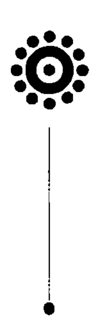
وأكرر مرة أخرى شكري لذوي الكلمة الطيبة الذين كان لهم أثر واضح في صدور هذا القسم، كما لا أنسى ذوي الفعل الطيب من الطيبين الذين ساهموا في صدور السابق ويساهمون في تاليه.

فوزي آل سيف

تاروت القطيف

جمادى الثاني ١٤٢٣

المنبر الحسيني: بين التطوير والتكلس



هناك دعوتان متطرفتان على طرفي نقيض، ترتبطان بالمنبر والخطابة الحسينية، وثالثة نؤمن بها:

- الأولى: تدعو إلى إنهاء المنبر الحسيني والخطابة، من الوجود الاجتماعي، بزعم أن المنبر كان في يومٍ مؤثرا عندما لم تكن وسائل الاتصال، ونقل المعلومات كالتي نراها اليوم، فكان رواد شيعة أهل البيت ﷺ وقادتهم يحتاجون إلى وسيلة لإيصال ثقافتهم وأفكارهم إلى العامة، ولم يكن أفضل من المنبر الحسيني وسيلة نافعة. فهو يلهب العواطف، ويهيئ النفوس مع ذلك للإستقبال.

ويزعم هؤلاء أن المنبر الحسيني وما يرتبط به من مكان وتقاليد كان يخدم غرضا كيانيا في السابق، بحيث كان يمثل نقطة الاجتماع والحشد والتعبئة، لدى

الطائفة الشيعية التي كانت تحيطها التحديات، فكانت تحتاج إلى محور يجتمع فيه أبناؤها ويتفاعلون معه، ولم يكن هناك أفضل من المنبر والموسم الحسيني الذي كان يخدم هذا الهدف أيما خدمة.

لكن يرى هؤلاء بأن الأوضاع قد تغيرت، وأصبح التعبير عن الوجود، والكيان له مظاهر متعددة، ولم يعد المنبر الحسيني وما يرتبط به إلا واحدا من المظاهر تلك، وليس هو الأقوى فيها.

وبالنسبة إلى وسائل الاتصال الثقافي، تضيقت الدائرة وأصبح تناول الثقافة سهلا يسيرا مع وجود الانترنت والفضائيات، فضلا عن الكتاب..

فما كان وسيلة وحيدة في وقت أصبح اليوم من أضعف الوسائل..

ويضيفون أمورا أخرى، منها عدم تأثير المنبر في سامعيه، بحيث يخرج هؤلاء المستمعون بعد المنبر ليمارسوا حياتهم الاعتيادية ضمن معادلاتهم السابقة.. وكأنهم لم يسمعوا شيئا، وهذا يدل في رأيهم على أنه لا ينبغي الاهتمام بقضية المنبر الحسيني[١].

- والأخرى: على الطرف الآخر، ترى أن المنبر الحسيني بصورته الحالية بل حتى التقليدية السابقة له دور عظيم في الأمة، وينبغي دعمه وحمايته، في أصل وجوده وفي هيكله المعروف وصورته القائمة، ويرون أن أي محاولة لتطويره وتحديثه تحمل ولو على المدى البعيد نتيجة إنهاء المنبر. ولذا فهم يقفون من أي محاولة تطويرية موقف المعارضة أو التشكيك في غاياتها[٢].

---

(١) في حوار جرى عبر أحد المواقع في الانترنت سألني أحدهم: سمعت همساً يغضب الكثير أود أن أرى تعليق الشيخ عليه (المنبر الحسيني مات، و إكرام الميت دفنه!! وسيأتي التعليق عليه.

(٢) يتحدث الخطيب المعاصر الدكتور الوائلي حفظه الله في كتابه تجاربي مع المنبر عن تجربة رائدة لم تتحقق في تطوير المنبر الحسيني مع أن روادها كانوا من العلماء الكفوئين منهم الشيخ محمد بن شيخ الشريعة والشيخان المظفران محمد رضا ومحمد حسين والشيخ عبد المهدي مطر وآخرون

ورأيهم في ذلك ينتهي إلى أن هناك حملة أو مؤامرة لتشكيك المؤمنين في ثوابتهم العقائدية، وممارساتهم الشعائرية، وأصولهم المتسالم عليها من قبل علماء الطائفة جيلا بعد جيل. والقبول بالفصل الأول يجر إلى الثاني وهكذا تتابع حبات المسبحة، ولذا ينبغي النظر إلى محاولات التجديد، والتحديث في هذا الإطار الكلي، كما يرى هؤلاء.. فلا ينبغي التشجيع عليها، ولا الاصغاء إليها بل لا بد من التحذير منها، توقيا لما يحدث بعدها، وسدا للباب الذي يفتح خلفها. فاليوم يتم التشكيك في بعض روايات السيرة، وغدا في أصل السيرة الحسينية، وبعدها في الامامة.. وهكذا..

ولذا يرى أصحاب هذه النظرية أن من الضروري تجنب الانسياق مع دعوات التطوير والتجديد خوفا مما ستؤول إليه.

وهناك طريق ثالث نحن نتبناه، كما يتبناه الكثير من العلماء والخطباء وأصحاب الرأي، وهو يتمثل في النقاط التالية:

١. نحن نعتقد أن المنبر الحسيني لا يزال الوسيلة المهمة في نشر فكر أهل البيت ﷺ، بنحو لم تستطع سائر الوسائل الأخرى بما فيها الحديثة منها (كالفضائيات والانترنت) أن تقوم به، وذلك لجهات:

- الأولى: سهولة تناوله من قبل جميع الطبقات الاجتماعية، بخلاف تلك الوسائل التي لا تتمكن منها سوى طبقة معينة من الناس سواء لجهة عدم توفر

ويتحدث عن اتصالهم لهذا الغرض بالمرجعية حينئذ للاستفادة من مكان معين فاجازت المرجعية الاستفادة إلى أن تحركت جماعات مضادة انتهت إلى سحب الاجازة، فقام رواد الفكرة باستئجار دار للغرض ذاته ولكن التحرك المضاد عاد هذه المرة بشكل أعنف انتهى إلى الهجوم على المكان وتخريب محتوياته، وهرب القائمين عليه خوفا من الإيذاء ! ويعلل الشيخ الوائلي ذلك بأمور مختلفة منها ما يتصل بموضوعنا أن قسما من المخالفين لهذه الحركة التطويرية صوروا الأمر في الأذهان على أنه محاولة لتحسين صورة بني أمية في الأذهان، والقضاء على الشعائر الحسينية.. الى آخر ما ذكره.

أدواتها، أو التزامها بنحو معين من الخطاب لا يستقطب جميع الشرائح. مثلا من لا يعرف الانترنت ولا يستخدمها لا يمكن له أن يستفيد من إمكاناتها، ولا تستطيع هذه المواقع الموجودة فيها مخاطبته. وهكذا الحال في أمر الفضائيات، بخلاف المنبر الحسيني الذي يتوفر للجميع وليس على المرء سوى أن ينقل قدمه إلى المكان المعين.

- الثانية: أن الكثير من الباحثين يذكرون التوافق الجمعي، والحضور في ضمن مجموع كبير كواحد من الجهات المؤثرة في المتلقي، بخلاف ما لو كان يتلقى هذا الأمر بمفرده أو ضمن مجموعة محدودة، ولا شك أن المنابر الحسينية يتوفر فيها هذا الجو العام.
- الثالثة: أن المنبر الحسيني وما يحتويه من توجيه (ولائي أو أخلاقي، أو ثقافي) خط ممتد مع عمر الإنسان المتلقي، فلو فرضنا أن شخصا من أتباع أهل البيت كان يحضر في المنابر كما هي عادة كثير منهم في موسم محرم ورمضان مجلسا واحدا في كل ليلة، فإن معنى ذلك أنه عندما يكون في السبعين من العمر يكون قد استمع إلى أكثر من ألفي محاضرة، بما تحتوي عليه من قضايا تأريخية وأدبية وثقافية عامة، والمتعرض لهذا المقدار من المحاضرات والأحاديث لا شك سيكون ذا ثقافة مناسبة. ولعل هذا هو السبب الذي يجعل مستوى الكثير من هؤلاء برغم أمية بعضهم، أعلى من غيرهم وأفضل.

٢. إن هذه الوسيلة (المنبر) كان لها دور عظيم في الحفاظ على تراث أهل البيت وفكرهم، إضافة إلى دورها المحوري داخل المجتمع الشيعي، ولا تزال تمتلك المقومات الكافية، للإستمرار في هذا الدور، بل يمكن دعوى دور أكبر لها، عن طريق الاستفادة من الوسائل المتقدمة كالانترنت والفضائيات.

لقد كان المنبر في الأزمنة السابقة يمارس تأثيره في حدود منطقة القريبين منه،

بينما هو اليوم بفضل تقدم الوسائل قادر على مخاطبة البعيدين، مما يعني أن بإمكانه أن يقوم بدور أكبر في استقطاب الجمهور والتأثير عليهم.

٣. إننا نعتقد أن هذه الوسيلة القوية، يمكن لها أن تكون أقوى وأفضل مما هي عليه الآن عندما تتعرض إلى عملية تطوير، وتحديث شاملة، تأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها الذاتية (كونها حسينية وتخدم غرضا معينا) وأيضا الأوضاع القائمة بما فيها من مشاكل فكرية، وتستفيد من تقنيات الاتصال والتخاطب والإقناع، حيث أن الخطابة والتأثير على المستمع أصبح علما كاملا ومتطورا، يدرس كاختصاص في الجامعات.

وإن البقاء في الحالة التقليدية، التي تُتوارث من قِبل اللاحقين عن السابقين، في الكيفيات والأساليب يعرض هذه الوسيلة إلى التراجع والاضمحلال.

هذا مع إصرارنا على أن لا يفقد المنبر، كما سيأتي، مقوماته الأساسية ومن أهمها القضية الحسينية، والجانب الرثائي بما فيه من حرارة المصيبة، ولوعة المأساة.

ولهذا نقول: إن كلتا الدعويين اللتين ذكرتا أول الحديث غير صحيحة، لا يزال المنبر قادرا وفاعلا في حدوده الطبيعية[1] التي تنتظر منه بل ربما يكون أقدر من الماضي على التأثير بما توفر له من الوسائل التي تساهم في نقله هنا وهناك.

ونقول أيضاً: أن المنبر كسائر الأشياء ما لم يستجب للتغيير في وسائله، والتطوير في آلياته سينتهي به الحال إلى التراجع والاضمحلال، وسينهزم في معركة وسائلها

---

(١) نقول في حدوده الطبيعية المنتظرة منه، وذلك أن قسما من الناس يتصورون المنبر الحسيني عصا سحرية، سوف تحل لهم جميع المشاكل، فهم يطلبون منه ما لا تقدر الدول على تحقيقه !! فيتحدثون عن أنه لماذا لا تتكلمون عن البطالة؟ وكأن الحديث عنها فوق المنبر سوف يؤدي إلى تشغيل ألوف العاطلين !! ويقولون لماذا نجد أن الظاهرة الفلانية مستمرة.. هذا يدل على أن المنبر لا يقوم بدوره؟؟ ولماذا ينتشر الفساد الخلقي؟ ولماذا يسوء السلوك الاجتماعي؟ ولماذا تضيع الذمة المالية.. الخ وهذا تحميل للمنبر ما لا يحتمل !

عند الآخرين مطورة ومجددة، هذا مع الحفاظ على أساسياته.. كما سيتبين في الكلمات القادمة.

إن تخوف بعض المخلصين على المنبر من التطوير واعتقادهم أنه متى فسح المجال للتطوير في هذا الجانب فإنه بالتدريج سوف يفقد المنبر قدسيته، وسيفقد مقوماته بمرور الزمان، يقابله تخوف الكثير من المخلصين في الجانب الآخر، من أن ينتهي المنبر من التأثير في حياة الناس الحقيقية، ويتحول إلى قطعة من تحفيات العصر القديم، أو يتعامل معه كجزء من الفلولكور المنتهي. فيكون الذي ارتجي أن يعطي الحياة للمجتمعات، والتألق للنفوس، هو بنفسه يذوى ويموت !!

مبادئ وآليات في التطوير:

١. التطوير ضمن خصائص المنبر، وضمن الدور الذي يفترض أن يؤديه: ينبغي أن يكون حادي المطالبين بتطويره وسائقهم.

ربما يطرح البعض وسائل للتطوير بعيدة عن خصائص المنبر، مثل أن يتحول إلى ندوة أو محاضرة تتخللها المناقشات والمداخلات.. أقول بعيدة عن خصائصه فإن المأخوذ في المنبر أن يكون فيه جانب الوعظ والتلقي والارشاد.. بينما ليس كذلك بالضرورة في الندوة أو النقاش المفتوح. أو قد يطرح فيه أمر القراءة على الورقة المكتوبة، بينما المألوف فيه والأكثر تأثيرا هو الخطاب المباشر ارتجالا والارتجال لا يعني بالضرورة عدم الاتقان أو عدم التحضير.

٢. لا للتطوير القفزي والقسري: مع إيماننا بضرورة التطوير، إلا أن المقبول منه أيضاً ينبغي أن يكون تطويرا تدريجيا حتى يتقبله المجتمع بصورة سلسة، فإنه ليس أعسر على الناس من تغيير عاداتهم، ومألوفهم.

إن الحق مع وضوحه لكنه مع ذلك يحتاج إلى أسلوب مناسب في إيصاله إلى الناس و (بلاغ مبين) ويحتاج (قولا لينا). وتكوير المنبر وتجديده، وإضفاء عناصر

القوة عليه أيضاً يحتاج إلى عمل تدريجي بحيث يستقبله الناس.

إن الصورة التي نراها اليوم للمنبر الحسيني ليس هي نفس الصورة التي كان عليها قبل مئات السنين، بل ولا قبل عشرات السنين، وإنما تعرض لتطوير كما سنتعرض إليه على مدى سنوات، من مجرد كونه فترة رثائية إلى ما نراه اليوم من كونه، إضافة إلى مساحة الحزن التي يحتلها، مشعلا ثقافيا وعلميا.

٣. الحاجة إلى العمل بالوسائل الحديثة العامة في التطوير: بالرغم من أن الدعوة إلى تطوير المنبر ينبغي أن يستشعر بها كل ممارس لهذه المهمة المقدسة، وأن يقوم بتطوير منبره، وتحسين أدائه فيه باندفاع ذاتي، إلا أن ذلك لا يغني عن الدعوة إلى التطوير العام، باستخدام الطرق الحديثة التي يعتمدها العلم اليوم.

فمن المهم مثلا أن تقام دورات تخصصية في فن الخطابة سواء في الجانب الرثائي والعزائي أو جانب الموضوع وكيفية إعداده أوطرق التأثير على الناس. فإن ما سوى الجانب الأول توجد فيه كتب ومتخصصون، ومع أن في منابرنا جانبا خاصا سواء لجهة المستمعين أو نوعية الحديث إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة من الأمور العامة التي لا تخص خطابا دون غيره.

بل ينبغي أن يسعى إلى تأسيس معاهد وكليات للخطابة، ولو في الحوزات العلمية، وأن تعقد مجالس خاصة للخطباء يتم فيها تداول أمر المنبر الحسيني، سواء في تقييم الدور الذي يقوم به في كل مجتمع، أو في المواضيع التي ينبغي أن تطرح، ولأجل استفادة كل جيل من خبرات الجيل الذي سبقه.

ونحن نحمد الله أن هناك حركة طيبة بهذا الاتجاه، فهناك مجلات تخصصية تعنى بشأن المنبر الحسيني، وهناك دورات كثيرة قد تأسست في الحوزات

والمدارس الدينية، وهناك مكاتب تخصصية[1].. وإن كانت المهمة أعظم من هذا المقدار الموجود، كماً وكيفاً، لكنه عمل يبشر بالكثير من الخير المستقبلي، جزى الله القائمين عليها خير الأجر والثواب.

مجالات التطوير المقترحة:

مجال الرثاء والتعزية[2]:

كانت بدايات المآتم الحسينية وما يذكر فيها من أمور مأساوية جرت في كربلاء، تحقق أمرين: تفريغ زخم اللوعة والألم الموجود في نفوس أهل البيت وشيعتهم، ونشر الظلامة الحسينية وشحن النفوس على أثرها بالنقمة على أعداء الحسين. وهنا تحول إلى دور رسالي رائد، ولهذا أصر أهل البيت ﷺ عل عقد المجالس بما يستطاع. فإنه من جهة كانت تصنع الفرد الرسالي وتربيه وكانت أيضاً تهدف هدم صروح الظلم بالوسيلة المتيسرة.

ومع أن هناك من ينتقد التعاطي مع الرثاء وجانب المصيبة في المجلس إلا أنه لا بد من التعادل في الأمر فلا يصح التخلي عنه من جهة كما أنه لا ينبغي الإغراق فيه من جهة أخرى.وإنما نمسك العصى من وسطها فنقف بين المصرّين عليها وعلى توسعتها وبين المطالبين بحذفها والإستغناء عنها.

ويقترح أن يتم التركيز على الشعر القريض والمنتقى والذي يتميز بأداء حار ومستوى مرتفع، بل حتى في الشعر الدارج والعامي يوجد ما هو عالي المضامين، وجيد السبك، وفيه ما هو هابط. فلينتخب ما هو في مستوى إعلاء شأن صاحب

---

(١) نشير هنا بإكبار للعمل الموسوعي الضخم الذي يقوم به المحقق الشيخ الكلباسي في كتابه (دائرة المعارف الحسينية) الذي يفترض أن يزيد على الخمسمائة مجلد.

(٢) سوف نستفيد في هذا العنوان بشكل أساسي من الكتاب القيم الذي أنصح قارئي بقراءته، للشيخ الوائلي: تجاربي مع المنبر.

النهضة وأصحابه ونسائه.

انظر إلى الفرق بين شعر الشريف الرضي[١]، والسيد حيدر الحلي[٢]، والكعبي، والكواز، والقسام، والهندي[٣]، ونظرائهم وفي المقابل استمع إلى بعض ما يقرأ في المجالس حيث لا تجد غير ركة المعاني، واصطناع الألفاظ..

ثم تأمل في الصور التي يظهرها هذا الشاعر أو ذاك ويجليها في أفضل نحو.. كما نجد في ملحمة الدمستاني (أحرم الحجاج..) فقد جمع (كل الصيد في جوف الفرا) و مثلما صنع الجمري[٤] في تصويره شجاعة الحسين (صوّل أبو سكنه..) والتي أبدع فيه رسم صور البطولة بقدر ما أجاد في التقاط معاني الثورة، وغيرهم ولا نريد الآن التعرض إلى كل من أجاد وأحسن. وفي المقابل مثلا الصورة التي نجدها عن الإمام زين العابدين ﷺ وكأنه لا يدري عن شيء مما يجري حوله في المعركة، فلا هو يعلم عن الأنصار وشهادتهم ولا يعرف شيئا عن بني هاشم وقتالهم، بل كان نائما[٥].. ويحتاج إلى زينب أن توقظه وتخبره !! أو أنه في طريق السبي يصيح واذلاه !! أين عشيرتي؟.

---

(١) محمد بن الحسين الموسوي توفي عام ٤٠٦ هـ في بغداد، فقيه عالم وأشعر الطالبيين انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، له ديوان شعر، وعدة كتب منها المجازات النبوية، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، و (رسائل الصابي والشريف الرضي، وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب..

(٢) حيدر بن سليمان الحلي توفي عام ١٣٠٤ هـ في الحلة شاعر أهل البيت له ديوان الدر اليتيم، والأشجان في مراثي خير إنسان. وأفضل شعره حولياته في الحسين ﷺ

(٣) تجد تراجمهم وتراجم غيرهم من عمالقة الشعر الحسيني في كتب متعددة منها (أدب الطف للسيد جواد شبر، والنجفيات للشيخ علي الخاقاني، وشعراء الحسين..

(٤) عطية بن علي الجمري البحراني، خطيب حسيني وشاعر مجيد لا سيما بالدارجة، يفضل شعره على غيره من قبل خطباء المنبر، طبع من شعره خمسة مجلدات باسم (الجمرات الودية في المودة الجمرية).

(٥) هناك بعض الروايات تشير إلى أن مرض الامام زين العابدين قد حصل من مشاركته في القتال وأنه جرح حتى ارتث.. وقد نتعرض إلى تحقيقها، وملاحظة صحتها أو عدم ذلك في القسم الثالث من الكتاب.. وشتان بين الصورتين.

ومع أن الخطيب يبحث عادة عن القصيدة شديدة الوقع على المستمع، حتى يبكي ويحظى الخطيب والمستمع بثواب (من بكى وأبكى)، إلا أن من القصائد ما هو عالي المضمون وجيد السبك وشديد التأثير في نفس الوقت.

لا ننسى أن نشير هنا ونحن في هذه العجالة إلى أن ارتفاع المستوى الثقافي للمستمعين والذي يلاحظه الخطيب بادنى تأمل، يحتاج أيضاً إلى الارتفاع في مستوى الصور حتى الرثائية منها والتي تلقى على أسماعهم.

كما أنه ينبغي اختيار القصائد التي تنسجم في مضامينها مع القضايا التاريخية الثابتة في السيرة، وذلك أن الشعر هو أيضاً من منافذ الثقافة العامة التي تتسرب للمستمع، فأنت تجد من يعتقد بقضية والدليل عليها هو أنها قد وردت في شعر دارج قد سمعه من خطيب.. كما حدث أن سأل أحدهم عن عدد الجيش الأموي فلما قيل له أنهم حوالي ثلاثين ألفا، لم يقبل ذلك لأن العباس ﷺ قد قتل في كل حملة عشرة آلاف كما في بعض الأشعار التي سمعها !!

وسؤال البعض عن قدوم الامام علي ﷺ ليلة الحادي عشر من المحرم، وفي بعض الأشعار أنه كان بصورة أسد، أو وجود ابن العقيلية في الشام.. وهكذا.. وهذه كلها قضايا إما غير ثابتة أو تحتاج إلى تحقيق.. لكنها تحولت بعدما صارت شعراً إلى جزء من السيرة الثابتة.

مجال المواضيع والمضمون:

كما سبق أن ذكرنا أن المنبر الحسيني لا يزال الوسيلة الأساس الفعالة التي يمتلكها شيعة أهل البيت ﷺ في نشر فكرهم، وتعريف أنفسهم للعالم، وتعريف أبنائهم ببصائر أهل البيت فكراً وفقهاً.

ولهذا فإن تأثر هذا المجال بتغير الظروف وارتفاع المستوى العام للمستمع، بل حتى تأثره باختلاف المناطق التي يتم الاستماع فيها، أمر لا ينبغي أن يختلف فيه

لوضوحه.

فإن المشاكل والاهتمامات الموجودة في بلد ليست بالضرورة موجودة في بلد آخر، والمستوى الثقافي الموجود في منطقة، بل ضمن مجلس في منطقة قد يختلف عن حضور المجلس الآخر في نفس المنطقة.

وهنا نوجه إلى الملاحظات التالية:

* إن حديثنا عن التطوير لجهة الموضوع لا ينبغي أن يغفل جانب الموعظة والإرشاد.. فالمنبر وسيلة هداية ودعوة وليس مجرد معلومات نظرية تلقى بل أخذ فيه أن يكون كما روي عن الامام السجاد ﷺ في تشخيصه لحدود المنبر (أتكلم بكلام لله فيه رضى وللجالسين أجر وثواب). إن الموعظة هي عمل الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾[١]، وطريقة دعوتهم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، ولا بد أن يتمثل الخطيب وهو على المنبر سيرة الرسل ودورهم حتى يشعر بمسؤولية ما يتحدث ويلقي في أذهان سامعيه ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[٣].

وإن تصور بعض الخطباء أو السامعين أن الوعظ معاد أو مكرر أو لا ينفع هو أمر مجانب للصواب فإن الخطيب قبل أن يكون موسوعة نظرية من الاحصاءات والأفكار، هو (طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وآذان صُم، وألسنة بُكم) كما وصف أمير المؤمنين ﷺ الرسول الأعظم محمداً ﷺ.

هذا هو الدور الذي يجب أن يرتقي إليه، وإن كان الفارق هو ما بين الثرى والثريا.

---

(١) سبأ ٤٦

(٢) النحل ١٢٥

(٣) الأعراف ٦٢

ونسجل هنا نقطة في تراجع هذا الجانب في الكثير من الخطابات والمنابر الحسينية، مما يعد نقصا ينبغي الالتفات إليه. والاعتذار بأن القائل يجب أن يطبق ما يقول قبل أن يدعو إليه، ليس بصحيح بمعنى الامتناع عن الوعظ، نعم هو صحيح بمقدار ما يدفع القائل لتشديد الالتزام بما يقول.

فوظيفة المستمع أن يقبل الحكمة والحق من القائل من دون شرط عمل القائل به، وأن يأخذ الموعظة ممن قالها وإن لم يعمل بها، فعن رسول الله ﷺ (كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) [١].

كما أن وظيفة الخطيب أن يقول الحكمة والموعظة، ولا ينتظر أن يعمل بها في أعلى صورها حتى يقولها. وأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تقيد بعمل الآمر بها، وانتهاء الناهي عنها... مع أنه ينبغي لو أراد التأثير فالأفضل أن يقول بعد العمل، ولا يجوز أن يُفهم من هذا التشجيع على القول ومخالفته بالعمل !!.

الخطيب والمستوى العلمي:

في فترة سابقة كان المألوف في المجتمع الشيعي العربي أن العالم لا ينبغي له أن يصعد المنبر الحسيني وإنما المنبر هو شغل من ليس له مستوى علمي، ومن لم يفلح وينجح في الدراسة، فهذا هو الذي يكون (روزه خون)[٢] وأما الذكي وصاحب المستوى العلمي فينبغي أن ينشغل في علوم الفقه والأصول والحكمة..

أنتجت تلك النظرة السقيمة والتي اختص بها المجتمع الشيعي العربي ولذا

---

(١) ميزان الحكمة / ٢

(٢) كلمة فارسية معناه قارئ الروضة، وأصل ذلك أن عالما يسمى الملا حسين الكاشفي (توفي حوالي ٩١٠ هـ) قد ألف كتابا باسم (روضة الشهداء) يتناول مصارع شهداء كربلاء ومصائب العترة الطاهرة، وهو من أوائل من كتب في هذا المجال بذلك النحو، فكان الخطباء يقرؤون منه على المنبر، فسمي الخطيب لذلك (قارئ الروضة) أي كتاب روضة الشهداء، ومع أنه قد كتبت كتب أخرى في نفس الموضوع، بل إن الخطباء لم يعودوا يقرؤون من الكتب لكن الاسم بقي ولم يتغير.

لا تجدها في المجتمع الشيعي الايراني ولا الهندي أو الباكستاني أو التركي الذي يكثر فيها (المجتهدون الخطباء)، أنتجت أن صار المنبر مقتصراً، في الغالب، على الرثاء وعلى المعاجز والقصص العجيبة، التي لا ينتظر من الخطيب غيرها، ولا ينتظر السامع منه غير أن يحصل على الثواب بسبب الحضور في مجلس عقد باسم الحسين عليه السلام.

لكن الوضع تغير في الفترة الأخيرة بحمد الله بعدما توجه أعاظم العلماء ورواد المرجعية إلى الدور الاستثنائي الذي يقوم به المنبر في صقل النفوس وفي إيصال الفكر المحمدي والعلوي إلى الناس، فكان أن وجهوا وشجعوا العديد من ذوي الكفاءة الأدبية والعلمية إلى الاهتمام بالمنبر والخطابة، ونتج من ذلك ما نراه اليوم من بركات.

ومع عودة المنبر إلى مكانه الطبيعي وإقبال الناس على الحضور إليه لا سيما في الموسمين (محرم ورمضان) فإن ذلك يحمل الخطيب مسؤولية مضاعفة، وربما يتصور بعض الناشئة من الخطباء أن الطريق السهل والسريع إلى الصعود والشهرة هو الصوت الجميل والحفظ الكثير، وهو صحيح في بداية الأمر لكنه ليس دائما، فقد يستمرئ شخص عصيرا طيباً، ولكنه لا يتخذه إلى الأخير غذاء لبدنه. وقد يحلو لشخص استماعه لترنيمة حزينة ولكنه لا ينفق الساعات دائما لاستماعها، ولك أن تتحقق من صدق هذه المقولة بما نلاحظه في المجتمع عيانا. فقد أصبح المستمع يقيم الخطيب الفلاني بتميزه عن سائر الخطباء، ويميز خطابه اليوم عن خطابه بالأمس من ناحية المستوى، ويطالب بمستويات أعلى، وهكذا.

وهذه الأمور تدعو إلى أن نتوجه وإخواني الخطباء إلى تحصيل مزيد من العلم والمعرفة، والحصول على قدرة في التحقيق والتدقيق في المسائل والقضايا التي نطرحها للناس.

الالتزام بالاعداد المناسب للحديث:

من المهم جدا أن يشعر الخطيب أن الناس قد ائتمنوه على أفضل ما عندهم، وأعطوه عقولهم لينقش فيها على مدى ساعة من الزمان أو نصفها، ما يريد.. فليتق الله في هذه الأمانة، ولا يصب في تلك العقول إلا ما ينفعها في دنياها وأخراها.

ولو أردنا أن نحسب الأمر من الناحية الكمية، فإن معنى أن يجتمع لخطيب ألف شخص تحت منبره، هو أن ألف ساعة من وقت المجتمع قد وضعت تحت تصرف هذا الخطيب، فكيف سيتصرف فيها؟ منها ساعة الطبيب، وساعة المهندس وساعة المدرس.. الخ، وكل واحدة من هذه لها قيمة مالية خاصة.

إن ارتقاء المنبر، والتشريق حينا والتغريب حينا آخر على غير هدى ولا هدف.. يعد جريمة بحق هذه الساعات التي يحتاجها المجتمع. ويعد كارثة بالنسبة لتلك العقول التي سلمت لهذا الشخص.

ونحن نتحدث هنا مع القادر من المنبريين على العطاء من خلال الاعداد الجيد، والتهيؤ المناسب للمناسبة، وإلا فلو كان الخطيب في مستوى معين لا يستطيع تجاوزه، فـ (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)، ويكون الحاضر إليه قد (أقدم) على إنفاق هذا المقدار من الوقت، قاصدا بذلك الثواب.

وبهذه المناسبة نشير إلى طريقتين يعتمد الكثير من الخطباء المعاصرين إحداهما أو كليهما في تهيئة الموضوع:

- الأولى: تعتمد على أن يختار الخطيب نصا من النصوص (سواء كان آية قرآنية أو رواية) ثم يبدأ في التأمل في كلماتها ويشرحها، ويبين ما يتصل بها من أحكام فقهية، أو قضايا تأريخية، أو مسائل عقائدية، وأحيانا لفتات أدبية ولغوية، بمقدار ما يشير إليه النص الذي اختاره في البداية.
- الثانية: أن يشخص الخطيب حالة أو مشكلة، أو موضوعاً على أنه يهم

المجتمع الذي سيلقي فيه وبعد تشخيصه لذلك الموضوع يبدأ بالبحث عن كيفية طرحه، وتهيئة المواد اللازمة للحديث فيه، فقد يرى مشكلة اجتماعية (كالطلاق) مثلا، فيقوم باختيار النص القرآني أو الروائي المناسب للحديث، ثم يفكر في أسبابه متخذا من الحالات القائمة، أو الدراسات الاجتماعية مصدرا، ويتأمل في طرق الإسلام التي تتحدث عنها الروايات ويستفيدها من الأحكام الشرعية، والتي تقلل من الطلاق وأسبابه.

أو أنه يتناول جانبا تأريخيا ويستفيد منه مواقع العبرة والدروس.. وهكذا.

وقد تكون هناك طرق أخرى تختلف أو تتفق مع الطريقتين السابقتين، لكن المهم في الأمر هو أن يقوم الخطيب بتقدير المهمة العظيمة التي تحملها، ويراعي في ذلك أوقات الناس بالكمية والكيفية التي تقدمت، فيهيء أحاديثه بمقدار ما وسعه التهيئة والاعداد.

أختم هذا العنوان بكلمات جميلة لديل كارنيجي في كتابه (فن الخطابة)[1] والذي ينصح بقراءته لفائدته، قال (حدد موضوعك مسبقاً حتى يتسنى لك الوقت للتفكير به مراراً. فكر به طيلة سبعة أيام، واحلم به طيلة سبعة ليال، فكر به أثناء خلودك إلى الراحة، وفي الصباح وأنت تستحم، وفي طريقك إلى المدينة، أو... وناقشه مع أصدقائك واجعله موضوع حديثك، واسأل نفسك جميع الأسئلة الممكنة التي تتعلق به.

لقد ذكر تجربة أحدهم ممن كان خطيبا مشهورا: عندما سئل عن كيفية تحضيره لخطاباته فقال: ليس لدي أي سر. حين أختار موضوعا أكتب اسمه على مغلف كبير، ولدي الكثير من هذه المغلفات، فإذا وجدت أثناء القراءة شيئا جيدا حول

---

(١) بالطبع هناك شيء من الاختلاف بين ظروف من يتحدث عنهم وظروف خطبائنا ولو لجهة العدد الكبير من المواضيع التي يراد منهم التحدث عنها، ولكن استشهادنا هو في أصل الطريقة.

الموضوع الذي سأتحدث عنه أنقله إلى المغلف الصحيح، وأضعه جانبا، ودائما أحمل معي دفتر ملاحظات، فإذا استمعت إلى عبارات أثناء أي احتفال تلقي ضوءا على الموضوع الذي يهمني أسجلها ثم أنقلها إلى المغلف وربما تركته جانبا لمدة سنة !! أو أكثر، وحين أريد أن ألقي خطبة أتناول ما أكون قد جمعته فأجد مادة كافية مما جمعته هناك إضافة إلى اجتهادي الخاص). وفي موضع آخر يقول: حين تنهمك في جمع مادة خطبة لاحتفال معين، اكتب جميع الأفكار المتعلقة بالمادة التي تخطر ببالك، دون جميع أفكارك ببضع عبارات كافية لتثبيت الفكرة ودع عقلك يبحث عن المزيد منها، تلك هي الطريقة التي من خلالها يتدرب العقل على الانتاج وبها تبقى عملياتك الذهنية نشيطة وبناءة..[١]

مجال الأداء والكيفية:

الخطابة ليست كلمات محفوظة يتلوها المتكلم عن ظهر قلب، وتنتهي المهمة بانتهاء الوقت المعين له، وإنما هي صناعة وفن يهدف إلى التأثير على المستمع وإقناعه بما لدى المتكلم، والخطابة الناجحة يفترض فيها اجتماع عوامل التأثير المختلفة، حيث يتوجه فيها الكلام كما قال بعضهم (إلى عقل السامع وقواه التي تعتمد على المخيلة والشعور والسمع والنظر فيتوجه الكلام إلى المخيلة بالصور البيانية وإلى الشعور بالحيوية الانفعالية، وإلى السمع بالصوت وإلى النظر بالاشارة والحركة).

وحيث أن هذا الكتاب لم يوضع للحديث عن الخطابة فإني أحيل القارئ المتابع لهذا الموضوع إلى عدد من الكتب التي تنفعه في هذا المجال: ككتاب فن الخطابة لديل كارنيجي، وكتاب تجاربي في المنبر للمرحوم الامام الشيرازي، وصناعة الخطابة للسيد عبد الحسين القزويني، ودور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية

---

(١) / فن الخطابة / دايل كارنيجي

وهو رسالة دكتوراه للشيخ باقر المقدسي. وقد سبقت الاشارة إلى كتاب الشيخ الوائلي، وللمرحوم الشيخ محمد تقي فلسفي الذي يعد من أكبر الخطباء الايرانيين كتاب قيم باللغة الفارسية لا أعلم إن كان قد ترجم للعربية أو لم يترجم. وهناك عدد من الخطباء لديهم دروس قيمة على أشرطة الكاسيت في فن الخطابة كالشيخ عبد الحميد المهاجر..

تطوير الخطابة النسائية:

بالرغم من أن الخطابة النسائية في مجتمعنا الشيعي لا سيما في الخليج لا تزال تستقطب أعدادا ليست بالقليلة، إلا أن الغالب فيها أنها لا تزال تعيش معادلات العقود الماضية، ويد التطوير التي أفادت المنبر الحسيني في قسم الرجال، لم تصل إلى الخطابة الحسينية النسائية! فلا تزال الطريقة نفس الطريقة المعتمدة على ذكر المصيبة من أول المجلس إلى آخره، والقراءة على بعض الكتب التي يخلو أكثرها من الاعتبار، ولو اطلعت عزيزي القارئ على بعض تلك الكتب وما ورد فيها من قصص (لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) !! كما أنها تخلو من التوجيه والارشاد والمضمون غالبا.

وقد نستطيع استثناء المجالس النسائية التي يقوم عليها وعلى إدارتها نساء واعيات، إما ممن درسن في الحوزات العلمية لبعض الوقت، أو ممن أتيح لهن التثقف بالثقافة الدينية والإسلامية، باندفاع ذاتي فهؤلاء حاولن أن يوجدن جسراً بين ما حصل من التطور (في المنابر الرجالية) وبين منابرهن ومجالسهن، ولهذا استطعن استقطاب الكثير سواء من الفئات الشابة، وأحيانا من كبيرات السن أيضاً. ولقيت منابرهن النجاح مما يغري بمواصلة هذا المشوار والعمل على تكريسه، بحيث يكون هو الصورة الغالبة، والكلام فيه هو نفس الكلام السابق، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع النسائي، سواء في جهة الموضوع أو في جهة الأداء والرثاء.

وينبغي بعد هذا التطواف أن لا يفهم أن الفترات السابقة والاجيال الماضية لم تقدم شيئا مهما للمنبر الحسيني، بل على العكس تماماً. نحن نعتقد أن الأجيال الماضية، والخطباء الحسينيون السابقون حشرهم الله مع الحسين عليه السلام قد بذلوا أقصى ما في وسعهم، وما بإمكانهم ضمن ظروف المرحلة السابقة، واستطاعوا أن يطوروا المنبر بمقدار ما كانت إمكاناتهم الذاتية، وظروفهم الموضوعية (في الزمان والمكان والموضوع) تسمح لهم، وقد قضوا ما عليهم، وأوصلوا المنبر إلى هذا المستوى الذي بلغنا، بعدما أمدوه من طاقاتهم وقدراتهم، وحينما ندعو إلى التطوير لهذا الجهاز، فإنما نسير في نفس الاتجاه الذي ساروا فيه، فهم أيضاً وصل إليهم المنبر ضمن مستوى معين فقام كل منهم بجهده في تطويره إلى أن صار في المستوى الذي وصلَنا، وعلينا أن نطوره أيضاً، ونضيف إليه من عناصر القوة حتى يزداد عطاؤه وإنتاجه.

نسأل الله سبحانه أن يوفق هذه الفئة المهتمة بقضايا المنبر الحسيني، رجالا كانوا أو نساء لتطوير أداء هذه الوسيلة المقدسة، والحفاظ على دورها وتدعيمه في المجتمع إنه على كل شيء قدير.

الخطابة للأطفال:

إن من المهم جدا أن يتم التفكير في اصطناع منابر خاصة للأطفال، والذي يحدونا إلى التفكير في ذلك:

١. أن حضور الأطفال من سن السادسة إلى الثالثة عشر في المجالس والمواكب الحسينية كبير جدا، إما بمعية آبائهم أو أصدقائهم.

٢. أنهم يستطيعون استيعاب مقدار غير قليل مما يلقى فوق المنابر، مع أن المنابر التي يجلسون إليها لم تخصص لهم، ولا يُتكلم فيها عادة على مستوى عقولهم، وإدراكاتهم.

٣. إن إمكانية التأثير في شخصياتهم، ثقافة وسلوكا، هي في تلك الفترة من العمر أفضل من سائر الفترات،كما يقول أمير المؤمنين ﷺ (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء إلا قبلته) ويقول الامام الصادق ﷺ لمؤمن الطاق (.. عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير)[١].

وتعطينا كربلاء صورة واضحة عن شخصية الأحداث عندما تتأثر بالثقافة الصحيحة، فهذا القاسم بن الحسن (غلام لم يبلغ الحلم) وقد قاتل بين يدي عمه ذلك القتال العظيم، ونال الشهادة، وذاك أخوه عبد الله بن الحسن وهو غلام، انفلت إلى عمه الحسين وهو صريع على الأرض ليصد عنه ضربات الأعداء، حتى قطعوا يده ثم قتلوه بسهم، وذاك (غلام قد قتل أبوه) قبله، ويريد الحسين أن يرده إلى أمه، فيرفض إلا القتال قائلا (إن أمي هي التي ألبستني لامة حربي).. وهكذا..

ومما يؤسف له، عدم التوجه إلى التخاطب المناسب مع الأطفال، سواء على مستوى الكتابة لهم إلا في القليل من الحالات أو على مستوى الخطابة. أو حتى مواكب العزاء[٢] فينبغي التفكير جديا في أمر الخطابة للأطفال، بحيث يعد الخطيب ويحبذ أن يكون في سن مقارب لهم خطابته بنحو يستطعيون من خلاله الالمام بقضية كربلاء، خصوصا وأنها قصة ذات حوادث كثيرة تستهوي الأطفال الذين يحبون القصص أكثر من إقبالهم على الأفكار.

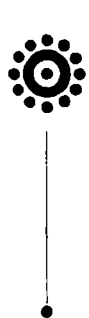
ومن خلال قصة كربلاء يمكن تضمين الكثير من المعاني الأخلاقية، والدينية في أحداثها بحيث يتأثر الأحداث بها.

****

(١) ميزان الحكمة - محمدي الريشهري ج ٢ ص ١٤٠٠

(٢) يوجد في بعض المجتمعات مواكب عزائية خاصة بالأطفال، والتجربة تشهد بنجاحها.

أسئلة في السيرة والثورة الحسينية



س: سؤال: هل الذهاب إلى العمل يوم العاشر حرام؟ وهل يجب التصدق بما كسبه ذلك اليوم؟

الجواب: ليس حراما، ولكن يستفاد من بعض الروايات استحباب ترك السعي في الأمور الدنيوية، وعدم الانشغال بها واستحباب التفرغ لإحياء الذكرى الحسينية، فقد روى الشيخ الصدوق في الأمالي[1] عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ،

(١) (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رحمه الله)، قال: أخبرنا أحمد بن محمد الهمداني، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه عن الرضا ﷺ..) والرواية يمكن أن تكون معتبرة، فإن محمد بن إبراهيم هو الطالقاني وقد روى عنه الصدوق مترضيا عليه، بناء على أن ترضي مثل الصدوق كاشف عن حسن حال المترضى عنه وإن ناقش في ذلك بعض العلماء، وأحمد بن محمد بن سعيد الهمداني هو أبو العباس بن عقدة، قالوا عنه أنه جليل القدر عظيم المنزلة وأمره في الحفظ والجلالة أشهر من أن يذكر توفي سنة ٣٣٣ هـ. وعلي بن الحسن بن فضال فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم كما

قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبة وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه.

كما روى شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله بسنده[1] عن أبي جعفر عليه السلام في حديث زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من قرب وبعد... إلى أن قال: قلت: وكيف يعزي بعضنا بعضا؟ قال: تقول: عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الامام المهدي من آل محمد، وإن استطعت أن لا تنشر (لا تنتشر) يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن، وإن قضيت لم يبارك له فيها، ولا يرى فيها رشدا..).

هذا لو كان عمل الإنسان مملوكا له، كما هو حال من يعملون في (الأعمال الحرة) والتجارة لأنفسهم فإنه يحسن بهم في مثل ذلك اليوم أن يتوجهوا لإحياء الذكرى، ما لم ينطبق على سعيهم للعمل ذاك عنوان ملزم.

وأما بالنسبة لغيرهم وهم الأكثر ابتلاء، كالعاملين في مؤسسات مملوكة

ذكر النجاشي، وأبوه الحسن بن علي ثقة عظيم القدر، قيل إنه كان فطحيا وعاد عن ذلك..
ولا نحتاج إلى هذا بعدما كانت الرواية من الروايات الواعدة بالثواب، وهي مشمولة لقاعدة التسامح في أدلة السنن.

(١) نقله في وسائل الشيعة الحر العاملي ج ١٤ ص ٥٠٩: محمد بن الحسن، في (المصباح) عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة عن أبيه، عن علقمة. والرواية من حيث السند غير تامة، فإن صالح بن عقبة (بن قيس بن سمعان) وإن كان من رجال تفسير علي ابن إبراهيم القسم الأول ويكون ثقة على المبنى، إلا أنه قد ضعف واتهم بالكذب، كما عن الخلاصة، إلا أن يقال أن يونس بن عبد الرحمن والذي هو من أصحاب الاجماع قد روى عنه، ويكون على المبنى المعروف مقبول الرواية، وقد يناقش ما ذكر في الخلاصة بأنه معتمد في جرحه ذاك على كتاب ابن الغضائري، والمعروف عندهم التشكيك في كون كل ما في الكتاب الموجود صحيح النسبة إلى الشيخ ابن الغضائري (والمسألة بحاجة إلى بحث أكثر، وللتفصيل مقام لا يتسع له هذا المختصر). وابوه عقبة بن قيس أيضاً لم يوثق لا بتوثيق عام ولا خاص، ومثله علقمة (بن محمد الحضرمي).

لأشخاص أو تابعة للحكومات، فلا يستطيع الشخص الغياب في ذلك اليوم من غير أن يأذن له رب العمل، وإلا كان غير مالك لأجرة ذلك اليوم في المؤسسات والشركات الأهلية والشخصية، حيث أن مقتضى عقده معهم أن يعمل في الأيام المتعارفة، باستثناء التعطيلات الرسمية أو ما أذنوا له في التغيب، وليس العاشر منها بحسب الفرض وإخلاله بهذا العقد بمقدار ذلك اليوم، يجعله غير مستحق لأجرته ولا يملكها. فلا بد من استئذان رب العمل أو إخباره عن غيابه ذاك واسترضائه في أمر المال أو إرجاعه عليه.

وبالنسبة للمؤسسات الحكومية، فإن الحكومات غير الخاضعة للفقيه، وإن لم تملك كما هو المشهور بين المعاصرين من الفقهاء فلا ولاية لها مالكية ولا شرعية [1]، على التعاقد وإعطاء المال، واستحصال العمل، إلا أن ذلك لا يسوغ للعامل وهو طرف العقد أن يتملك أجرة في مقابل يوم عمل لم يذهب إليه، ولم يقم به. ولذا فإنه يشكل أمر تملكه من قبله، حيث أن الفقهاء قد صرحوا في فتاواهم بأنهم لا يأذنون في الاستلام إلا مع قيام العامل بواجباته بحسب ما ورد في العقد. ولذا لا بد في ذلك من التصدق بذلك المقدار من المال على الفقير المؤمن والأحوط أن يكون بإذن الحاكم الشرعي (المجتهد) الذي له ولاية على مجهول المالك.

س: سؤال: من الملاحظ أن الإمام الحسين ﷺ قال في أثناء خروجه من المدينة كلاما، وأثناء خروجه من مكة كلاما آخر، وفي الطريق..غيره وهكذا في كربلاء؟ كيف تفسرون تعدد لحن هذه الكلمات؟ والمعاني المختلفة فيها؟

الجواب: مع التنبيه على دقة ملاحظة السائل، ونظرته الفاحصة نقول:

نعم يلاحظ المتأمل، أن هناك تعددا في طريقة إجابات الإمام الحسين ﷺ، ولعل

---

(١) أمضى بعض المراجع المعاصرين العقود القائمة بين الموظفين وبين الحكومات، وبناء عليه ترجع المسألة إلى القسم السابق.

في النقاط التالية ما يلقي بضوء على السبب:

١. من المعلوم أن مستويات السائلين للإمام الحسين عليه السلام تتفاوت وتختلف، فمن الحكمة أن تكون الأجوبة على (قدر عقولهم) فليس معقولا أن يجيب شخصا قد تربى على التخاذل، وآثر الحياة الدنيا، بأنه لا بد من الثورة على الظالمين، وأمر الإسلام أعز من أمر الشخص وحياته. ولو أجابه بذلك النحو لما وافق الحكمة. وإنما ينبغي أن يقرب له الهدف الذي ينشده بمقدار ما يستطيع ذلك الشخص تعقل وإدراك الكلام الحسيني.

٢. إن النصوص التي تركها الإمام الحسين عليه السلام من خلال محاوراته أو تلك التي ابتدأ بها الناس، تنقسم إلى قسمين:

- قسم يمكن اعتباره وثائق أساسية تمثل العناوين الرئيسة لكامل نهضته وحركته، وتلقي الضوء على كل تفاصيلها. وهي بمثابة (الروايات الحاكمة) في تعبيرات الفقهاء، التي تقوم بالشرح والتفسير لغيرها، ولو خالفتها غيرها فإن هذه الروايات الحاكمة، هي التي تتقدم، بغض النظر عن نسبة باقي الروايات إليها.

هنا أيضاً في النهضة الحسينية نحن نجد بعض الكلمات له صلوات الله عليه بمثابة هذه الروايات الحاكمة، وخطابات أو وصايا هي التي تفسر مجمل حركته.

- وهناك قسم من كلماته، لا تعبر عن هذا المعنى المتقدم، وإنما ربما قيلت في جواب من لم يشأ الإمام عليه السلام أن يخبره بتفاصيل أهدافه. والخطأ الذي قد يقع فيه مؤرخون أو قراء للسيرة هو الخلط بين القسمين من الكلمات، فيقيسون نهضة الحسين بمقياس الكلمات من القسم الثاني مع أنها لا ينبغي أن تقاس إلا بالنحو الأول.

٣. إن هناك عدة عوامل يمكن الحديث عنها في النهضة الحسينية، وكل واحد

من هذه العوامل كان يتطلب نوعا من رد الفعل، والتوجيه الخطابي والثقافي، وكان الإمام ﷺ بحسب تقديره للظرف يجيب بالنحو المناسب.

فقد كان من عوامل النهضة الحسينية[١]: رفض البيعة ليزيد، واستجابته لدعوة أهل الكوفة بأن يقدم إليهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه العوامل بينها ترتيب في الأهمية، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان أهم العوامل، جميعا وقد حدد الإمام ﷺ في بداية خروجه هدفه بأنه يريد هذا الأمر، وبقي هذا العامل على قوته ودفعه إلى الأخير، بعدما تعطلت العوامل الأخرى، فإنه بعدما ظهر للجميع أن دعوة أهل الكوفة ليست بتلك الصورة، وإن كان الحسين ﷺ ليس بعيدا عنها، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يغفل آلاف الرسائل الواردة إليه من قبلهم، بما كان يقوله آخرون أنهم لن يفوا ولن يستمروا ولن يصمدوا وبالتالي فإن عليه أن لا يعطيهم غير الأذن الصماء. هذا لم يكن صحيحا، وإنما استجاب الإمام ﷺ إلى بيعة أهل الكوفة وطلبهم منه أن يقدم عليهم.

ولكن هذا العامل لم يكن العامل الأساس، فقد أشار عليه الكثيرون ومنهم ناصحون له بأن لا يذهب إليهم، ولم يكن أيضاً بالذي يعزب عنه الرأي.

كما أن عامل رفض البيعة لم يكن العامل الأساسي وإن كان أهم من عامل بيعة أهل الكوفة، إلا أنه كان يمكن له أن يتخلص من البيعة باللجوء إلى اليمن أو الاحتماء بالحرم أو غير ذلك مما أشار عليه به عدد من الصحابة.

والخطأ هو عندما تختلط هذه الأمور فيظن البعض أن الحسين إنما خرج استجابة لكلام أهل الكوفة، فخُدع بهم !! بينما هو يقول أنه إنما خرج لطلب الإصلاح وللأمر بالمعروف.

---

(١) حقيقة النهضة الحسينية: الشهيد مرتضى مطهري، تعريب صادق البقال.

وقد تحدث الإمام ﷺ عن كل واحد من العوامل على حدة، وفي بعض الحالات كان يجمع عاملين في الحديث. كما سيأتي.

من الأمثلة على العناوين العامة وهي بمثابة الأصول الأصيلة للثورة الحسينية ما يلي من الكلمات:

١. ما قاله الحسين ﷺ في جواب الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عندما دعاه إلى مبايعة يزيد أراد الإمام ﷺ أن ينهي اللقاء بنحو (دبلوماسي) فقال له كلاما قبله الوليد وهو (ان مثلي لا يعطي بيعته سرا، وانما احب ان تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس الى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحدا)[1]. وكان يمكن أن ينتهي اللقاء بهذا النحو.. ولكن دخول مروان بن الحكم على الخط اضطر الإمام الحسين ﷺ أن يكشف آخر سطر في صفحة موقفه: (أيها الامير ! أنا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة).

وهذه الكلمات التي قالها في التالي تختلف اختلافا كبيرا عن ما قاله في البداية، ففي البداية كان يريد انهاء الأمر ودياً من دون، إعلان موقف صريح وكان الوليد بن عتبة راغبا في حل الأمور بذلك النحو. فلم يكن يريد الاصطدام مع الحسين ﷺ، لكن فيما بعد جرت الأمور بنحو جعل الحسين ﷺ يضع الأمر في إطاره العقيدي، والسياسي الصريح، وقال موقفه بأن (مثلي لا يبايع مثله) معللا ذلك بأنه (أهل بيت

---

(١) في الفتوح ٥/ ١٤ لأحمد بن أعثم الكوفي: قال الحسين: إن مثلي لا يعطي بيعته سرا، وإنما أحب أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحدا.
فقال له الوليد: أبا عبد الله ! لقد قلت فأحسنت في القول وأحببت جواب مثلك وكذا ظني بك، فانصرف راشدا على بركة الله حتى تأتيني غدا مع الناس !.

النبوة بنا فتح الله وبنا يختم.. بينما يزيد رجل فاسق شارب خمر..).

٢. وصية الإمام الحسين ﷺ لأخيه محمد بن الحنفية تعتبر من الأصول التي تكشف عن أغراض وأهداف الحسين من ثورته المقدسة، فقد كتب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء، بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً، ولابطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي اليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

وهذه الوثيقة التاريخية، التي يحصر فيها ﷺ هدف ثورته بـأنه إنما خرج لطلب الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جده وأبيه.. من أهم الوثائق التاريخية التي حفظت للثورة سطوعها وصفاءها.

٣. من المواضع التي جمع فيها الحسين ﷺ بين أكثر من عامل للحديث عن دعوة أهل الكوفة، وبين أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمسؤولية ما نقله المؤرخون من ان الحسين ﷺ خطب أصحابه و أصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس، ان رسول الله ﷺ وسلم قال: (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخل مدخله). ألا وان هولاء قد لزموا طاعة الشيطان،

وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفئ، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلال الله، وأنا أحق من غير. قد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم في اسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ! والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

وأما القسم الثاني من كلماته عليه السلام، والتي كانت أشبه بدفع الجواب، والحديث مع الطرف المقابل بما يقنع به، فهي كثيرة: منها.

ما قاله الإمام الحسين عليه السلام للمسور بن مخرمة الذي (نصح) الحسين بأنه: اياك ان تغتر بكتب اهل العراق أويقول لك ابن الزبير: الحق بهم فانهم ناصروك. اياك ان تبرح الحرم فانهم ان كانت لهم بك حاجة فسيضربون اليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة. فجزاه الحسين عليه السلام خيرا وقال: استخير الله في ذلك.

فإن طريقة الحسين عليه السلام في نهضته لم تكن قائمة على الاستخارة، هذا بناء على أن مقصود الإمام هو الاستخارة المعروفة.

ومثله كلامه عليه السلام مع أبي بكر(عمر) ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، الذي قال له: يا ابن عم ان الترحم نظارتي عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟

قال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يُتهم فقل. قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد

وعدك أن ينصرك و يخذلك من انت احب إليه ممن ينصره فاذكرك الله في نفسك.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله يابن عم خيرا فقد اجتهدت رأيك ومهما يقضِ الله من أمر يكن.

فقال أبو بكر: انا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله.

وهكذا قوله لعبد الله بن مطيع العدوي، الذي استقبله في طريق مكة فقال أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك؟ ! قال: (أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك). فقال له عبد الله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني. فقال له الحسين عليه السلام: (وما هي يا ابن مطيع؟) قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك، وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام. وروى الدينوري: أن الإمام عليه السلام قال لابن مطيع: (يقضي الله ما احب).

- ويمكن أن نصنف أيضاً إجاباته القائلة بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه أمره بأمر، لا بد أن يمضي إليه لما أخبره الرسول.في هذا الجانب.وليس معنى ذلك أنه لم يكن الخبر حقيقيا، ولكنه بهذه الطريقة يقطع النزاع مع أشخاص مثل ابن عباس أو ابن الحنفية بحيث لا مجال مع ذلك للحديث عن الأفضل والأحسن..

إننا نلاحظ التركيز في بعض الأماكن كان على كلمات بعينها، باعتبار أن السامعين أقرب إلى فهم تلك المفردات والمعاني، فمثلا هو عليه السلام في المواجهة العسكرية مع الجيش القادم من الكوفة يركز على أنهم هم الذين دعوه، وطلبوه، وهذا أبلغ في

الاحتجاج[١]. انظر مثلا إلى خطبته في الجيش المعادي يوم عاشوراء: قال ﴿عليه السلام﴾: فتبا لكم أيتها الجماعة وترحا أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم..

ولعل هذه الخطبة كانت نهاية نقطة التحول الذي حدث عند الحر الرياحي، وهو نفسه عندما خطب في جيش الكوفة بعد انتقاله إلى معسكر الحسين ﴿عليه السلام﴾ ركز على هذه النقاط أيضاً فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع ضرا وحلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وهاهم قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمداً في ذريته لا أسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه[٢].

س: سؤال: كيف توفقون بين كون جابر بن عبد الله كفيف البصر في كربلاء حيث كان يقوده خادمه أو غلامه عطية، وبين كونه قد رأى الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ في المدينة وهو صغير فقال شمائل كشمائل رسول اللهA ثم بلغه سلام النبي؟ فإن كان كفيفا كيف رأى الباقر وإن كان مبصرا حينئذ فكيف كان كفيفا في الأربعين (العشرين من صفر)؟

الجواب: في البداية نحب أن نوضح جانبا من حياة الراوي الثقة عطية العوفي،

---

(١) جاء في ترجمة الشهيد عمر بن ضبيعة التميمي، أنه كان شجاعا وكان ممن خرج مع عمر بن سعد فلما رأى رد الشروط على الحسين وعدم تمكينهم إياه من الرجوع من حيث أتى انتقل إلى الحسين، وهكذا حال يزيد بن زياد (أبو الشعثاء الكندي) وغيره..

(٢) الطبري ٤ / ٣٢٦.

فإنه يغمط حقه عادة مع أهمية دوره وربما لا يذكر اسمه في المحافل إلا في مرة واحدة هي كونه غلاما أو خادما لجابر، ولم يكن غلاما، وإنما هو تلميذ نجيب لجابر وراو واع لأحاديثه وصاحب مواقف وإليك بعض الكلمات عنه، ثم نجيب على السؤال الأصلي:

عطية بن سعد بن جنادة العوفي توفي سنة ١١١ هـ

كان أبوه سعد بن جنادة وهو من بني جديل أول من أسلم من أهل الطائف [١]، وصحب النبي ﷺ، وروى عنه عددا من الأحاديث [٢]، وبعد وفاة رسول الله ﷺ كان ممن عرف أمير المؤمنين عليه السلام، ووالاه وشارك معه في حروبه، وروى عنه بعض الأحاديث [٣].

وربما كان في أواخر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عندما ولد له ابن، جاء به إلى الإمام عليه السلام لكي يسميه، فقال هذه عطية الله، وسماه عطية.

ونشأ عطية في الكوفة، ولذا لقبه بعضهم بالكوفي (إضافة إلى العوفي).وتشرب التشيع من أجوائها، وممن صحبهم فيها، ولعل أكثرهم تأثيرا فيه جابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري (أو الكلبي).

ولعل الناظر إلى نوعية الأحاديث التي رواها، وأكثر منها يعرف سر تضعيف

(١) أسد الغابة / ٢.

(٢) منها قوله ﷺ (إن الله زوجني في الجنة مريم ابنة عمران، وامرأة فرعون، واخت موسى..) وفي حديث آخر يخاطب فيه خديجة، زوجني معك...

(٣) منها قوله عليه السلام: أمرت بقتال القاسطين والناكثين والمارقين..) كما في تاريخ دمشق ج ٤٢ .

رجاليي الجمهور لعطية، فإنه قد روى حديث الثقلين[١]، وأن الأئمة اثنا عشر[٢]، وحديث سفينة نوح[٣]، وتفسير آية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) في أهل البيت[٤]، وحديث الغدير، والمنزلة وسد الأبواب غير باب علي، وحديث إعطاء النبي ﷺ فدكاً، وروى خطبة الزهراء الفدكية [٥] وروى عن رسول الله ﷺ في المهدي أنه (رجل من أهل بيتي)[٦].. وغيرها.

لم يكتف عطية فيما يظهر من حياته بمجرد الولاء النفسي والموقف الفكري، بل كان لديه رؤية واضحة في المجال السياسي، تجلت في موقفه المضاد للحكم الأموي معتمدا على ما رواه من أصحاب رسول الله، عنه ﷺ: (إذا بلغ بنو العاص

---

(١) ففي مسند أحمد ج ٣: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عبد الملك يعني ابن سليمان عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ أني قد تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الارض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

(٢) في كفاية الأثر للخزاز القمي: أخبرنا أبو المفضل رضي الله عنه، قال حدثنا الحسين ابن زكريا العدوي، عن سلمة بن قيس، عن علي بن عباس، عن ابن الحجاف، عن عطية العوفي، عن ابي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: الائمة بعدي تسعة من صلب الحسين والتاسع قائمهم، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ج ٢ ص ٢٢:
حدثنا محمد بن عبد العزيز بن ربيعة الكلابي أبو مليل الكوفي حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد المقري عن أبي سلمة الصائغ عن عطية عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم يقول إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له.

(٤) المعجم الأوسط - الطبراني ج ٢ ص ٢٢٩:
حدثنا أحمد قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال حدثنا أبو الجواب الاحوص بن جواب عن سليمان بن قرم عن هارون بن سعد عن عطية العوفي قال سألت أبا سعيد الخدري من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فعدهم في يده خمسة رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين قال أبو سعيد في بيت أم سلمة أنزلت هذه الآية

(٥) بلاغات النساء لابن طيفور

(٦) كتاب الفتن للمروزي

أربعين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً..)[١]

وهو وإن لم يلحظ له ذكر في أيام الحسنين ﷺ، إلا ما يروى عن ذهابه مع شيخه جابر بن عبد الله إلى كربلاء يوم العشرين من صفر وافتراقه عنه بعد ذلك كما يظهر من ذيل الرواية التي نقلها عماد الدين الطبري في كتابه بشارة المصطفى، إلا أننا نلاحظ له دوراً فيما بعد كربلاء، فقد شارك بدور فاعل في ثورة المختار الثقفي، وكان على رأس الجماعة الطليعيين والأقوياء الذين ارسلهم المختار إلى مكة المكرمة، لانقاذ الهاشميين الذين سجنهم عبد الله بن الزبير بعد أن رفضوا مبايعته، وعزم على إحراقهم (!!) في خندق إن لم يستجيبوا لبيعته.

(...فقطع المختار بعثاً إلى مكة فانتدب منهم أربعة آلاف فعقد لابي عبد الله الجدلي عليهم وقال له سر فإن وجدت بني هاشم في الحياة فكن لهم أنت ومن معك عضداً وانفذ لما أمروك به وإن وجدت بن الزبير قد قتلهم فاعترض أهل مكة حتى تصل إلى ابن الزبير ثم لا تدع من آل الزبير شفراً ولا ظفراً...

فسار القوم ومعهم السلاح حتى أشرفوا على مكة فجاء المستغيث اعجلوا فما أراكم تدركونهم فقال الناس لو أن أهل القوة عجلوا فانتدب منهم ثمانمائة رأسهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي حتى دخلوا مكة فكبروا تكبيرة سمعها بن الزبير فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة ويقال بل تعلق بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله !!

قال عطية ثم ملنا إلى بن عباس وابن الحنفية وأصحابهما في دور قد جمع لهم الحطب فأحيط بهم حتى بلغ رؤوس الجدر لو أن نارا تقع فيه ما رئي منهم أحد حتى تقوم الساعة وعجل علي بن عبد الله بن عباس وهو يومئذ رجل فأسرع في الحطب يريد الخروج فأدمى ساقيه. وأقبل أصحاب بن الزبير فكنا صفين نحن وهم في المسجد نهارنا ونهاره لا ننصرف إلا إلى صلاة حتى أصبحنا وقدم أبو عبد الله

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير / ١٠

الجدلي في الناس فقلنا لابن عباس وابن الحنفية ذرونا نريح الناس من بن الزبير فقالا هذا بلد حرمه الله ما أحله لاحد إلا للنبي ﷺ ساعة ما أحله لاحد قبله ولا يحله لاحد بعده...)[١].

ولما عادت الأمور إلى سيطرة بني أمية، وعاث الحجاج في الأرض فسادا يتطلع إلى الرؤوس اليانعة، ويسكر بمنظر الدماء ترقرق بين العمائم واللحى !! وضج الناس من عموم الظلم، وشموله، حتى الذين كانوا محسوبين تاريخيا على بني أمية كبني الأشعث لم يتحملوا ذلك المقدار فكان أن أعلن عبد الرحمن بن الأشعث تمرده على الحجاج، بعدما جمّرهم في البعوث، لا يهمه غير الانتصار على عدوه لجلب الغنائم، ولا يخسر شيئا على التقديرين، فإن قُتل هؤلاء فقد استراح من (همّ القلب) وإن قتل أولئك جاءت غنائمهم وجواريهم !!

وكان عطية من جملة الثائرين.. قال بن سعد (..خرج عطية مع ابن الاشعث على الحجاج، فلما انهزم جيش ابن الاشعث هرب عطية إلى فارس، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم: أن ادع عطية فان لعن علي بن أبي طالب والا فاضربه اربع مئة سوط !! واحلق رأسه ولحيته، فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فأبى عطية ان يفعل، فضربه اربع مئة سوط، وحلق رأسه ولحيته، فلما ولي قتيبة خراسان خرج عطية إليه، فلم يزل بخراسان حتى ولي عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطية يسأله الاذن له في القدوم، فأذن له، فقدم الكوفة، ولم يزل بها إلى ان توفي سنة إحدى عشرة ومئة.. وكان ثقة وله احاديث صالحة..)

وأما الاجابة على السؤال السابق: فإنه من التتبع للروايات التاريخية، وفي كتب الحديث يظهر أن هناك عدة احتمالات في وقت فقدان جابر لبصره: ونحن نرجح أنه لم يكن كفيف البصر في يوم الأربعين

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ١٠٢

الاحتمالات الموجودة:

١. أنه كان كفيف البصر في يوم الأربعين (العشرين من صفر) سنة ٦١ هـ.. وقد يستفاد هذا من ظاهر رواية صاحب بشارة المصطفى كما في قوله: ألمسنيه (القبر).. وقوله فيما بعد خذني نحو ابيات كوفان.

٢. أنه كان كفيف البصر يوم واقعة الحرة، كما يستفاد من رواية البداية والنهاية[1] التي تنتهي إلى ابنيه.

٣. أنه كان كفيف البصر في زمان عبد الملك بن مروان (من سنة ٧٣ هـ سنة ٨٦ هـ)، وبالتحديد في سنة خمس وسبعين عندما حج هذا وذهب إلى المدينة كما ذكره ابن سعد في الطبقات [2] فقد صرح فيه بأنه كان قد كف بصره.

---

(١) البداية والنهاية - ابن كثير ٨ / ٢٤٤:
الدارقطني: ثنا علي بن أحمد بن القاسم، ثنا أبي، ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، ثنا أبو زكريا، يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري، عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا: خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال: تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من أخاف أهل هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين – ووضع يده على جبينه – »

(٢) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد ٥ / ٢٣١:
أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال رأيت جابر بن عبد الله دخل على عبد الملك فرحب به عبد الملك وقربه فقال جابر يا أمير المؤمنين إن المدينة حيث ترى وهي طيبة سماها النبي ﷺ وأهلها محصورون فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل أرحامهم ويعرف حقهم فعل قال فكره ذلك عبد الملك وأعرض عنه وجعل جابر يلح عليه حتى أومأ قبيصة إلى ابنه وهو قائده وكان جابر قد ذهب بصره أن أسكته قال فجعل ابنه يسكته قال جابر: ويحك ما تصنع بي؟ قال اسكت ! فسكت جابر فلما خرج أخذ قبيصة بيده فقال: يا أبا عبد الله إن هؤلاء القوم صاروا ملوكا ! فقال له جابر: أبلى الله بلاء حسنا فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع منك ! قال: يسمع ولا يسمع ما وافقه سمع وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة آلاف درهم فاستعن بها على زمانك فقبضها جابر.

وبعدها توفي كما عليه أكثر المؤرخين في سنة ٧٨ هـ.

٤. أن يكون قد كف بصره قبل سنة (٧٤ هـ) وبعد سنة (٧١) هـ.

مناقشة الاحتمالات:

أما الاحتمال الأول، فلا مقتضي للالتزام به إلا ما يظهر من رواية بشارة المصطفى المتقدمة من خلال كلمات (ألمسنيه القبر وقوله: خذني إلى أبيات كوفان) وهذه لا صراحة فيها بل لا ظهور في العمى، فإن الرجل الكبير مثل جابر في ذلك السن المتقدم (حوالي ٨٢ سنة أو ٨٧ سنة)، (إذ أن عمره عندما توفي كان ٩٥ سنة) يحتاج إلى مساعدة شخص يكون معه، وهكذا ألمسه القبر، ثم أخذه إلى طريق كوفان دليلا ومرافقا. وربما يكون ذلك من أثر حالة الحزن الشديد والبكاء المتواصل التي اعترت جابرا إلى حد أنه قد وقع مغشيا عليه على القبر، لما لمسه.

بل في نفس الخبر الذي نقله صاحب بشارة المصطفى قرائن أخرى تخالف هذه العبارات: مثل قول (عطية) عن جابر أنه دنا من الفرات ثم قوله دنا من القبر؟.. وهكذا قوله فيما بعد ثم جال ببصره حول القبر. فكيف يجول ببصره وهو كفيف؟

ولم يذكر في أي مصدر آخر م المصادر التي تعرضت لحياة جابر على نحو مستقل أو ضمنا، أي إشارة إلى كونه كفيف البصر في تلك المرحلة.

على أنه مخالف لما اتفق عليه الرجاليون والمؤرخون من أن جابر بن عبد الله إنما كف بصره في أواخر عمره (وبعضهم يقول آخر عمره)، ولا يقال لمن كف بصره قبل سبعة عشر سنة من وفاته أنه فقد بصره في أواخر عمره.

وهو يصطدم بما ذكر في أكثر المصادر الشيعية (وبعض المصادر السنية) من لقائه بالإمام الباقر عليه السلام، في المدينة فيما بعد، ونظره إليه وتعرف شمائل النبي ﷺ

فيه[١].

الاحتمال الثاني: يلحق سابقه في الضعف، ولا دليل عليه سوى رواية محمد وعبد الرحمن ابني جابر. وقد نقله في البداية والنهاية باثبات (خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره) بينما لم تكن هذه الجملة في رواية محمد بن جابر بنفس النص التي رواها في كتاب الآحاد والمثاني.. أي لم يكن في هذا الكتاب غير نص (من أخاف أهل هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع يده على جبينيه).

إضافة إلى ما سبق ذكره في رد الاحتمال الأول.

---

(١) الكليني ؛ محمد بن يعقوب: الكافي ١ / ٤٦٩:
- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول الله ﷺ وهو معتجر بعمامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله صلى اله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بأبي أنت وامي أبوك رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول ذلك، قال: فرجع محمد بن علي بن الحسين إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر، فقال له: يا بني وقد فعلها جابر، قال نعم قال: الزم بيتك يا بني فكان جابر يأتيه طرفي النهار و كان أهل المدينة يقولون: واعجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين ﷺ فكان محمد بن علي يأتيه على وجه الكرامة لصحبته لرسول الله ﷺ قال: فجلس ﷺ يحدثهم عن الله تبارك وتعالى، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا أجرأ من هذا، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله ﷺ فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا يحدثنا عمن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله، قال فصدقوه وكان جابر بن عبد الله يأتيه فيتعلم منه.
وسند الرواية وإن كان فيه محمد بن سنان وقد ضعف على المشهور، إلا أن المضمون لا ينحصر بهذه الرواية، ولا بسندها كما ذكر المولى المازندراني.

الاحتمال الثالث: وهو الذي نرجحه أن جابر بن عبد الله بعدما بقي في الكوفة لمدة من الزمن، عاد إلى المدينة كما ينص عليه المؤرخون وبقي فيها وفي هذه الأثناء حدثت واقعة كربلاء، ولا نعرف شيئا عن الاسباب التي منعت جابر عن الخروج من المدينة مع الحسين (وهي ليست بالضرورة العمى وفقدان البصر) فإن الحسين عليه السلام لم يدعُ كل من كان في المدينة للخروج معه بعد موت معاوية، وإنما خرج مع أهل بيته من المدينة المنورة متجها إلى مكة، والذين التحقوا به من غير أهل بيته إنما التحقوا به من مكة المكرمة أو من الطريق أو ممن راسلهم في الكوفة أو البصرة.

وبعد الواقعة قدم جابر بن عبد الله إلى كربلاء زائراً، فوافى هناك الركب الحسيني بما ذكرناه في الحديث عن اللقاء بين ركب السبايا وجابر (فراجعه في موضعه في القسم الأول).

ثم بعد أن عاد الى الكوفة كر راجعا إلى المدينة وبقي فيها، وتعرض للأذى الشديد لا سيما في وقعة الحرة، وفي زمان عبد الملك تعرض لِعَنت الحجاج الثقفي الذي ولي على المدينة سنة ٧٤ هـ، فقام يتتبع أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بالإهانة والإذلال حتى لقد ختم عنق سهل بن سعد الساعدي، وختم كف جابر بن عبد الله الأنصاري كما ذكر الطبري.

في هذه الفترة أي ما بين سنة (٧١ هـ وبين سنة ٧٤ هـ) كُف بصر جابر، وكان قد التقى بالإمام الباقر عليه السلام قبيل هذه الفترة وقبل فقده البصر[1].

---

(١) هناك رواية نقلها العلامة المجلسي في البحار ٤٦، تفيد أنه كف بصره، ولكنه رد إليه كما أخبره النبي صلى الله عليه وآله، فرأى الامام الباقر عليه السلام، لكن هذه الرواية التي نقلها عن أمالي الشيخ الطوسي، غير معتبرة من ناحية السند.

تذييل في احتمالات كيفية اللقاء وصوره المختلفة:

- يحتمل أن يكون الإمام عليه السلام قد جاء مع والده لزيارة جابر، كما في تاريخ دمشق، وأنه لم يبق جابر بعد ذلك اللقاء إلا بضعة عشر يوما حتى توفي.. يضعف هذا أن في الرواية أن الباقر كان صبيا صغيرا، مع أنه مع فرض ولادة الإمام الباقر في سنة ٥٨ هـ ووفاة جابر سنة ٧٨ هـ يكون عمره حينئذ عشرين سنة ولا يمكن أن يقال لمثله (صبي صغير)، وحتى لو كانت وفاة جابر سنة ٧٤ هـ يكون عمر الباقر عليه السلام ستة عشر عاما، وكذلك لا يقال صبي صغير لمن كان في مثل تلك السن.
- كما يحتمل أن يكون اللقاء بين الإمام الباقر وبين جابر قد حدث قبل سنة ٧٤ هـ (والتي هي سنة وفاته أيضاً على رأي جماعة من المؤرخين وإن كانت تضعف برواية أخرى تفيد أن لقاءه بعبد الملك بن مروان سنة ٧٥ هـ)، فاللقاء تم بينه وبين الإمام حينما كان جابر مبصرا، وربما يكون في حدود سنة (٧٠ هـ) أو ما بعدها بقليل، وفيها مثلا قد يكون جابر يجلس للحديث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويتشوق إلى أداء أمانة رسول الله، فيقول يا باقر ويا باقر..إلى آخر ما ذكر في الأحاديث المختلفة، حتى إذا التقاه وعرّفه رسالة جده وبلغه سلامه، كان جابر يأتي الإمام الباقر عليه السلام، ويتدارسان العلم النبوي، فربما تصور الناس أن الباقر يتعلم منه وإنما كان يعلمه كما في رواية أبان بن تغلب.

وهذا الاحتمال يمكن أن توفق به سائر الروايات، سواء تلك التي قالت أنه رآه في طريق فيه كتّاب أو أنه قال له يا غلام حيث يكون عمره في ذلك الوقت حوالي (١٣) سنة. أو غيرها كالتي ورد فيها أن جابر كان ينظر في الصحيفة التي كان فيها أسماء المعصومين عليهم السلام وكان الباقر يقرأ من حفظه، وجابر يتابعه بالنظر في الصحيفة فما خالف حرفا.

س: سؤال حول موضوع الشعائر الحسينية العزائية، وبالذات حول التطبير فقد كثر الكلام حوله بين مؤيد بقوة، وبين محرم له وناهٍ عنه يشنع على من يقومون به؟ واخذ الأمر بعدا اجتماعيا مما يخشى معه أن يتحول إلى صراع. فما هو الموقف الشرعي من ذلك؟ وما هي حقيقة الاختلاف بين المجوزين والمانعين؟ وكلهم علماء أهل البيت وينتمون لمدرسة واحدة وفقه واحد؟

الجواب: يمكن أن نقسم الشعائر العزائية الحسينية إلى قسمين:

- القسم الأول ما هو متسالم على مشروعيته (بل واستحبابه) عند علماء الشيعة، ومن ذلك البكاء، واللطم على الصدور، وما شاكل.
- والقسم الثاني: ما وقع فيه الاختلاف (مشروعية أو استحبابا) سواء كان ذلك بالعنوان الأولي أو العناوين الثانوية الطارئة. ومن ذلك التطبير (جرح الرأس بالسيف) والضرب بالسلاسل وإدماء الظهر.

ولا يرتبط الأمر بوضع سياسي معاصر كما قد يتصور البعض خطأ أنه من يكون ضمن وضع سياسي معين ويؤيد تياراً خاصاً فإنه سيلتزم بالمنع، بينما من يعارض ذلك التيار السياسي يلتزم بالجواز أو الاستحباب. وذلك أن الخلاف في هذه القضية عمره عشرات من السنين. قبل وجود الأوضاع السياسية المشار إليها.

كما أنه لا يرتبط بالضرورة على الظاهر بالنهج الفكري، الذي رأى بعض تصنيف الفئات إليه، كما كتب فيه بهذا الاتجاه، وصنفوا على أساسه القائلين بالمنع من التطبير (والقسم الثاني عموماً) بأنهم بأنهم دعاة إصلاح، ورجال تغيير، وفكرهم ينتهي إلى إنهاض المجتمع الشيعي، بينما دعاة الاهتمام بهذا النوع من الشعائر، والقائلين باستحبابه هم رجعيون في الفكر، وتقليديون في الممارسة، وليس لهم من الفكر المتطور نصيب!

أقول: لا يرتبط بذلك بالضرورة فإننا وجدنا تداخلا كبيرا في هذه المسألة، فإن

شخصا مثل المحقق النائيني أعلى الله مقامه، مع ما هو عليه من الوعي السياسي حتى عد من أوائل الذين كانت لهم نظرية سياسية واقعية ناظرة إلى الأوضاع الحاضرة تجلت في كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) وله ممارسة سياسية متطورة، قال بالجواز والاستحباب.

ومثله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والذي كان يعد من المجددين في الفقه وغيره، (ولا مجال للحديث هنا عن التفاصيل) أيضاً مع ما هو عليه من الادارة الاجتماعية الحكيمة، وبعد النظر السياسي، فإنه ذهب أيضاً إلى جواز ذلك والحث عليه فيما نقل من تعليقته على فتوى المحقق النائيني.

وقد أوردنا هذين المثالين للتأكيد على أن الأمر ليس ضمن معادلة الخط السياسي، كما قد يتراءى بادئ النظر، وليس ضمن معادلة الواقع المعاش الحديث. هذا كله بالنظر إلى الحكم الأولي.

كما أنه ليس أمرا حادثا، ولا وليد اليوم، وإنما كان محور نقاش، وربما صراع في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والناظر إلى كتاب شعراء الغري (النجفيات) للشيخ علي الخاقاني، و (هكذا عرفتهم) للاستاذ جعفر الخليلي، وغيرها من الكتب التي أرخت للفترة تلك من حياة الحوزة العلمية في النجف يجد بشكل واضح أثر ذلك الاختلاف في الموقف بين فئات الحوزويين.

ولعل تلك الفترة نشطت فيها حركةِ التأليف في هذا المجال، واستصدار الفتاوى الموافقة أو المخالفة لكل فريق.

ونحن نقول هذا لكي لا يتصور الجيل الجديد، أن المسألة حديثة الظهور: فيظن الشباب وهم من الطرفين غيورون على الدين أن عليهم أن يواجهوا بعضهم، لأن الدين في خطر، فهذا الطرف المجوز يحارب الطرف المانع بكل ما أوتي من قوة باعتباره ضد الشعائر أو أنه يريد هدم شعارات المذهب وتقويض أسس الطائفة. أو

أن الطرف المانع يحارب الطرف المجوز باعتباره متآمرا مع الأجانب لتشويه صورة الدين، وأنه داخل في مخطط لالحاق الأذى بصورة المذهب النقية !!

لا ليس الأمر هكذا، وليست القضية وليدة اليوم. وإنما هي منبعثة من خلال اختلاف طريقة الاستدلال والمقدمات التي يمهدها كل فريق للنتيجة الخاصة به. ونحن سوف نتعرض إلى عرض إجمالي لأدلة الطرفين بما يتناسب مع وضع هذا الكتاب، وبما يتناسب مع الفئة التي يوجه لهم، وهي في الغالب الفئة الشابة بنين وبنات.

فمما استدل به المجوزون:

١. أصل الاباحة: فقد تقرر عندهم أن الأشياء على الاباحة، وأن (كل شيء لك حلال حتى تعلم أنه حرام)، وهذا الأصل وإن تعددت صيغه، إلا أن نتيجته: أن ما لم يأت دليل على المنع منه من الله سبحانه أو المبلغين عنه (كالنبي والأوصياء ﷺ) فإنه مباح. وممارسة العزاء بهذا النحو من الضرب والادماء يشك في تحريمها والأصل عدم التحريم.

قد يقال: أنه قد ورد النهي عن الإضرار بالنفس، وهذا من الإضرار بها، ومع وجود النهي لا مجال لتحكيم الأصل.

لكنهم أجابوا: أن مطلق الإضرار بالنفس ولو في مراتبه الدانية لا دليل على حرمته، وخصوصا لو كان فيه مصلحة عقلائية. نعم لو كان الضرر يعد جناية على النفس بإتلافها أو يعد ظلما لها، كما لو أدى إلى نقص عضو، فهنا يكون حراما. وهذا غير متحقق في مظاهر الشعائر فإنهم يقومون بعملهم صباحا وبعد الظهر يمارسون حياتهم العادية. بالاضافة إلى المصالح الدينية المترتبة عليه مما هو واضح.

وواضح أن هذا المقدار من الاستدلال لا ينتج أكثر من الجواز والمشروعية، لا الاستحباب. لكنهم يضيفون:

٢. أن هذا العمل مثل التطبير والادماء من مراتب الجزع الممنوع إلا في مورد الإمام الحسين ﷺ فإنه غير ممنوع بل مرغوب ومحبوب. وقد ورد في الخبر بسند معتبر هو حسنة معاوية بن وهب [١]: كل الجزع والبكاء مكروه إلا الجزع والبكاء على الحسين ﷺ.

٣. أن هذه الشعائر بما فيها التطبير والإدماء، من مصاديق إحياء الأمر، وقد ورد في الروايات كثيرا التوجيه إلى إحياء أمرهم، ومن مصاديق تعظيم الشعائر (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب). والشاهد على ذلك جريانها منذ فترات طويلة من الزمان بمسمع ومرأى من علماء الطائفة وأكابر المذهب، ولم يردعوا عنها أو يمنعوا منها مع توفر الدواعي للمنع، والقدرة عليه ولو في حدود الفتوى.

وبالتالي فإن هذا العمل وإن لم يأت على الفرض إمضاء خاص بشأنه، إلا أنه مشمول للعمومات المرغبة في تعظيم الشعائر، وإحياء الأمر.

٤. ويستشهدون ولو على نحو التأييد بما ورد في بعض الروايات التي لم تكن نقية السند، إلا أنهم عملوا بها كالخبر الذي نقله العلامة المجلسي في البحار [٢] وفيه أن زينب نطحت جبينها بمقدم المحمل، وكذلك ما ورد

---

(١) لجهة أبي محمد الأنصاري فإنه لم يوثق بتوثيق خاص لكن مدحه محمد بن عبد الجبار في رواية في الكافي.

(٢) قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٥٤ / ١١٤:

رأيت في بعض الكتب المعتبرة روى مرسلا عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لاصلاح دار الامارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الابواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: مالي أرى الكوفة تضج؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي ! قال: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن يذهب، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملا فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة ﷺ وإذا بعلي بن الحسين ﷺ على بعير بغير

وطاء، وأوداجه تشخب دما، وهومع ذلك يبكي ويقول:

يـا امـة السـوء لا سـقيا لربعكـم ... يـا امـة لم تـراع جدنـا فينـا
لـو أننـا ورسـول الله يجمعنـا ... يـوم القيامـة مـا كنتـم تقولونـا
تسـيرونا عـلى الاقتـاب عاريـة ... كأننـا لم نشـيد فيكـم دينـا
بنـي اميـة ماهـذا الوقـوف عـلى ... تلـك المصائـب لاتلبـون داعينـا
تصفقـون علينـا كفكـم فرحـا ... وأنتـم في فجـاج الارض تسـبونا
أليـس جـدي رسـول الله ويلكـم ... أهـدى البريـة مـن سبل المضلينـا
يـا وقعة الطف قـد أورثتنـي حزنا ... والله يهتـك أسـتار المسـيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الاطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم ام كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام وصارت تأخذ ذلك من أيدي الاطفال وأفواههم وترمي به إلى الارض، قال كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم ثم إن ام كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت، فاذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبج قدانتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يمينا وشمالا فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بخرقة وجعلت تقول: ياهلالا لما استتم كمالا * غاله خسفه فأبدا غروبا ما توهمت يا شقيق فؤادي * كان هذا مقدرا مكتوبا يا أخي فاطم الصغيرة كلمها * فقد كاد قلبها أن يذوبا..

أقول: أول ما في هذا الخبر أنه من بعض الكتب (المعتبرة) عند العلامة المجلسي، ولم يعلم أي كتاب هو ولا مؤلفه، وثاني ما فيه إرساله، وثالث ما فيه مجهولية مسلم الجصاص فليس له ذكر في كتب الرجال، ورابع ما فيه وجود الخلل في المتن فقد ذكر فيه أن زين العابدين كانت أوداجه تشخب دما!! ولا يخفى ما فيه إلا أن يكون تعبيرا كنائيا، وكذلك لم يعلم أن النساء سيرن إلى الكوفة على محامل وإنما كن على جمال بغير غطاء ولا وطاء كما هو المعروف، وإن كانت هذه بدورها تحتاج إلى تحقيق. وأيضا هل كان على النساء أقنعة حتى يخرج الدم من تحت القناع !! إلا أن يقال أنهن في بداية دخولهن لم يكن عليهن أقنعة ثم ناولتهن بعض الكوفيات أزرا ومقانع كما ورد في بعض المرويات التاريخية.. ثم أين كانت عن زينب عليها السلام وصية الحسين: إني أقسمت عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيبا ولا تخمشي علي وجها.. كما نقلها في الارشاد؟.

هذا مع ملاحظة أنهم يذكرون بأن رأس الحسين عليه السلام قد سير في نفس يوم العاشر مع خولى بن يزيد

عنهم ﷺ أنه (على مثل الحسين فلتشق الجيوب، ولتخمش الوجوه، ولتلطم الخدود)[١]. فإن لطم الخدود وإن لم يلزم منه الإدماء إلا أن خمش الوجوه لا ينفك عن الإدماء. وما ورد في زيارة الناحية المنسوبة [٢] للإمام الحجة عجل الله فرجه (..ولأبكين عليك بدل الدموع دما..) فإن ذلك من إدماء العين بالبكاء، ولو لم يكن كل ذلك راجحا ومستحبا لما فعلته العالمة غير المعلمة زينب ولما تعهد به الإمام المعصوم ﷺ.

ومما استدل به المانعون:

١. التشكيك في كون التطبير والادماء من مصاديق الجزع، أو التألم لما جرى على أهل البيت ﷺ وبخاصة على الحسين ﷺ. فالبكاء هو من مصاديق التألم عرفا، والضرب على الصدور كذلك وأما الإدماء للجسد فليس كذلك. وحينئذ فلا يشمله ما دل على الترغيب في الحزن لأحزانهم والتألم لأجلهم.

٢. أنه لم يعهد من الأئمة ﷺ، ولا العصر القريب منهم إمضاء عام ولا خاص لهذا النوع من العزاء، والممارسات.

٣. الالتزام بأن مطلق الإضرار بالنفس حرام حتى لو لم يؤدّ إلى التهلكة أو للجناية على النفس بنقص العضو ونحوه ويمثلون بأنه لو جئت بشفرة وجرحت نفسك ووضعت بعد ذلك دواء ليندمل الجرح، فحتى لو شفيت بعدئذ فهذا

الأصبحي (ليشر) بن زياد بالنصر !! ويفترض أنه في اليوم الحادي عشر او الثاني عشر موجود في قصر الامارة عند ابن زياد.. فكيف يقال فإذا هم بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين؟؟

(١) ما وجدت في ما لدي من المصادر هذا النص، نعم في الوسائل وغيره (فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام). وفي دعاء الندبه (فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبك الباكون وإياهم فليندب النادبون ويضج الضاجون ويعج العاجون أين الحسن أين الحسين...). وفي التهذيب ٨/ ٣٢٥ توجد رواية (وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب..) من دون جملة تخمش الوجوه.

(٢) ذكرنا في القسم الأول من هذا الكتاب وجود رأيين حول الزيارة المذكورة، فليراجع.

حرام، لأنه تعريض النفس للضرر، والإضرار بالنفس ظلم للنفس، وظلم النفس محرم ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

والإدماء هو من الإضرار بالنفس فلا يكون جائزا.

وهنا يختلف المانعون: حيث أن بعضهم لا يلتزم بهذا المبنى، ولذا يجوزون مثلا الضرب بالسلاسل مع أن فيه إضرارا بالنفس في مرتبة من مراتب الضرر.

٤. التوسل بالعنوان الثانوي: وهو الوهن الوارد على المذهب على أثر هذه الممارسات، فهم يقولون أن أعداء المذهب اليوم، يتربصون به حتى يظهروه على غير حقيقته، وبروز هذه المظاهر والصور من التطبير والإدماء تسبب وهن المذهب، وتشويه صورته، وذلك غير جائز.

فحتى لو فرضنا جوازه بالعنوان الأولي فإنه بالعنوان الثانوي لا يكون جائزا لما فيه من تشويه صورة المذهب، وتسبيب الوهن عليه.

تلك كانت خلاصة رأي الطرفين وما يمكن أن يستدل به لكل منهما بمقدار ما يحتمله وضع هذا الكتاب والفئة المخاطبة به.

نهاية المطاف:

قد عرفت مما سبق أن كل طائفة من العلماء تعتمد على توجيه معين وتقريب خاص تصل من خلاله إلى نتيجة الجواز بل الاستحباب، أو المنع وعدم الجواز، ولنا هنا عدة نقاط، ربما مرت الإشارة إلى بعضها:

أولها: أن التزام المؤمن بتقليد من يقول بالمنع والحرمة، ولو لأجل العنوان الثانوي الطارئ، يعني أن لا يقوم هو بتلك الأمور، لكن لا يعطيه حق أن يحارب من

---

(١) سورة النحل: من الآية ١١٨

يقوم بها إذا كان له حجة شرعية بتقليده من يقول بجوازها أو استحبابها.

كما أن التزام المكلف بقول مرجعه القائل بالجواز أو الاستحباب لا يعني فرض ذلك عليه على نحو الوجوب، ولا يعني أيضاً أنه هو الذي يدافع عن الأئمة فقط، وهو وارث التشيع دون سواه، وأن الآخرين ليسوا في خط أهل البيت عليهم السلام. وأنه يجب بالتالي زيادة هذه الأمور نكاية بالفريق الأول!

ثانيا: أن شعائر الحسين عليه السلام، على اختلاف طرقها وأساليبها، يوجد بينها قاسم مشترك. والقاسم المشترك بينها كما يفترض هو أن تساهم في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإن اختلف البعض في أن هذا يساهم أو لا يساهم في إحياء أمرهم لكن غرضها الأقصى والقاسم المشترك بينها هو ذاك.. فلا يصح أن يحولها أتباع أهل البيت إلى ساحة معارك داخلية. تنتهي إلى إضعاف أمر أهل البيت عليهم السلام.

وما نراه من حالات الهجوم والهجوم المضاد من قبل كل فئة للأخرى لا يحقق سوى المزيد من الانتكاس لخط الأئمة عليهم السلام ولذا فإن الأطراف المختلفة مدعوة لملاحظة هذا الأمر.

إن الفئات الاجتماعية فيها من دواعي التفرق والاختلاف ما يكفيها، فلا يصح أن نضيف سببا جديدا هو ما يرتبط بالحسين عليه السلام، والذي هو نور وهداية، فنحوله بتخلفنا وجهلنا إلى مصدر للفتنة والتناحر.. كيف وقد ذكروا عليهم السلام بأن (طاعتنا نظام للملة وإمامتنا أمان من الفرقة)؟.

ثالثا: إنه لا بد من التفريق بين الحكم الأولي والذي لا يخضع لرأي الغير، ولا يؤثر فيه الزمان ما دام الموضوع واحدا، وبين الحكم الثانوي الذي ينظر إلى الطوارئ والعناوين اللاحقة. والمجوزون القائلون بالاستحباب، أيضاً يقولون بأنه لا يجوز لشخص القيام بهذا العمل لو كان بالنسبة له يؤدي إلى ضرر لا يتحمل عادة. وهكذا لو كانت الظروف المحيطة بالمجتمع كما لو كان أقلية شيعية في

محيط معاد تنتج مشاكل حياتية صعبة، كالاحتراب الداخلي، وغيره.. وكانت تلك الشعائر فرضاً تسبب في حدوث تلك المشاكل فإنه حتى القائلين بالاستحباب لا يلتزمون به بالنظر إلى هذا العنوان الثانوي الطارئ بالنسبة إلى ذلك المجتمع وفي تلك الفترة الزمنية.

وهكذا يفترض أن القائلين بالحرمة على أساس أن هذه الممارسات تؤدي إلى وهن المذهب والإزراء عليه، يربطون الحرمة من هذه الجهة بتحقق الوهن، فلو فرضنا في مكان أنه لا يحصل وهن بل تقوية، فإنه لا ينبغي أن يلتزموا بالتحريم من هذه الجهة، مع فرض عدم الاضرار.

والاختلاف في تشخيص الأمور الخارجية أمر شائع ولا يفسد لا للود ولا في الدين قضية.

وهذا يعني أن يفكر الشباب المؤمنون في مناطقنا زادهم الله وعيا وحماسا، بأن القضية ليست على نحو الاطلاق بين حدي التحريم والوجوب.

س: سؤال: هل كان الحسين ملاحقا من أعوان يزيد؟ واضطر اخيرا إلى خوض معركة أم كان ثائرا؟

الجواب: الناظر إلى مجمل حركة الامام الحسين ﷺ، يقطع بأنه لم تكن تلك إلا ما عبر عنه (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنازعا في سلطان ولا التماسا لشيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك، وتقام المعطلة من حدودك فيأمن المظلومون في بلادك).

وأنه لم يكن سلام الله عليه إلا ثائراً آثر العز والشهادة على الذل والحياة الذميمة فقال (فليرغب المؤمن في لقاء الله محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما). وأقسم أنه لا يعطي بيده إعطاء الذليل ولا يفر فرار العبيد.

رأى أن ظهر الذل أخشن مركبا ... من الموت حيث الموت منه بمرصد
فآثر أن يسعى على جمرة الوغى ... برجل ولا يعطي المقادة عن يد
وقال قفي يا نفس وقفة وارد ... حياض الردى لا وقفة المتردد

بل إنه رفض أن يتنكب الطريق الأعظم من المدينة المنورة إلى مكة، مع أن البعض نصحوه بأن يفعل ذلك كما فعل ابن الزبير، فلم يقبل منهم. وبعدها من مكة إلى كربلاء خرج جهاراً أمام الملأ، إلا حين كادت أن تحصل المواجهة بينه وبين الحر بن يزيد الرياحي، الذي اقترح عليه أن لا يدخل الكوفة، فسار على غير الجادة.

إن الملاحَق أو المنهزم لا يفوت على نفسه فرصة النجاة لو حصلت، بينما حصل للحسين، وعُرض عليه العديد من فرص (النجاة).. وكان الحسين عليه السلام لا يبحث عن فرصة لنجاته وإنما كان يريد إنقاذ الدين، وإحياء ما مات منه حتى لو أدى ذلك إلى أن يكون شهيدا في هذا الطريق.

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا ... إلا إذا دمه في كربلا سفكا

وهذا هو ما لم يفهمه بعض من عاصره، ولذلك طفقوا يقترحون عليه مرة أن يعتصم بالبيت الحرام حتى ينجو فإنه أعز واحد في الحرم !!، وأخرى يشار عليه بأن يذهب إلى اليمن فإنهم شيعة أبيه، وثالثة يشاور في أمر الذهاب إلى جبال آجا وسلمى !! بل أشار عليه بعضهم بأن (أوَلا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يُروك إلا ما تحب !!).

وعرض عليه عمر بن سعد ذلك، ولكن الحسين عليه السلام، ما كان يبحث عن نجاته هو وإنما كان يبحث عن نجاة الأمة وتحقيق هدفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

س: سؤال: ألا يخشى أن تؤدي كثرة التدقيق في مسائل السيرة ونفي بعضها إلى تقليل ولاء أتباع أهل البيت عليهم السلام، والتأثير سلباً على الاعتقادات الأخرى؟ فيكون

فتح هذا الباب سيئاً لأجل هذه الأثر السيء؟

الجواب: نحن نعتقد خلاف ذلك للأمور التالية:

١. لأننا مأمورون بالمعرفة والوعي في كل قضايانا العقيدية، وقد رأينا أن الذين ساروا على غير بصيرة ومن دون معرفة كيف انتهى بهم الحال إلى مشاكل في الرؤية والعمل.

«ومن ذلك ما يقوله أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى وصاياه لكميل بن زياد:

(يا كميل: ما من حركة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة)، ويحذر المعصومون عليهم السلام من السير دونما بصيرة، لأن ذلك إضافة إلى أنه تبديد للجهد والطاقة و لا يوصل المرء إلى الهدف إطلاقاً بل يبعده عنه. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق فلا تزده سرعة السير إلاّ بعداً)[1] ويجعل الإمام الصادق مقياس التفاضل بين العاملين، المعرفة، والبصيرة التي تجعل أعمال المؤمن ضمن الإطار الصحيح، فليست كثرة الصلاة والعبادة الخالية عن الوعي دليلاً على أفضلية المؤمن، إنما البصيرة الرسالية التي تعطي كل عمل أبعاده الكاملة في شخصية المؤمن.. فعن الصادق عليه السلام أنه قال:

« بعضكم أكثر صلاة من بعض وبعضكم اكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة وبعضكم أكثر صياماً من بعض. وأفضلكم أفضل معرفة «

٢. نحن نعتقد أن هناك ارتباطا وثيقا بين المعرفة العلمية، وبين قوة الاعتقاد وديمومة الولاء لأنه يكون في هذه الحالة ثابتا لا يتأثر بعواصف التشكيك[2]، ولا بحملات الآخرين، وإنما لسان حال المؤمن ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى

---

(١) الأحاديث من تحف العقول

(٢) للتفصيل يراجع كتاب التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت.. للمؤلف

اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[١]، لهذا كان ايمان العلماء بالغيب وما يرتبط به أقوى من إيمان غيرهم، ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢].

٣. بل هناك ارتباط بين مقدار الثواب والمنزلة الإلهية، وبين الوعي والمعرفة، فصلاة العالم العارف تختلف عن صلاة غيره[٣] وزيارة المعصومين ﷺ مطلوبة لكن زيارة الزائر إذا كان (عارفا بحقهم) أفضل.

ثم إننا نعتقد أن الكثير مما هو في السيرة ثابت ومحقق، وينبغي الاعتناء به، ولكن هناك بعض القضايا مما لا تعد من الأساسيات، لا ثبوت لها، وهذه لا يؤثر قبولها وردها كثيرا في ميزان الولاء والاعتقاد. حيث أنها لا تتصل في الغالب بأمور عقيدية وإنما هي تفاصيل في السيرة

ولو كان المذكور صحيحا، أن التحقيق والبحث والمعرفة تؤثر سلبا على الولاء والاعتقاد السليم لرأينا أئمتنا ينهون عن التعلم والتعرف والحال أنهم يأمرون به. ولرأينا علماءنا يجتنبونه والحال أنهم يحققون فيه.

بل بالعكس نعتقد أن الإنسان كلما ازداد بصيرة، ازداد بمقدارها اعتقادا وولاء.

٤. إن ما ينقل في بعض الحالات من الكتب غير المعتبرة أو على ألسن بعض الخطباء من غير تحقق، ربما أنتج آثاراً سلبية معاكسة على قوة الولاء، وذلك أن جيل اليوم هو جيل ناقد وواعٍ، وقد توفرت بين يديه الكثير من وسائل المعرفة، فإذا لم يتم التدقيق في هذه الروايات، واستبعاد غير الصحيح منها، مع وضوح شناعتها في بعض الحالات يخشى أن يسري الأمر إلى الثابت

---

(١) سورة يوسف: من الآية ١٠٨

(٢) سورة فاطر: من الآية ٢٨

(٣) في الحديث عن أمير المؤمنين ﷺ (من أتى الصلاة عارفا بحقها غفر له). وفي الحديث عن الامام الكاظم ﷺ (ما أتى الحسين آت عارفا بحقه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) يراجع ميزان الحكمة.

المحقق من السيرة.. فيتم رفضه.

س: سؤال: هل كل الشيعة يحيون عاشوراء بنفس ترتيب الأيام المعروفة لدينا، مثل كون السابع خاصا بالعباس وهكذا؟ وكيف وضعت هذه الأيام ومن كان واضعها؟ وكيف كانوا يحيونها قبل هذا الترتيب؟

الجواب: لا يظهر في الروايات الواردة عن إحياء أهل البيت ﷺ لهذه المناسبة توزيع أو ترتيب كالذي نراه اليوم، فإن الروايات تذكر أنهم ﷺ كانت تظهر عليهم آثار الحزن من بداية اليوم الأول من محرم، حتى إذا كان يوم العاشر فهو يوم المصيبة الكبرى. خصوصا أن من يدخل عليهم من الشعراء كان ينعى الحسين ﷺ، وشهداء كربلاء، ويعطف أحيانا على ذكر نساء الحسين وقضية السبي، مع أنه لم يأت حتى ذلك الوقت يوم العاشر.

أما في العصور المتأخرة، فما درج عليه (هيكل المجلس الحسيني الأساسي في العشرة الأولى من شهر المحرم من تسلسل حيث يكون موضوع الخطيب في اليوم الأول كما هو عند الأغلب أو الكثير الحديث عن هلال محرم وما يصاحب ذلك من تداعي المعاني وما يصاحب ذلك من حكايات وما كان له من تأثير عند أئمّتنا الأطهار وشيعتهم وأسلوب استقبالهم له وما كانوا يمارسونه من أنماط الحزن لذلك، هكذا هو اليوم الأول في الجملة.

وفي اليوم الثاني يتناول الخطيب فضل البكاء على ما جرى من فواجع في واقعة الطف ومشروعية هذا البكاء والتماس الأدلة على ذلك وما يترتّب من الأجر والثواب للباكي التقليدي أو الوفاء للباكي الواعي الذي يبكي لمجرد الإنفعال لمأساة عظيم كالحسين ظلمته أمّته ، يستعمل الخطيب عادة بعض مقاطع باللغتين الدارجة والعربية والمشحونة والمكهربة عاطفياً لاستدرار الدمع.

أمّا اليوم الثالث فغالباً ما يتناول خروج الحسين ﷺ من المدينة المنوّرة وما

أحاط به من أجزاء تصوّر المشهد من وداع لقبر جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبر أمّه ﷺ ووداع أهله وكيفيّة موكبه وما رافق ذلك من مناظر مفجعة للوداع[١] .

ويتناول في اليوم الرابع مسير الحسين ﷺومروره بالمنازل والتقائه ببعض أهلها ولقاء الحرّ معه وما دار بينهما من مطارحات وما حدث من أعمال وينتهي غالباً إلى حدّ نزول الحسين ﷺ بكربلاء .

ويتخصّص اليوم الخامس لسيرة مسلم بن عقيل ﷺ ومكانته وسرّ اختيار الحسين له ليكون رسوله إلى الكوفة إلى مصرعه ومصرع ناصره هاني بن عروة والأحداث التي ارتبطت بذلك اليوم.

في اليوم السادس من محرم تتلى سير شهداء الطف من أنصار الحسين ﷺ مثل حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وزهير بن القين وغيرهم ، ودراسة أحوالهم ومكانتهم وما أعدّ الله تعالى لهم .

واليوم السابع يخصّص للعباس بن علي وإخوته أبناء أم البنين وما له ولهم من صفات من حيث النسب والمكانة ومؤهّلاته البطولية والإيمانيّة الخ إلى مصارعهم .

واليوم الثامن للقاسم بن الحسن الشهيد الصبي الذي تمتزج ذكراه بما رافقها من آفاق عاطفية زوّجته وصنعت له عرساً نثاره من النبل وخضابه من الدم وحلّته من نسيج امتزج فيه غبار المعركة بلون الدم ولهيب الجرح لينزف بعد ذلك محمولاً

---

(١) هناك شيء من الاختلاف في الأيام الأولى، وحيث أن الترتيب هذا لم يكن من خلال نص شرعي، أو سيرة مثلا، وإنما جرى الاعتياد عليه في العصور المتأخرة، لذلك يحصل الاختلاف بعض الشيء، ففي دول الخليج غالبا يتم في الليلة الثانية الحديث في جهة المصيبة عن الخروج من المدينة، وفي الثالثة عن الخروج من مكة، وفي الرابعة عن مسلم بن عقيل وفي الخامسة عن نزول كربلاء. وفي ليلة العاشر يقرأ البعض المصرع إن لم يكن مجلس صباحي. ولا يخفى أن هذا الالتزام قائم بالنسبة للمصيبة والرثاء، دون المواضيع والمضمون فقد تتعدد المواضيع ولا ترتبط من البداية بالمصيبة التي ستقرأ في الأخير، والكلام في المتن إنما هو حكاية ما هو سائد غالبا في المنابر التقليدية..

على صدر الحسين إلى خيمة جمعته مع لداته بين دموع الأهل وحسرات الأمهات.

أمّا ليلة التاسع فهي ويومها لعليّ الأكبر بن الحسين عليه السلام أولّ قتيل من الهاشميين وحالات الحسين عند مصرعه وما يرتبط بذلك من شؤون الآباء مع الأبناء وتشير إلى المشاهد التي تلهبها الأجواء العاطفية ويعمقها الخيال حتى الشهادة .

أمّا ليلة العاشر فهي مخصصة للإعداد للمعركة وذكر ما جرى فيها من عبادة ووداع واستعداد للشهادة والحالة النفسية للعائلة وهي تتوقّع المجزرة صباحاً وفراق أهلها وأحبّتها . وختام ذلك كلّه أحداث صبيحة العاشر التي منها قراءة ما يسمّى بالمقتل حيث تستعرض كلّ ملابسات واقعة الطف والإعداد لها ابتداء من طلب البيعة من الحسين ليزيد والإمتناع والمسير إلى كربلاء مروراً بمكة المكرمة والمنازل ونزولاً بكربلاء واستعراضنا لكلّ الأحداث بما فيها القتال إلى أن ينتهي الأمر إلى مصرع الحسين عليه السلام.

وسواء كان هذا الترتيب تعيّنياً[١] وهو الأقرب أم تعيينياً ، فهو على الإجمال وصف للهيكل التقليدي للمجلس الحسيني عند الكثير)[٢].

وهذا الهيكل يظهر أنه هو القائم في العراق، ومحيطها الشيعي المتأثر بها مثل دول الخليج، وليس معلوما أنه نفس الترتيب الموجود في إيران، أو الهند وباكستان.

---

(١) التعيني والتعييني مصطلحان أصوليان، يبحث عنهما في العلاقة و الارتباط الحاصل بين اللفظ والمعنى، فمثلا كلمة كتاب تحمل معنى هذه الأوراق المجموعة على نحو خاص.. ويتبادر إلى الذهن عندما تطلق الكلمة ذلك المعنى، فمن أين حصل هذا الارتباط بين المعنى الذي سبق إلى الذهن وبين ذلك اللفظ؟ قال بعض بالوضع التعييني أي أن واضع اللغة على اختلاف المسالك في هوية الواضع قد عيّن ووضع هذا اللفظ بإزاء ذلك المعنى بأن يقول وضعت لفظ (كتاب) في هذا المعنى المعين. والثاني وهو الوضع التعيّني بأن يكثر استعمال اللفظ في معنى بحيث لا يحتاج إلى تعيين الواضع، ولا يحتاج انسباق المعنى إلى قرينة. وقد استفاد المؤلف من هذين الاصطلاحين في هذا المورد..

(٢) تجاربي مع المنبر للوائلي ص ٥٧

س: سؤال: ألا تعتقدون أن كثيراً من المواكب العزائية لا تنتج شيئاً، فما أن ينتهي موسم المحرم حتى يعود كل شيء إلى مكانه وتنسى الشعارات التي رفعت أيام المحرم بل إن بعض من يعزون لا يطبقون أهداف الحسين ولا ينسجمون معها؟

الجواب: مجرد أن الشعارات التي رفعت أيام محرم تنسى، أو أن بعض المعزين لا يطبقون أهداف الحسين ﷺ، لا يضر بموقع المواكب العزائية، ولا يدفع للاستغناء عنها، فإننا نجد أن القرآن الكريم وهو كتاب الله المنزل الذي لو أنزل ﴿عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] ومع ذلك فإنه لا يؤثر في حياة كل المسلمين بمعنى أنك تجد الكثير من المسلمين غير متأثرين بثقافة القرآن وأخلاقه وتعاليمه، فهل يعني ذلك عدم فائدة القرآن؟ أو الاستغناء عنه؟

وأنت ترى أن الرسول الأعظم محمداً ﷺ وسلم وهو من هو في الفصاحة والبلاغة، وقوة التأثير لكن بعض من عاصره واستمع إليه مباشرة لم يتأثر بأقواله !! فهل يعني ذلك عدم الفائدة من حديث النبي؟

إن من المهم أن يكون لدى المجتمع مؤسسات دينية، ومظاهر إسلامية، وشعائرية حتى تحافظ على الصورة الإسلامية العامة، وتكون مقصداً لمن يريد الاهتداء إلى التعاليم الإلهية، هذا ما يحتاجه كل جيل.

كما أنه ليس من الصحيح أن نطلب من الموكب العزائي أكثر من طاقته، فالموكب العزائي يقوم بدور الشحن العاطفي وتهيئة النفوس لتقبل التوجيه الفكري، ويصنع انتماء على مستوى العاطفة بين المعزي والمعزى به، أما أن نفترض أنه محلول كيماوي يدخله المعزي وهو مذنب أو غير واع، فيخرج من الطرف الآخر بعد ساعة وقد تغير كليا !! هذا مما لا يتوقع أصلاً، والبحث عنه بحث عن السراب.

---

(١) سورة الحشر: من الآية ٢١

إن علينا أن نشجع المواكب العزائية بكافة أشكالها، ونحاول أن نقوي فيها المضمون العاطفي والولائي لأهل البيت ﷺ، وأيضا أن يتم توجيهها توجيهاً سليماً من خلال إشراف الهادفين والواعين على تسييرها، واختيار الكلمات المناسبة فيها.

لقد رأينا أن بعض ما يقال من قصائد، و(رداديات) تصنع من الانتماء وتشجع الفرد على الالتزام بالقيم الدينية، أكثر مما تصنعه محاضرات متعددة، لا سيما في فئة الشباب.

وبناء عليه نحن نعتقد أن المواكب العزائية تصنع الكثير، الكثير، ووجود بعض المشاركين ممن لا يتأثرون بعد الموكب، أو ممن لم يكونوا على خط الانسجام مع الهدف الحسيني قبل الموكب لا يمنع من حصول الفوائد الكثيرة للمجتمع، ولا بد من تقوية هذه المواكب كماً ونوعاً.

س: سؤال: هل خرجت زينب ﷺ بعد مصرع الحسين ﷺ عصرا، أو أنها خرجت في الليل فقط كما يرى ذلك بعض خطباء المنبر؟ فإننا نجد من يقول بالأول ومنهم بالثاني؟

الجواب: سوف ننقل ما ذكره المؤرخون من خروج زينب بشكل عام، ومن خلاله سيتم الاجابة:

فقد ذكر المؤرخون أن زينب ﷺ خرجت في المواضع التالية خارج[1] المخيم:

١. خروج زينب عندما قتل علي الأكبر ﷺ، فقد ذكر الطبري في تأريخه نقلا عن أبي مخنف ينهيه إلى حميد بن مسلم قال سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة

---

(١) من خلال هذا أيضاً سوف يتأيد ما سبق أن ذكر في القسم الأول من هذا الكتاب في إجابة على سؤال (ناشرات الشعور)، وأن أحد الاحتمالات فيه هو أنهن لم يخرجن خارج المخيم، وإنما خرجن من خدورهن في داخل حدود المخيم.

الرسول على الدنيا بعدك العفاء قال وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادى يا أخياه ويا ابن أخاه قال فسألت عنها فقيل هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت حتى أكبت عليه فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال احملوا أخاكم فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه (١).

٢. خروج زينب عندما أرادت أن ترجع الغلام عن عمه: وهذه الحادثة قد رويت في كلمات المؤرخين بأكثر من نحو، فمن بعضها يستفاد أن الحسين عليه السلام كان يقاتل وخرج في هذه الاثناء عبد الله بن الحسن المجتبى عليه السلام، بينما يستفاد من بعضها الآخر أن الحسين كان قد وقع صريعا على الأرض ولا يستطيع القتال، وقد أحاط به القوم لكنهم كانوا يتهيبون قتله فانفلت في هذا الحال عبد الله، منطلقا إلى عمه للدفاع عنه، فنادى الحسين عليه السلام اخته زينب أن تمسكه وتحبسه، فلم يقبل، وتخلص منها وجاء إلى عمه، فدفع عن عمه ضربة سيف قام بها بحر بن كعب، واتقاها الغلام بيده فإذا يده معلقة بجلدة !! فضمه الحسين إلى صدره.

٣. خروجها عليها السلام ومخاطبتها لعمر بن سعد، ولعل هذا الخروج هو نفس السابق ولكن في مشهدين، نُقلا مقطعين.. فقد ذكر الطبري عمن حضر المعركة قوله: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه ولا أجرأ مقدماً والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب قال فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته...وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الارض وقد دنا عمر بن سعد من حسين فقالت: يا

---

(١) الطبري ٤ / ٣٤٠

عمر بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ قال فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته قال وصرف بوجهه عنها[١] !!. ثم نادى شمر ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل..الخ.

وهذه الموارد الثلاثة يظهر منها أن خروج العقيلة زينب ﷺ كان قبل مقتله سلام الله عليه.

٤. ما يستفاد من زيارة الناحية المقدسة (...حتى نكسوك عن جوادك، فهويت الى الأرض جريحا، تطؤوك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفا خفيا الى رحلك وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك واهلك، واسرع فرسك شاردا، والى خيامك قاصدا، محمحما باكيا. فلما رأين النساء جوادك مخزيا، ونظرن سرجك عليه ملويا، برزن من الخدور، ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات والشمر جالس على صدرك، مولع سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك..) فإن فيه تصريحا بخروج النساء ولا شك في كون زينب معهن..

لكن لا صراحة في هذه الكلمات بأن الخروج كان بعد المصرع، فقد يمكن فهم هذا النص [٢] على أنهن خرجن حالة كون الشمر جالسا على صدر الحسين ﷺ، وذبحه له واستمر ذلك إلى ما بعد الذبح.. فيكون الخروج مترافقا مع الذبح ومستمرا إلى ما بعده.

---

(١) الطبري ٤ / ٣٤٥

(٢) قد سبق الحديث عن القيمة التاريخية لزيارة الناحية من حيث كونها كلام المعصوم أو لا.

وقد يفهم على أن النص ينقل صورا مختلفة من الواقعة فيكون ذبح الشمر للحسين، وما ذكر في النص معطوفا على الصورة الأولى وهي صورة خروج النساء، كما أن الخروج بتلك الصورة لم يكن حالة ذبح الحسين ﷺ.. والشاهد عليه أنه بعد ذلك قال (.. وسبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة الى الأعناق، يطاف بهم في الأسواق..).

وعلى أي حال فإن فُهم من النص السابق أن خروج النساء كان في حالة ذبح الحسين واستمر لما بعده، فإنه شاهد على خروجهن بعيد المصرع وعدم انتظارهن إلى الليل.

٥. ما ينقل عن كتاب الطراز المذهب (ولا يوجد عندي)، من أن زينب ﷺ خرجت إلى حيث صرع أخوها الحسين فقالت: اللهم تقبل هذا القليل من القربان. وقد نقل تلك العبارة عنه الحجة الشيخ فرج العمران رحمه الله في كتابه وفاة السيدة زينب، قال: فمن عجيب صبرها وإخلاصها وثباتها ما نقله في الطراز المذهب أنها سلام الله عليها وعلى أبيها وأمها وأخويها لما وقفت على جسد أخيها الحسين ﷺ قالت: اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان قال: فقارنت أمها في الكرامات والصبر في النوائب بحيث خرقت العادات ولحقت بالمعجزات. قال المؤلف النقدي[1] أعلا الله مقامه: فهذه الكلمات من هذه الحرة الطاهرة، في تلك الوقفة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة، التي كانت فيها تكشف لنا قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وفنائها في جنب الله تعالى، وغير ذلك مما لا يخفى على المتأمل.

ولا يُعلم بدقة هل كان هذا الوقوف عند الجسد بعد المقتل مباشرة أو أنه كان في

---

(١) ذكر المرحوم الشيخ فرج بأنه انتخب (وفاة) العقيلة زينب من كتاب زينب الكبرى للمحقق الشيخ جعفر النقدي رحمه الله.

الليل. بل ذهب بعضهم إلى أن هذا الكلام إنما تم في اليوم الحادي عشر كما يرى الشيخ الحائري في كتابه شجرة طوبى وكما يظهر من صاحب كتاب قصة كربلاء[١].

فلم يظهر أن هناك دليلا وثيقا يعتمد عليه في تحديد وقت الخروج وأنه كان الليل أو النهار، لكن لو أريد التقريب ببعض الاعتبارات فإنه يستقرب أن الخروج كان ليلا. وذلك باعتبار أن الواقعة قد انتهت بحسب الأخبار في وقت العصر، ولما ذبح الحسين ﷺ، غارت الخيل على مخيم الحسين وبدأ السلب والنهب، ثم تم حرق المخيم، وانتشرت النساء والأطفال في الصحراء خوفا من النار، ومن هجمة الخيل، وبدأت زينب تجمع النساء والأطفال، وتدافع عنهن من السلب والتعدي، ويفترض أن هذه الحالة قد امتدت إلى زمن ليس بالقصير، فيبعد والحال هذه أن تترك زينب هذا الجمع من المذعورات والثكالى لكي تذهب إلى جسد الحسين مناجية له !!

وأكثر بعدا من ذلك أن تكون قد ذهبت بالنساء والأطفال إليه، مع كثرة العدد وتفرقهم وحالة الرعب والخوف الحادثة على أثر الهجوم العسكري.

نعم يمكن ذلك بعد استقرار الأمور، وإرخاء الليل سدوله الساترة، أن تخرج زينب وربما معها غيرها، إلى جسد الحسين ﷺ. خصوصا مع ملاحظة انستارها في ذهابها ومجيئها ليلا دون النهار الفاضح والكاشف !

لكن يبقى كل هذا في مستوى الاستقراب، ولا يرقى إلى كونه دليلا. خصوصا لو قرئ نص الزيارة بنحو يفهم منه أنهن خرجن في حال ذبح الحسين واستمرار

---

(١) ذكره ناقلا إياه عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب، والكتاب المطبوع ليس عندي، ولكن الكتاب الموجود في شريط (المعجم الفقهي) لا يحتوي على تلك الجملة كما ان صياغة النص في قصة كربلاء (ثم وقفت على جسده الشريف بخشوع وتأمل وبسطت يديها تحت الجثمان المقدس..) لا ينسجم مع طريقة التعبير السائدة في زمان ابن شهرآشوب ويظهر أن هناك اشتباها في الارجاع كما هو متعدد في الكتاب لمن يلاحظ.

ذلك إلى ما بعد المقتل. وأيضا مع فرض أن الزيارة نص صادر عن المعصوم.

س: سؤال: هل قتل الحسين بأمر يزيد أو أن ابن زياد تصرف من قبل نفسه؟ فإننا قد نقرأ في بعض الكتب أن يزيد لم يكن راضيا بقتله، وإنما كان ابن زياد هو الذي تعجل عليه !!

الجواب: في الواقع هو مأزق المؤرخ الرسمي الممالئ، والذي لا يستطيع أن أن يواجه الواقع بصراحته فيظل يدور حول القضية من غير هدى ولا بصيرة، ويتأول في غير مجال التأويل، فهو تارة يقول أن يزيد مجتهد ولكنه مخطئ في اجتهاده، وأخرى يحاول أن ينفي هذه المسألة، ويلقي بمسؤولية ما حدث على أهل الكوفة، وثالثة قد يكون أكثر (صفاقة ووقاحة) فيلقي بالمسؤولية على الحسين عليه السلام، باعتبار أنه جاء (وأمر الأمة جميع) !! ففرقها؟؟ بينما كان يزيد داعي الوحدة والصلاح !! وبالتالي فقد قتل الحسين عليه السلام بسيف سله جده الرسول !! بل الأظرف من ذلك أنهم في بعض الأحيان يلقون بمسؤولية قتل الحسين وأصحاب الحسين على الله سبحانه !! فالله هو الذي قتل علي بن الحسين كما قال بن زياد عندما دخلوا عليه وسأل عن اسم زين العابدين فقيل له: هذا علي بن الحسين. قال: أليس الله قد قتل عليا بن الحسين؟.. فالمسألة إذن أن الله هو القاتل ! وهو المسؤول عن تلك الجريمة !!

ولعل أوضح من يترجم لنا عن هذا المنطق المعوج، كلمات ابن كثير الدمشقي في كتابه (البداية والنهاية) فإنه في ترجمة من سماه (أمير المؤمنين يزيد بن معاوية رضي الله عنه !!) قال في تحليل مقتل الحسين عليه السلام:

وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه

وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الامة كلها بكمالها وتتهم على نبيها صلى الله عليه وسلم، فليس الامر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الائمة قديما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة. فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون في الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبرا عن نفسه بذلك. وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم [١].

فالقضية عند أن قوما تأولوا على الحسين، واجتهدوا في أنه أراد أن يفرق كلمة الأمة ويخلع من بايعوه، واجتمعوا عليه !! ثم إن الذين قتلوه هم شرذمة من أهل الكوفة ! فأما يزيد فلم يقتل ولم يكن راضيا أيضاً !

والحقيقة أن يزيد ككثير من السياسيين لهم نوعان من الكلام:

- ما يعبر عن معتقداتهم الحقيقية، وخططهم الواقعية، وهذا قد يظهر أحيانا بشكل مختصر إذا كان يخالف الرأي العام ولكنه هو المعبر عن بواطن هؤلاء الأشخاص ويلاحظ أنه هو ينسجم تماما مع طريقة حياتهم، وتوجهاتهم العملية.
- وهناك كلام للاستهلاك المحلي، والتسويق بحسب الظروف المحيطة، وهذا

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٠

عادة ما يكون كثيرا وغير منسجم مع الأعمال الحقيقية التي يقومون بها.

والمؤرخون الرسميون يحاولون قدر الإمكان النظر إلى النوع الثاني، ويجعلونه هو الواجهة، وهو الكل في الكل، لكنهم سرعان ما يرتطمون بالوقائع المخالفة لتلك الكلمات، فيظلون يدورون ويلفون، ولا يستطيعون حتى إقناع أنفسهم فضلا عن غيرهم.

ومن ذلك ما نقل عن يزيد أنه ما أمر بقتل الحسين ﵇، ولا رضي بذلك، وأنه لو كان بين ابن زياد وبين الحسين الرحم الذي بين يزيد وبين الحسين لما فعل به ما فعل !! أو أنه سمح بإقامة العزاء على الحسين في الشام بعد وصول النساء والسبايا !

وهذا الكلام كله علف للاستهلاك اليومي يلقى لمن يأكل !! وحقيقة الأمر هو أن يزيد الذي عبر عنه الحسين ﵇ بأنه (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد) كان منذ اليوم الأول قد عقد العزم على إنهاء وجود الامام الحسين لو لم يبايع.

وعبيد الله بن زياد وإن كان شخصا فاتكا لا يعرف للدين وأهله إلاّ ولا ذمة، ولذا اختاره يزيد لهذه المهمة وجمع له الكوفة إضافة إلى البصرة، إلا أنه لم يكن سوى آلة أو أداة تنفذ ما يطلب منها، بل إنه لو تأخر عن تلك المهمة لما حصل إلا على العقوبة[1] وكان قد خُير من يزيد بين موته وموت الحسين ﵇. ولما أنجز تلك

---

(١) لما اضطربت الأمور على عبيد الله بن زياد بعد هلاك يزيد، وأبى أهل البصرة طاعته، هرب منها متجها إلى الشام، يقول مسافر بن شريح اليشكري الذي رافقه في المسير بعد أن سكت ابن زياد في الطريق طويلا، قلت في نفسي لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه، فدنوت وقلت له: أنائم أنت؟ قال: لا إنما كنت أحدث نفسي. قلت: أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك؟ قال: هات. قلت: كنت تقول ليتني لم أقتل حسينا ! قال: وماذا؟ قلت: تقول: ليتني لم أكن قتلت من قتلت.. فأجابه ابن زياد: أما قتلي الحسين فإنه أشار إلي يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله.. الى آخر حديثه الذي نقله ابن الأثير في الكامل ٤ / ١٤٠.

المهمة استحق التكريم والثناء والشكر[١]. لا مجرد الرضا عما قام به.

وأما شذرات الكلام المتناثرة التي سجلها التاريخ من يزيد والتي كانت تنسجم تماما مع طريقة حياته وأعماله قوله وقد جلس على منظر مشرف من قصره، فجاء في تلك الفترة ركب السبايا فقال:

لما بدت تلك الحمول وأشرقــت   تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح   فلقد قضيت من النبي ديوني [٢]

وتمثله بأبيات بن الزبعرى:

ليــت أشــياخي ببــدر شــهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلــوا واســتهلوا فــرحــا   ثــم قالــوا يــا يزيــد لا تشــل
لعبــت هاشــم بالملــك فــلا   خــبر جــاء ولا وحــي نــزل[٣]

لكنه لما تغير الرأي العام، واستعظم جريمة الأمويين في حق الحسين ﷺ وأهل بيته، وبدأت بوادر النقمة تظهر للعلن، آنئذ بدأ يتنصل يزيد من المسؤولية ويلقي بها على ابن زياد وإلا فإنه كما يقول الطبري (لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين

---

(١) استدعى يزيد واليه ابن زياد، بعد مقتل الحسين ﷺ كاتبا إليه: (أما بعد فإنك قد ارتفعت إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

رفعــت فجــاوزت الســماء وفوقه   فما لك إلا مرتقى الشمس مقعد

فإذا وقفت على كتابي فاقدم علي لأجازيك على ما فعلت..) فلما جاء عنده أجلسه إلى جانبه، وشربا وهو يقول للساقي:

اســقني شربة تــروي مشاشــي   ثــم مــل فاسـق مثلهــا ابــن زيــاد
صاحــب الــسر والأمانة عنــدي   ولتســديد مغنمــي وجهــادي

نقل ذلك صاحب كتاب قصة كربلاء عن مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، كما ذكر بعضه المسعودي في مروج الذهب.

(٢) جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج ٢.

(٣) الطبري ٨ / ١٨٨

وأصحابه وأرسل برؤوسهم إلى يزيد سر بقتلهم وحسنت منزلة ابن زياد عنده.. ثم لم يلبث إلا قليلا حتى أظهر الندم..). وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (فسر بقتلهم أولا ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه).

س: سؤال: لماذا لم نجد عددا من الصحابة المخلصين مع الحسين مثل: جابر بن عبد الله و محمد بن الحنفية، عبد الله ابن جعفر، ابن عباس، وغيرهم؟

الجواب: إذا كان المقصود أن يستدل على عدم صوابية خروج الحسين عليه السلام وثورته بعدم خروج أولئك الصحابة معه، فهذا يذكرنا بحوار أبان بن تغلب مع بعضهم، فعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: كنا في مجلس أبان بن تغلب فجاء شاب فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ! فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي عليه السلام بمن تبعه من أصحاب رسول الله صلى عليه وآله ! فقال الرجل: هو ذاك، فقال أبان: والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه.[1]

وأما بالنسبة إلى الحادثة التاريخية:

ـ فالذي يظهر أن الامام الحسين عليه السلام لم يدع إلى الخروج معه من أول الأمر في المدينة، وإنما دعى أهل بيته، وبعض بني هاشم، وكانوا خارجين في وجهة أمرهم تلك إلى المدينة، ولذا فإن عددا كبيرا من الناس لم يدعهم الحسين عليه السلام إلى نصرته، مع إلتقائه بهم ورؤيتهم له خارجا من المدينة. خصوصا أن خروج الامام عليه السلام من المدينة كان أمراً سريعاً، فبعد أن حصلت المواجهة الكلامية ليلا في قصر الامارة عند الوليد بن عتبة بين الامام الحسين وبين مروان بن الحكم، وأعلن الامام موقفه الصريح، لم يلبث إلا إلى نهار اليوم التالي حتى كان في طريق الخروج من المدينة

(١) رجال النجاشي في ترجمة أبان بن تغلب.

إلى مكة، وهذا بلا شك لم يكن ليتيح له فرصة كافية للدعوة إلى النصرة بنحو عام[١].

بل إننا نجد أنه حتى حين خروج الحسين عليه السلام من مكة وقد تلاحقت الأحداث بنحو أكثر مما كانت في المدينة، لم يدع الامام كل من لقيه لنصرته، وللالتحاق به.

وربما كان بعضهم لم يربطوا بين خروجه وبين ضرورة نصرتهم إياه، فقد مر عليه الفرزدق في التنعيم وسأله عن الناس هناك، وغادره الفرزدق ولا يظهر في الحوار بينهما أثر لدعوة الحسين إياه ولا في فهمه للزوم نصر الحسين. وهكذا بشر بن غالب الذي قيل إنه سأل الحسين عن قول الله (يوم ندعو كل أناس بإمامهم).. نعم في بعض الروايات نقل أنه دعا مثل عبد الله بن عمر فقال له في حواره إياه (فاتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي..). ومثل عبيد الله بن الحر الجعفي الذي قال له في جملة كلام (.. وأنت يا ابن الحر فاعلم أن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق).

وهكذا يظهر أن دعوة الامام الحسين عليه السلام العامة مقرونة بتوضيح أنه ليس ذاهبا لأجل الغنائم، وإنما للموت الذي (خط على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة..) فمن كان يتوسم فيه بحسب حكم الظاهر حرصه على السعادة والشهادة كان يدعوه. تلك الدعوة إنما كانت بعد أن عزم على الخروج من مكة. وتواصلت عند توقفه في منازل الطريق.

وبلغت ذروتها بالوصول إلى كربلاء. فكان يدعو الآخرين إلى نصرته، أو لا أقل

(١) ذكر المحقق المقرم رحمه الله في كتابه مقتل الحسين أن الحسين دعا عبد الله بن عمر لما جاءه مودعا حين خروجه من المدينة، وقال له: اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي ! ولكن الصحيح أن هذا الحوار لم يجر في المدينة وإنما حين عزم الحسين على الخروج من مكة إلى العراق.

الابتعاد عن الواقعة لو لم ينصروه، فإنهم لو تركوا نصرته، وهو يواجه القتل مع كونه الامام المفروض طاعته على الناس، من يترك ذلك (أكبه الله على منخريه في نار جهنم) كما قال ﷺ.

ثم إن بعض هؤلاء كانوا قد أبدوا صفحة عذرهم، فقد اعتذر مثلا صوحان بن صعصعة بن صوحان العبدي بزمانة (مرض مزمن مقعد) رجليه، وذلك عندما رجع الامام زين العابدين إلى المدينة مع عيال أبيه.

وقد قيل بالنسبة إلى محمد بن الحنفية أنه كان قد أبقاه الحسين عليه السلام ليكتب له ما يكون من أمر الحجاز، كما أنه قيل أنه أيضاً كان قد أصيب في بدنه بحيث لم يكن يستطيع القتال. وابن عباس كف بصره في أواخر عمره ولعله كان كذلك حين خرج الامام إلى العراق.

س: سؤال عن حميد بن مسلم؟ من هو وما قيمة رواياته التاريخية فإننا نرى الكثير يعتمد عليه في سرد قضايا كربلاء. ألا يخل كونه في معسكر بني أمية بعدالته وبالتالي يفسد الاعتماد على رواياته؟

الجواب: حميد بن مسلم الأزدي

شهد معركة كربلاء مع جيش عمر بن سعد. وكان يقوم فيها بما يشبه دور المؤرخ أو المراسل الصحفي في هذه الأيام.

بعد معركة كربلاء كان مع التوابين وخرج معهم، ولم يؤثر عنه موقف قتالي مهم، ثم عاد مع العائدين بعد أن حل الظلام، واستشهد اكثر التوابين.

ظل مدة يتردد مع إبراهيم بن مالك الأشتر القائد العسكري للمختار على المختار ثم لم يلبث المختار أن أرسل إليه وإلى ثلاثة أشخاص آخرين لكي يؤتى بالأربعة في ضمن حملته على قتلة الحسين وأصحابه، فأتي بالثلاثة الآخرين بينما

استطاع حميد بن مسلم الفرار[١].

وبقي إلى أيام سيطرة عبد الملك بن مروان على الحكم بعدما قتل المختار على يد أتباع مصعب بن الزبير، وهُزم آل الزبير بيد أتباع الأمويين. حيث نلاحظ له قصيدة رثاء في حق عبد الرحمن بن مخنف (الأزدي) الذي قتل وهو من قادة الحجاج الثقفي في معركة مع الخوارج في حوالي سنة ٧٥ هـ. وبعد هذه الأحداث لم يعرف خبره.

تتبع رواياته بحسب تاريخ الطبري:

قبل أن ننقل رواياته، نسجل بعض النقاط العامة:

الأولى: يظهر من روايته خبر إرسال عبيد الله بن زياد شمر بن ذي الجوشن ومعه كتاب تصعيد الحصار على الحسين عليه السلام، أن حميد بن مسلم لم يكن موجودا في كربلاء قبل يوم التاسع.[٢]

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٠

قال جاءنا السائب بن مالك الاشعري في خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب في اثري وشغلوا بالاحتباس عليهما عني فنجوت واخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب ابن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد فاخذوه فانتهوا بهم إلى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم: ألم ترني على دهش * نجوت ولم أكد أنجو رجاء الله أنقذني * ولم أك غيره أرجو.

(٢) (قال أبو مخنف) فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال ثم إن عبيدالله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع وإن هو أبى فقاتلهم فأنت أمير الناس وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه.. الطبري ٤

هذا ولكن يظهر من رواية أخرى نقلها الطبري أيضاً، أن مجيء الكتاب المذكور لعمر كان يوم السابع فهو ينقل عن أبي مخنف قال حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الازدي قال جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان؟؟ عفان قال فبعث عمر بن سعد عمرو بن

وبناء عليه فيكون ما يروى عنه قبل هذا اليوم من أحداث كربلاء، سواء في مسير الحسين أو نزول كربلاء، غير تام لو كان يسنده إلى مشاهدته. أو أن يكون روايته لما جرى بين ابن زياد وشمر، مرسلاً بينما ظاهره أنه يعلم به مباشرة.

ويظهر بعد ذلك روايته مفصلة لأحداث كربلاء، مثل تحرك الجيش بعد وصول شمر بالرسالة، ويحتمل أن يكون حميد بن مسلم ممن ورد إلى كربلاء مع شمر بناء على هذا.

الثانية: إن عدد روايات حميد بن مسلم بالنسبة لمجموع روايات المقتل، وما يرتبط به، يعتبر قليلا نسبيا سواء من الناحية العددية أو الزمنية، فمثلا ما ذكره الطبري من روايات المقتل وأطرافه عن أبي مخنف، يقارب المائة رواية، نصيب حميد بن مسلم فيها هو العُشر فقط.

وهذا يلقي بضوء على ما تصوره بعضهم من أن المقتل مروي في أكثره كما قالوا عن طريق حميد بن مسلم، وقد كان في الطرف الآخر، فكيف له بأن يعرف ما يجري فيه هذا إضافة إلى كونه معاديا، ومحاربا لأهل البيت فكيف يعتمد عليه.

ونحن وإن أجبنا على سؤال بهذا المضمون في القسم الأول، وقد تسلمنا هناك فرضاً أنه من الرواة الأساسيين في الواقعة، إلا أننا هنا مع الملاحظة المذكورة نرى أن نصيبه من روايات المقتل هو بهذا المقدار المذكور أي عشرة في المائة فقط.

ومن الناحية الزمنية، فقد سبق أن ذكرنا أنه من المفروض أن حميداً لم يكن قبل التاسع من المحرم موجودا في كربلاء فلا يستطيع أن يروي مباشرة ما الذي حدث قبل ذلك اليوم، ودائرة (تغطيته الإعلامية المباشرة) تبدأ من اليوم التاسع وتمر

الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث / ٣١٢. ويحتمل أن يكون ذيل هذه الرواية غير تام، فإنه من المعروف بين المؤرخين أن الرسالة وصلت يوم التاسع بعد الظهر.

بالعاشر إلى العصر، ثم إلى الكوفة لتنتهي ربما في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر. ولا تشمل ما بعد الكوفة، ولا الشام فضلا عن العودة منها إلى كربلاء والمدينة.

الثالثة: إن روايات كربلاء فيما يرتبط منها بالمخيم الحسيني، وما كان يدور فيه لا نجد فيها لحميد بن مسلم أثراً وهو واضح، بل لو نقل أحد رواية بهذا المعنى فلا بد من النظر إليها بعين الشك، إن كان ينقلها مباشرة، وذلك لأنه كان في المعسكر الآخر، وإنما كانت تلك الروايات كما يلحظ المتتبع لروايات أبي مخنف المنقولة في الطبري، مروية عن الامام زين العابدين ﷺ بواسطة، أو عن الضحاك المشرقي، أو عقبة بن سمعان أو عن من نجى من الواقعة حياً.

تتبع روايات حميد:

١. ما سبق أن ذكر آنفا: روايته لخبر إرسال عبيد الله بن زياد رسالة بيد الشمر لعمر بن سعد، ووصول هذا يوم التاسع.

٢. روايته خبر تحرك الجيش على أثر الرسالة المذكورة، قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى يا زويد أدن رايتك قال فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه ثم رمى فقال اشهدوا أني أول من رمى[١].

٣. روايته لمصرع علي الأكبر ﷺ قال (أبو مخنف) حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الازدي قال سماع أذني يومئذ من الحسين يقول قتل الله قوما قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفاء قال وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي يا أخياه ويا ابن أخاه قال فسألت عليها فقيل هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت حتى أكبت عليه فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتيانه

(١) وما بعدها من الروايات عن الطبري ٤/ ٣٢٦ ـ ٣٥٠

إليه فقال احملوا أخاكم فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

٤. روايته مقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وعون عبد الله بن جعفر بن أبي طالب و محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وجعفر ابن عقيل بن أبي طالب قتله.

٥. روايته مقتل القاسم بن الحسن قال خرج الينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنها اليسرى فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الازدي والله لأشدنّ عليه ! فقلت له: سبحان الله وما تريد إلى ذلك يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه ! قال فقال: والله لأشدنَّ عليه فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف ! فوقع الغلام لوجهه فقال: يا عماه ! قال فجلى الحسين كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليث أغضب فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه. وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين فاستقبلت عمرا بصدورها فحركت حوافرها وجالت الخيل بفرسانها عليه فتوطأته حتى مات.

وانجلت الغبرة فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام والغلام يفحص برجليه وحسين يقول: بُعداً لقوم قتلوك ! ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك. ثم قال: عزَّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك ! صوت والله كثر واتره وقل ناصره.

ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الارض وقد وضع حسين صدره على صدره قال فقلت في نفسي ما يصنع به فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علي ابن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهله بيته فسألت عن الغلام فقيل هو القاسم ابن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٦. روايته مصرع الحسين وسقوطه من ظهر فرسه، واللحظات الأخيرة من حياته: ومكث الحسين طويلا من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله وعظيم إثمه عليه قال وإن رجلا من كندة يقال له مالك بن النسير من بني بداء أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فامتلا البرنس دما فقال له الحسين لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين..

وبحسب قرب الرجل من المصرع، فقد استطاع أن ينقل تفاصيل اكثر عن الحسين عليه السلام في تلك اللحظات[1].

٧. رواية المآثر والمواقف (الجيدة) لنفسه: روى حميد بعض الحوادث، مما يحسب له كمآثر، ولذا يمكن التأمل قبل قبولها، فمن جهة يُقرّب احتمال قبولها باعتبار أن تلك المواقف تستدعي الحالة الإنسانية بغض النظر عن

---

(١) عن حميد بن مسلم قال كانت عليه جبة من خز وكان معتما وكان مخضوبا بالوسمة قال وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون أما والله لا تقتلون بعدي عبدا من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني وايم الله إني لارجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون! أما والله ان لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الاليم.

قال: ولقد مكث طويلا من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لفعلوا ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء !

قال: فنادى شمر في الناس ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم قال فحمل عليه من كل جانب فضربت كفه اليسرى ضربة ضربها زرعة بن شريك التميمي وضرب على عاتقه ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو قال وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع. ثم قال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فأرعد فقال له سنان بن أنس فت الله عضديك وأبان يديك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولى بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف. الطبري ٤ / ٣٤٦ (وهذا يساعد القائلين بأن الذي احتز رأس الحسين هو سنان وسيأتي الكلام فيه).

موقفه السياسي والديني، خصوصا مع ملاحظة أن بعض من جاء إلى المعركة في الطرف الأموي لم يكن مؤمنا بها. ولذا فإنه لو استطاع في بعض المواقف التي تملي عليه فطرته الإنسانية موقفا صحيحا، فليس ذلك بالغريب بل هو مقتضى الفطرة.

وقد يُوجَّه ردها بأن أحدا لم يروها غيره، وأن هذا من باب أنه (يجر النار إلى قرصه) خصوصا بعد أن تكشفت المعركة عن الفجائع والمأساة، وصار الجو العام معاديا للأمويين وللقتلة، ولا سيما حين بدأ دور الاقتصاص منهم أيام المختار، فكان من الطبيعي هنا أن ينكر البعض دوره السلبي، ويصطنع له دوراً إيجابياً، دفاعاً عن نفسه، واكتسابا لحظوة ضمن الوضع الجديد.

- وعلي أي من التقديرين فقد نقل الطبري عنه، أنه لما حاول شمر بن ذي الجوشن أن يقوض مخيم الحسين باشعال الحريق فيه، قبل المصرع جاء إليه حميد بن مسلم وتكلم معه في ذلك:

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال قلت: لشمر ابن ذي الجوشن سبحان الله إن هذا لا يصلح لك أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك !

فقال: من أنت قال قلت لا أخبرك من أنا قال وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرني عند السلطان !

قال فجاءه رجل كان أطوع له مني شبث بن ربعي فقال ما رأيت مقالا أسوأ من قولك ولا موقفا أقبح من موقفك أمرعبا للنساء صرت؟ قال فأشهد أنه استحيا فذهب لينصرف.

ويروي هو بنفسه أيضاً عن محاولته لثني عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي

(وحميد كان أزديا أيضاً) عن الهجوم على القاسم بن الحسن وقتله فيقول خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنها اليسرى فقال لى عمرو بن سعد بن نفيل الازدي والله لأشدنَّ عليه فقلت له سبحان الله وما تريد إلى ذلك يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم[١] قال فقال والله لأشدنَّ عليه فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه [٢]..

وهناك رواية أخرى يأتي بها في سياق مآثره، وهي بالتالي خاضعة لما تقدم ذكره، وهي دوره كما نقل في التأثير على شمر بن ذي الجوشن، لإقناعه بترك قتل الامام السجاد بعد مصرع الحسين عليه السلام، فعنه قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي (الاصغر) وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون ألا نقتل هذا قال فقلت سبحان الله أنقتل الصبيان إنما هذا صبي قال فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم قال فوالله ما رد أحد شيئاً قال فقال علي بن الحسين جزيت من رجل خيرا فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شراً[٣].

٨. روايته للحدث في اليوم الحادي عشر من الكوفة، حينما نقل ما جرى بين زيد بن أرقم وبين عبيد الله بن زياد، ووضعه الرأس بين يديه.وذلك أن عمر

---

(١) حال الرجل في متن فرسه، أي وثب عليه، عن معجم مقاييس اللغة.

(٢) الطبري ٤ / ٣٤١

(٣) الطبري ٤/ ٣٤٧ وقد احتمل بعض المؤرخين أن يكون المختار قد عفا عن حميد بن مسلم بينما انتقم من قتلة الحسين فيما بعد في الكوفة، واحتملوا أنه لأجل كونه قد دفع القتل عن السجاد !! ولكن هذا غير تام، فإن المختار كما سيأتي قد طلب حميد بن مسلم، ولكنه فر.. على أن هذا النص الذي يذكره فيه نقاش بأنه كيف يكون الامام السجاد عليه السلام في ذلك الوقت وعمره ٢٢ سنة (ولد سنة ٣٨ هـ)، وكان له حينذاك ولد هو الباقر وعمره قرابة ثلاث سنين، فكيف يكون والحال هذه صبيا؟

بن سعد قد أرسل حميد بن مسلم لإخبار أهله بسلامة بن سعد، قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم[١] بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له:اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك[٢]!

٩. ثم أخيراً روايته لخبر دخول السبايا على ابن زياد وحواره مع زين العابدين عليه السلام. قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له: ما اسمك قال أنا علي بن الحسين ! قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين فسكت ! فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟

قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي فقتله الناس !

قال:إن الله قد قتله قال فسكت علي !

فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٣]، ﴿وَمَا كَانَ

---

(١) بعض الروايات التاريخية فيها أن عمر بن سعد قد أرسل خولى بن يزيد الاصبحي وحميد بن مسلم، ومعهما رأس الحسين عليه السلام ليخبرا ابن زياد بالنصر والفتح، ولا نعلم هل كانت المهمة مشتركة أو أن خولى ذهب بالرأس، بينما ذهب حميد إلى أهل عمر بن سعد.

(٢) المصدر السابق

(٣) الزمر: من الآية ٤٢

كما ذكره الفضيل بن زبير الكوفي الاسدي (من أصحاب الامامين الباقر والصادق ﷺ في كتابه (تسمية من قتل مع الحسين ﷺ) [١] فقال: الحسين بن علي، ابن رسول الله صلوات الله عليهم. قتله سنان بن أنس النخعي، وحمل راسه فجاء به خولى بن يزيد الاصبحي.

وذكره الشيخ المفيد[٢] رضوان الله عليه في كتابه الاعتقادات باعتبار أنه قاتل الحسين ﷺ، وكذا المسعودي[٣] فقال: وطعنه سنان بن أنس النخعي لعنه الله ثم نزل واحتز رأسه والسمعاني في الانساب. والطبري فقال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع ثم قال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فأُرعد فقال له سنان بن أنس فت الله عضديك وأبان يديك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولى بن يزيد [٤]..، والطبري في المنتخب من ذيل المذيل أنه (قال الحجاج من كان له بلاء فليقم فقام قوم فذكروا وقام سنان بن أنس فقال أنا قاتل الحسين ﷺ فقال بلاء حسن ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث مكانه).

ونسب الفعل إليه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، فقال إنه احتز رأسه ودفعه إلى خولى. والسيد ابن طاووس في كتابه اللهوف[٥]. وكذلك ذكره الشيخ عبد الله

---

(١) نشر في مجلة تراثنا العدد ٢ بتحقيق العلامة السيد محمد رضا الحسيني

(٢) في بعض كتب الشيخ المفيد يظهر منه أنه الشمر كما في الارشاد ج ٢، قال: ويدر إليه خولي بن يزيد الاصبحي لعنه الله فنزل ليحتز رأسه فأرعد، فقال له شمر: فت الله في عضدك، ما لك ترعد؟ ونزل شمر إليه فذبحه.

(٣) مروج الذهب / ٣

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٦

(٥) قال في اللهوف: (.. وجعل ينوء ويكبو فطعنه سنان ابن أنس النخعي في ترقوته ثم أنتزع الرمح فطعنه في بواني صدره ثم رماه سنان أيضاً بسهم فوقع السهم في نحره فسقط ﷺ وجلس قاعدا فنزع السهم من نحره وقرن كفيه جميعا فكلما امتلاتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول هكذا القى الله مخضبا بدمي مغصوبا علي حقي، فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: إنزل ويحك إلى الحسين

آلاءه وبلاءه وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله أما بعد فإني والله لخائف ألاّ يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت قيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير!

إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وادهنّا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ! ألا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والابناء ! حتى يرضى الله والله ما أظنه رضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا ألا لا تهابوا الموت...

ولم يكن له في تلك الموقعة أثر أو ذكر غير أنه كان يسعى بين المختار الثقفي وجماعة التوابين بالشحناء والفساد، وهذا أمر كان في ذلك الوقت له نتائج مدمرة سواء كان يشعر به فاعله أو لم يكن.

فها هو يقول[٤]: قلت لسليمان بن صرد إن المختار والله يثبط الناس عنك إني كنت عنده أول ثلاث فسمعت نفرا من أصحابه يقولون قد كملنا ألفي رجل ! فقال: وهب أن ذلك كان.. فأقام عنا عشرة آلاف !! أما هؤلاء بمؤمنين أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدن ولينصرن !!

٢. وبناء على ما سبق فصداقاته لو صح ما نقل ونُقل عنه غير خاضعة لموقف، إذ

(٤) الطبري ج ٤ ص ٤٥٢.. مع أن تحفظ المختار على طريقة التوابين واسلوبهم في العمل الثوري، كان واضحا، فأولئك كانوا يعملون بمنطق المؤمنين الاستشهاديين الذين يعتبرون الشهادة غايتهم الكبرى، بينما المختار كان يعمل بمنطق السياسي الواقعي الذي يخطط للانتصار ومن الطبيعي أن تختلف رؤى الطرفين بناء على ذلك. إلا أن المتاجرة بهذا الاختلاف وتحويله إلى حالة فرز اجتماعي، ومواجهة سياسية أمر خطير، لا سيما إذا كان من شخص كان للسنة الماضية (مبعوث عمر بن سعد لتبشير أهله بسلامته) !

أنه تارة يتصور بصورة الشخص غير المعروف، بل المجهول حتى اسماً، كما في حواره المذكور مع شمر بن ذي الجوشن الذي سأله عن اسمه فقال له: لا أخبرك. وبين كونه صديقاً شخصياً لعمر بن سعد، فقد روي عنه أنه قال: كان عمر بن سعد لي صديقاً، فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين، فسألته عن حاله، فقال: لا تسأل عن حالي، فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعت به، قطعت القرابة القريبة، وارتكبت الأمر العظيم [١].

وفي نفس الوقت هو يحشر نفسه مع التوابين، ويعد نفسه (من فرسان الشيعة) ويصادق إبراهيم بن مالك الأشتر القائد العسكري للمختار، والذي كان يكثر من الدخول به (بحميد على المختار) وإن كان ذلك لم ينفع في تبرئته من إثم المشاركة في كربلاء، ولذا طلبه المختار فيمن طلب.

٣. عاش حياته بطريقة الصحفي أو الاعلامي الذي يبحث عن الحوادث المتميزة، ويرويها لغيره، لم يكن صانع خبر، وإنما متتبعا للأخبار، وبالذات الأخبار شديدة الاثارة، فهو في المقتل يفصل ما استطاع اللحظات الأخيرة، بما فيها من إثارة للمستمع، و(يستعرض) (سماع أذني من الحسين يوم قتل علي الأكبر..)، وهو يأتي ببعض الكرامات الحسينية سواء في المعركة أو بعدها، لكن هل تؤثر فيه هذه لتعديل موقفه؟ كلا إنما يكتفي منها بجانب الاثارة والنقل، ففي الطبري ينقل عنه:.. ونازله عبد الله ابن أبي حصين الازدي وعداده في بجيلة فقال يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً !

فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً!

قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري / ٢٦٠

لقد رأيته يشرب حتى بغر[١] ثم يقئ ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه[٢].

هذا ما تيسر لي البحث عنه حول شخصية الراوي المذكور وحياته العامة، وأما هل أن ذلك يؤثر على رواياته التاريخية حول المقتل وما يرتبط به، فقد تمت الاجابة عليه في القسم الأول من هذا الكتاب.

س: سؤال كم كان عدد الذين انتقلوا إلى معسكر الامام الحسين ﷺ من الجيش الأموي؟

الجواب: لا توجد إحصائية دقيقة[٣] عن العدد وإن كانت هناك رواية ذكرها

---

(١) بغر: أن يشرب الانسان ولا يروى / عن معجم مقاييس اللغة لابن فارس

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣١٢

(٣) ذكر المرحوم آية الله شمس الدين في كتابه أنصار الحسين ما يلي)... رواية نقلها السيد بن طاووس في مقتله المسمى (اللهوف على قتلى الطفوف) وهي: (.. وبات الحسين وأصحابه تلك الليلة (ليلة العاشر من المحرم) ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلا). إننا نقف من هذه الرواية موقف الشك: أولا: لان حدثا كهذا كان يجب أن يلفت نظر الرواة الآخرين، فهو حدث شديد الاثارة في مثل الموقف الذي نبحثه، ولهذا فقد كان لا بد أن ينقله رواة آخرون. إن عدم نقله عن رواة آخرين مباشرين يبعثنا على الشك في صدق الرواية. وثانيا: إن هذا العدد (اثنان وثلاثون) عدد كبير جدا بالنسبة إلى أصحاب الحسين ﷺ القليلين، ولذا فقد كان يجب أن يظهر لهم أثر في حجم القوة الصغيرة التي كانت مع الحسين في صبيحة اليوم العاشر من المحرم، على اعتبار أنهم انحازوا إلى معسكر الحسين في مساء اليوم التاسع، مع أننا لا نجد لهم أي أثر في التقديرات التي نقلها الرواة. لهذا وذاك نميل إلى استبعاد هذه الرواية من دائرة بحثنا في عدد أصحاب الحسين ﷺ، ونرجح أن الرواية - على تقدير صدقها - لا تعني، كما يراد لها، أن هؤلاء الرجال قد انحازوا إلى معسكر الحسين وقاتلوا معه، وإنما تعني أن هؤلاء الرجال - نتيجة لصراع داخلي عنيف بين نداء الضمير الذي يدعوهم إلى الانحياز نحو الحسين والقتال معه، وبين واقعهم النفسي المتخاذل الذي يدفع بهم إلى التمسك بالحياة الآمنة في ظل السلطة القائمة - قد (حيدوا) أنفسهم بالنسبة إلى المعركة، فاعتزلوا معسكر السلطة، ولم ينضووا إلى الثوار. ويبدو أنه قد حدثت حالات كثيرة من هذا القبيل، منها حالة مسروق ابن وائل الحضرمي الذي كان

السيد بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه اللهوف، تفيد أن عدد الذين انتقلوا إلى صف الحسين يبلغ اثنين وثلاثين، بينما ذكر ابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ) في كتابه مثير الأحزان أنه جماعة من عسكر عمر بن سعد قد جاؤوا إليهم من دون تحديد عدد هذه الجماعة. والتتبع لروايات المقتل يفيد أن التالية أسماؤهم قد انتقلوا إلى المعسكر الحسيني:

١. الحر بن يزيد الرياحي (التميمي اليربوعي): قائد الفرقة التي بعثها عبيد الله بن زياد لمحاصرة الحسين ومنعه من الوصول إلى الكوفة، وقد انتقل إلى المعسكر الحسيني صباح اليوم العاشر قبل بدء المعركة وعلى أثر خطبة الامام الحسين ﷺ.

يطمح إلى أن يصيب رأس الحسين (فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد)، ولكنه تخلى عن القتال وترك الجيش عندما رأى ماحل بابن حوزة عندما دعا عليه الحسين ﷺ، وقال لمحدثه: (لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبدا). وربما كان هؤلاء - على تقدير صدق الرواية - هم أولئك الرجال التافهون الذين قال الحصين بن عبد الرحمن عنهم أنهم كانوا وقوفا على التل يبكون، ويقولون: (اللهم أنزل نصرك). انتهى كلام المرحوم شمس الدين.

ويمكن التعليق على ما ذكر آنفا بعدم استبعاد هذا الرقم، فإن الناظر في روايات المقتل كما تبين لك في المتن، يرى أن نصف هذا العدد قد رصدت حركتهم لاقترانها بحدث، ولم ترصد باقي الأسماء لسبب أو لآخر.. كما أن بعضهم كما يذكر المؤرخون قد مالوا على الجيش الأموي وهم فيه، وقاتلوهم. ولعل استبعاد الشيخ شمس الدين ليس في محله لأنه مبني على أنه حدث وقع دفعة واحدة، ولذلك قال أن حدثا كهذا كان يجب أن يلفت نظر الرواة الآخرين.. الخ.. وهو في غير محله فإن حالات التحول كانت فردية، وامتدت من ليلة العاشر إلى يوم العاشر، وتحول عدد ثلاثين من مجموع ثلاثين ألف لا يمكن أن يلفت الأنظار أصلا، خصوصا أنه ضمن حالات فردية لا أن مجموع الثلاثين قد جاؤوا في صورة مجموعة للحسين. ولو كان اعتراض الشيخ شمس الدين على أن مجموعة اثنين وثلاثين شخصا قد عبروا في الليل مرة واحدة يضاف إلى ذلك أن عددا غير قليل من المذكورين في الشهداء في الزيارة لم يعرف كيفية شهادتهم ولا طريقة التحاقهم بالحسين، ولا شك ان قسما من هؤلاء كانوا ممن التحق به في اليوم العاشر. إضافة إلى من ذكرت اسماؤهم كما في المتن.

وهؤلاء يختلفون عن القسم (المحايد) الذين ذكرهم، والذين لم يكونوا بالعدد القليل.سواء أولئك الواقفين على التل، أو غيرهم ممن لم يحب أن يشارك إلا بمقدار تكثير السواد من دون أن يكون له مساهمة فعلية في المعركة.

٢. علي ابن الحر الرياحي السابق ذكره.

٣. غلام الحر وهو تركي وقد ذكره في مقتل الخوارزمي.

٤. من الذين انتقلوا إلى الحسين عليه السلام رجل من خزيمة جاء رسولا من عمر بن سعد إلى الحسين ليبلغه رسالته، فلم يرجع إلى عمر بن سعد وقال من الذي يختار النار على الجنة؟[١]

٥. جوين بن مالك بن قيس الضبعي، ذكر أنه كان في جيش عمر بن سعد ثم انتقل إلى صفوف الامام الحسين عليه السلام، وقتل في الحملة الأولى، وقد ورد ذكره في زيارة الناحية المقدسة.[٢]

٦. الحارث بن امرئ القيس الكندي: لما رأى الحسين عليه السلام قد أحاط به جيش الكوفة التحق بركبه [٣]

٧. الحلاس بن عمر الراسبي[٤]: سار هو وأخوه النعمان مع عمر بن سعد ثم تحولا إلى معسكر الحسين

٨. النعمان بن عمر الراسبي أخ الحلاس..

٩. زهير بن سليم الأزدي لما رأى إصرار جيش الكوفة على مقاتلة الحسين عليه السلام اعتزل جيش عمر بن سعد ومال إلى معسكر الحسين واستشهد بين يديه[٥].

١٠. عبد الله بن بشير[٦] (قيل فيه أنه يعد من مشاهير دعاة الحق وحماته، كان في البداية ضمن جيش عمر بن سعد وقبل بدء القتال التحق بالامام الحسين

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين / ٤٦١

(٢) شمس الدين: أنصار الحسين / ٨١

(٣) الأمين العاملي: أعيان الشيعة ٤/ ٣٠٢

(٤) أنصار الحسين ٨٥

(٥) قصة كربلاء ٢٨٤ نقلا عن أعيان الشيعة.

(٦) قصة كربلاء ٢٨٦ عن إبصار العين.

واستشهد في الحملة الأولى قبل ظهر عاشوراء) وبالنظر إلى ما تقدم يمكن التأمل في كونه من جيش عمر بن سعد، بل يمكن الاحتمال أنه كان قد خرج مع الجيش لكي يتسلل من خلاله إلى معسكر الحسين خصوصا أن من كان يريد الخروج إلى الحسين لنصرته كان يمنع ويقاتل كما حصل لعامر الدلاني حيث قاتله زجر بن قيس على بوابة الكوفة عندما أراد الخروج لنصر الحسين.

١١. مسعود بن الحجاج وابنه عبد الرحمن، ورد ذكرهما في الزيارة، وجاء في الأخبار أنهما خرجا مع جيش عمر بن سعد، ولما وصلا كربلاء التحقا بالامام الحسين(١)

١٢. عبد الرحمن بن مسعود بن الحجاج المتقدم ذكره.

١٣. عمرو بن ضبيعة التميمي: قيل فيه كان فارسا شجاعا فلما رأى رد الشروط على الحسين وعدم تمكينهم إياه من الرجوع من حيث أتى انتقل إلى الحسين عليه السلام وورد ذكره في الزيارة(٢).

١٤. القاسم بن حبيب الأزدي: خرج مع جيش عمر بن سعد، فلما بلغ كربلاء انفصل عنهم وانضم إلى جيش الحسين عليه السلام ونحتمل فيه ما احتملنا في عبد الله بن بشير من أن خروجه مع الجيش الأموي كان وسيلة للخروج من الكوفة والالتحاق بالحسين (٣).

٥١. يزيد أبو الشعثاء الكندي وكان شجاعا راميا وقد خرج مع الجيش الأموي فلما رآهم ردوا الشروط على الحسين عدل إليه فقاتل بين يديه (٤).

---

(١) قصة كربلاء ٢٨٧

(٢) قصة كربلاء عن تنقيح المقال للمامقاني.

(٣) المصدر السابق ٢٨٨

(٤) المصدر السابق ٣٠٠

وهناك بعض الشهداء لم يتسن لهم أن يصلوا إلى معسكر الحسين عليه السلام وإنما كانوا في وسط الجيش الأموي، فحصل لهم ذلك التغير النفسي، وطفقوا يضربون في جنود عمر بن سعد بأسيافهم، فأقبل هؤلاء عليهم، وحيث أنهم كانوا في وسط الجيش استطاعوا أن يقتلوهم بسرعة حيث لم يكن مجال للمناورة عند أولئك السعداء. وعدد هؤلاء لا نعرفه لكن توجد إشارات تاريخية إلى حصول مثل هذه الحادثة.مثل:

١٦. سعد بن الحرث و

١٧. أخوه أبو الحتوف، كانا في الجيش الأموي فلما رأيا وحدة الحسين عليه السلام، ورأيا ما حل بأصحابه، مالا على الجيش بسيفيهما، يضربان فيهم حتى قتلا. وقد ذكرهما الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب فقال:

ابو الحتوف بن الحارث بن سلمة الأنصاري العجلاني نسبة إلى بني عجلان بطن من الخزرج. عن الحدائق الوردية في أئمة الزيدية: انه كان مع اخيه سعد في الكوفة، ورأيهما رأي الخوارج، فخرجا مع عمر بن سعد لحرب الحسين « ع » فلما كان اليوم العاشر وقتل أصحاب الحسين وجعل الحسين ينادي: ألا ناصر فينصرنا، فسمعته النساء والاطفال فتصارخن، وسمع سعد واخوه أبو الحتوف النداء من الحسين والصراخ من عياله، قالا: إنا نقول لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصاه، وهذا الحسين بن بنت نبينا محمد ونحن نرجو شفاعة جده يوم القيامة فكيف نقاتله وهو بهذا الحال لا ناصر له ولا معين، فمالا بسيفيهما مع الحسين على اعدائه وجعلا يقاتلان قريبا منه حتى قتلا جمعا وجرحا آخر ثم قتلا معا في مكان واحد، وختم لهما بالسعادة الابدية[1].

س: سؤال عن من الذي أجهز على الامام الحسينE ومن احتز رأسه؟هل هو سنان

(١) الكنى والألقاب ١ / ٤٥

أو شمر الضبابي؟

الجواب: في البداية لا بد أن نشير إلى نقطة، وهي أن بعض الأفعال لا يصح نسبتها إلا لفاعلها المباشر، بينما يصح نسبة أفعال أخرى إلى متعددين: المباشر وغير المباشر.

مثال الأول: جلس، وأكل، ونام وغيرها، فإنه لا يصح نسبة هذه الأفعال إلا لمن قام بها مباشرة. ومثال الثاني: بنى: فإنه يصح نسبة الفعل إلى دافع المال، فيقال فلان بنى بيتا، وبنى مسجدا، ويصح نسبته إلى المقاول الذي قاد فريق العمال فيقال: إنه هو الذي بنى المسجد، ويصح نسبته إلى العامل المباشر.

وفعل القتل هو من هذا القبيل: فإنه يصح إطلاقه على الآمر بالقتل، ولذا يُتحدث في الروايات عن يزيد باعتبار أنه قاتل[1] الحسين ﷺ مع أنه لم يكن الفاعل المباشر للقتل، ويُعرف عبيد الله بن زياد بأنه قاتل[2] الحسين، وأيضا يطلق على عمر بن سعد بن أبي وقاص أنه قاتل الحسين[3].. وكل هذه الاطلاقات صحيحة. لما ذكرنا.

ولكن الكلام هو في من أجهز عليه (صلوات الله عليه)، وباشر ذبحه لينال بذلك اللعنة المستمرة والعذاب المقيم. وهل أن الذي أجهز عليه هو الذي احتز رأسه فيما بعد أو يختلفان؟ فمن المعلوم أن الامام سلام الله عليه لما وقع صريعا

---

(١) في رواية معتبرة في الكافي عن الامام الصادق ﷺ يتحدث عن شرار الخلق الذين ابتلي بهم خيار الخلق:.. ويزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن علي ﷺ وعاداه حتى قتله..

(٢) لما تواقف التوابون مع جيش عبيد الله بن زياد، خطب قادة التوابين في أصحابهم وقالوا: هذا عبيد الله بن زياد بن مرجانة قاتل أبي عبد الله الحسين أمامكم..

(٣) ذكر السيد الشهرستاني في هامش كتابه وضوء النبي ج ٢ أن يحيى بن سعيد قد حدّث عن عمر بن سعد !! فقال له رجل: أما تخاف الله..تروي عن عمر بن سعد؟ فبكى، وقال: لا أعود يا أبا سعيد، هذا قاتل الحسين، أعن قاتل الحسين تحدثنا؟ انظر تهذيب الكمال ٢١: ٢٥٧ و تقريب التهذيب ٢: ٥٦ (العجيب أن يحيى بن سعيد هذا قد تكلم في الامام الصادق أي لم يقبل الرواية عنه ﷺ !!).

من ظهر فرسه، وبقي على الأرض كانت القبائل تتحاشى قتله[1]، ولا تقدم عليه كما ذكر ذلك المؤرخون. إلى أن تقدم من كتبت عليه اللعنة والخزي.. وأكثر الروايات التاريخية، يتردد فيها أحد أسماء الشؤم التالية باعتبار أن واحدا منها أو أكثر، هو الذي لبس ثوب اللعنة الإلهية:

١. خولى بن يزيد الاصبحي: فقد نسب القاضي المغربي في كتابه شرح الأخبار، الفعل إلى خولى قائلا: وأجهز خولى بن يزيد الاصبحي بن حمير، واحتز رأسه، وأتى عبيد الله بن زياد، فقال:

إمـلأ ركابي فضـة وذهبـا إني قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا..

وكذا فعل ابن عساكر في ترجمة الامام الحسين ﷺ فقال: قتله سنان بن أنس النخعي، وأجهز عليه وحز رأسه الملعون خولى بن يزيد الاصبحي.. وكذا ذكر أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى فقال: أجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحي من حمير حز رأسه وأتى بها عبيد الله بن زياد. ومثله ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال: طعنه سنان في ترقوته واحتز رأسه خولى لا رضي الله عنهما.

٢. سنان بن أنس النخعي: وأكثر الروايات تشير إلى أنه هو الذي احتز رأس الحسين ﷺ ؛ فقد قال ابن عنبة في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: واختلف في الذي أجهز عليه فقيل شمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله تعالى، وقيل خولى بن يزيد الاصبحي، والصحيح أنه سنان بن أنس النخعي وفى ذلك يقول الشاعر:

فـأي رزيـة عدلـت حسـينا غـداة تبـيره كفـا سـنان

---

(١) في تاريخ الطبري ج ٤: قال ولقد مكث طويلا من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لفعلوا ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.. وفي موضع آخر ذكر وغيره من المؤرخين أنهم توقفوا إلى أن قال لهم شمر ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟

كما ذكره الفضيل بن زبير الكوفي الاسدي (من أصحاب الامامين الباقر والصادق ﷺ في كتابه (تسمية من قتل مع الحسين ﷺ) [١] فقال: الحسين بن علي، ابن رسول الله صلوات الله عليهم: قتله سنان بن أنس النخعي، وحمل راسه فجاء به خولى بن يزيد الاصبحي.

وذكره الشيخ المفيد[٢] رضوان الله عليه في كتابه الاعتقادات باعتبار أنه قاتل الحسين ﷺ، وكذا المسعودي[٣] فقال: وطعنه سنان بن أنس النخعي لعنه الله ثم نزل واحتز رأسه والسمعاني في الانساب. والطبري فقال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع ثم قال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فأُرعد فقال له سنان بن أنس فت الله عضديك وأبان يديك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولى بن يزيد [٤].، والطبري في المنتخب من ذيل المذيل أنه (قال الحجاج من كان له بلاء فليقم فقام قوم فذكروا وقام سنان بن أنس فقال أنا قاتل الحسين ﷺ فقال بلاء حسن ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث مكانه).

ونسب الفعل إليه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، فقال إنه احتز رأسه ودفعه إلى خولى. والسيد ابن طاووس في كتابه اللهوف[٥]. وكذلك ذكره الشيخ عبد الله

---

(١) نشر في مجلة تراثنا العدد ٢ بتحقيق العلامة السيد محمد رضا الحسيني

(٢) في بعض كتب الشيخ المفيد يظهر منه أنه الشمر كما في الارشاد ج ٢، قال: ويدر إليه خولي بن يزيد الاصبحي لعنه الله فنزل ليحتز رأسه فأرعد، فقال له شمر: فت الله في عضدك، ما لك ترعد؟ ونزل شمر إليه فذبحه.

(٣) مروج الذهب / ٣

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٦

(٥) قال في اللهوف: (.. وجعل ينوء ويكبو فطعنه سنان ابن أنس النخعي في ترقوته ثم أنتزع الرمح فطعنه في بوانى صدره ثم رماه سنان أيضاً بسهم فوقع السهم في نحره فسقط ﷺ وجلس قاعدا فنزع السهم من نحره وقرن كفيه جميعا فكلما امتلاتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول هكذا القى الله مخضبا بدمى مغصوبا علي حقي، فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: إنزل ويحك إلى الحسين

البحراني في كتابه العوالم فقال: وأقبل عدو الله سنان بن أنس الايادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين ﷺ، فقال بعضهم لبعض: ما تنظرون؟ أريحوا الرجل، فنزل سنان بن أنس الايادي لعنه الله وأخذ بلحية الحسين ﷺ، وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إني لأحتز رأسك وأنا أعلم أنك ابن رسول الله ﷺ وخير الناس اما وأبا. وهذا الخبر هو الذي نقله الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي [١] عن الامام الباقر ﷺ ينسب فيه الفعل إلى سنان بن أنس. وقال ابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ) أن الذي حز رأسه سنان.

وذكره ابن الأثير في أسد الغابة باعتباره قاتل الحسين ﷺ، وكذا ابن حبان في كتاب الثقات فقال: الذي قتل الحسين بن علي هو سنان بن أنس.

٣. شمر بن ذي الجوشن الضبابي: وقد ورد ذكره مخصوصا باللعن في زيارة عاشوراء على لسان الامام الباقر ﷺ إن تم السند. ويحتمل [٢] أنه هو المشار

فأرحه قال فبدر إليه خولى ابن يزيد الأصبحي ليحتز رأسه فأرعد فنزل إليه سنان بن أنس النخعي (لع) فضرب بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول والله إنى لأجتز رأسك وأعلم إنك ابن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وخير الناس أبا وأما، ثم أجتز رأسه المقدس المعظم وفى ذلك يقول الشاعر: فأى رزية عدلت حسينا * غداة تبيره كفا سنان..

(١) محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه قال حدثنا محمد بن عمر البغدادي الحافظ (رحمه الله)، قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد التستري من كتابه، قال: حدثنا إبراهيم بن عبيد الله بن موسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قاضي بلخ، قال: حدثتني مريسة بنت موسى بن يونس بن أبي إسحاق وكانت عمتي، قالت: حدثتني صفية بنت يونس بن أبي إسحاق الهمدانية وكانت عمتي، قالت: حدثتني بهجة بنت الحارث بن عبد الله التغلبي، عن خالها عبد الله بن منصور وكان رضيعا لبعض ولد زيد بن علي ﷺ، قال: سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ﷺ، فقلت: حدثني عن مقتل ابن رسول........

(٢) البداية والنهاية ج ٨ لابن كثير: نقول ذلك على نحو الاحتمال، لإنه يمكن أن تكون الرواية على فرض صدورها ناظرة إلى القتل، بمعنى ازهاق الروح، دون احتزاز الرأس، هذا إضافة إلى أنهم نقلوا أيضاً أن سنان بن أنس كان أيضاً أبرس وشبيها بشمر بن ذي الجوشن.

إليه في ما نقله بعضهم عن الحسين عليه السلام: كنا مع الحسين بنهري كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال: صدق الله ورسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كأني أنظر إلىَ كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي » وكان شمر قبحه الله أبرص.

كما ورد ذكره في الزيارة المنسوبة للناحية المقدسة: (....على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات والشمر جالس على صدرك، مولغ[1] سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك..).

وذكره الشيخ المفيد في الارشاد فقال: وبدر إليه خولى بن يزيد الاصبحي لعنه الله فنزل ليحتز رأسه فأُرعد، فقال له شمر: فت الله في عضدك، ما لك ترعد؟ ونزل شمر إليه فذبحه ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد.

وقال محيي النووي في كتابه المجموع:والضبابي وهو بطن من كلاب منهم شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام.

ذكر القندوزي في ينابيع المودة عن أبي مخنف [2] (.. فأقبل الى شبث، سنان بن أنس النخعي، وكان كوسج اللحية قصيرا أبرص أشبه الخلق بالشمر اللعين فقال له: لِمَ ما قتلته ثكلتك أمك؟ قال شبث: يا سنان إنه قد فتح عينيه في وجهي فشبهتهما

(١) يلاحظ في هذه الزيارة التطابق بين (مولغ سيفه على نحرك) وبين ما نقل عن الرسول قبله: (كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي).. هذا بناء على أن ما في الزيارة هو (مولغ) بالمعجمة لا (مولع) بالمهملة.

(٢) العجيب أن القندوزي يروي عن أبي مخنف ما ينتهي إلى أن القاتل هو شمر بن ذي الجوشن، بينما ينقل الطبري أيضاً عن أبي مخنف نفسه (عن الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم) أن القاتل هو سنان بن أنس. مع بُعد الواسطة بين القندوزي الذي توفي في ١٢٩٤ هـ وبين أبي مخنف. وهذه الرواية بهذا النحو مع أنها الأشهر بين قراء التعزية إلا أنها لم تذكر في مصدر من المصادر الأساسية عند الطائفة حتى مثل بحار الأنوار الذي دأب صاحبه على جمع الأخبار مع غض النظر عن قيمتها السندية. نعم ذكرها فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) في المنتخب ولعل القندوزي نقل الحادثة منه.

بعيني رسول الله ﷺ. ثم دنا منه سنان، ففتح عينيه في وجهه فارتعدت يده وسقط السيف منها وولى هاربا، فأقبل الى سنان، الشمرُ اللعين وقال له: ثكلتك أمك مالك رجعت عن قتله؟ فقال: إنه فتح عينيه في وجهي فذكرت هيبة أبيه علي بن أبي طالب ففزعت فلم أقدر على قتله.

فقال له الشمر الملعون: إنك جبان في الحرب، فوالله ما كان أحد غيري أحق مني بقتل الحسين. ثم إنه ركب على صدره الشريف، ووضع السيف في نحره، وهم أن يذبحه، ففتح عينيه في وجهه فقال له الحسين (رضي الله عنه وأرضاه): يا ويلك من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيما؟ فقال له الشمر: الذي ركبك هو الشمر بن ذي الجوشن الضبابي. فقال له الحسين: أتعرفني يا شمر؟ قال: نعم أنت الحسين بن علي، وجدك رسول الله، وأمك فاطمة الزهراء، وأخوك الحسن. فقال: ويلك فإذا علمت ذلك فلم تقتلني؟ قال: أريد بذلك الجائزة من يزيد. فقال له: يا ويلك أيما أحب اليك، الجائزة من يزيد أم شفاعة جدي رسول الله ﷺ؟ فقال الشمر الملعون: دانق من جائزة يزيد أحب إلى الشمر من شفاعة جدك. فقال له الحسين (رضي الله عنه وبلغه الله إلى غاية بركاته ومنتهى رضوانه): سألتك بالله أن تكشف لي بطنك، فكشف بطنه فإذا بطنه أبرص كبطن الكلاب، وشعره كشعر الخنازير. فقال الحسين عليه السلام: « الله اكبر لقد صدق جدي ﷺ في قوله لأبي: يا علي إن ولدك الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، يقتله رجل أبرص أشبه بالكلاب والخنازير «. فقال الشمر اللعين: تشبهني بالكلاب والخنازير، فوالله لاذبحنك من قفاك. ثم إن الملعون قطع الرأس الشريف المبارك، وكلما قطع منه عضوا يقول: «يا جداه، يا محمداه يا أبا القاسماه، ويا أبتاه يا علياه، يا أماه يا فاطماه، أقتل مظلوما، وأذبح عطشانا، وأموت غريبا».

****

بعد التعرض إلى الأقوال، يمكن لنا أن نذكر ملاحظات لعلها تلقي بضوء على

الإجابة، ونترك المجال للقارئ أيضاً لكي يتأمل، ويكون صورة عن الحادثة:

الملاحظة الأولى: أنه لا بد من التفريق بين (قتله) و (احتز رأسه) مع أن هاتين الكلمتين أحيانا يذكران في سياق معنى واحد، ولذا فإن الرواة الذين نقلوا الصورة التفصيلية فرقوا بين من (قتله) ومن (احتز رأسه). فإن (حز الرأس) عادة ما يكون بعد القتل، فإن طبيعة عمل المجرمين ذلك أنهم يريدون أن يهدوا أمراءهم رؤوس أعدائهم كما فعل أتباع معاوية برأس عمرو بن الحمق الخزاعي رضوان الله عليه، للتقرب لهم وللحصول على جوائزهم، وأيضا لإضعاف الروح المعنوية لأتباعهم، وهم في هذا حتى يحتزون رأس الميت لهذا الغرض، أو يقتلون شخصا آخر للتلبيس على الأتباع بأن المقتول هو قائدهم [١].

والتركيز على الفرق بين الأمرين مهم جدا، ويرفع الكثير من الابهام عن الصورة الحقيقية. فقد ترى نفس الشخص يروي بأن شمرا هو الذي قتل الحسين، وفي مكان آخر يقول إن الذي حز رأسه هو سنان، فيتصور الناظر لأول وهلة أن كلامه متخالف، بينما التدقيق في المسألة بناء على الفرق بين (القتل) و (حز الرأس) ينفي ذلك.

الملاحظة الثانية: أننا نعتقد أن الروايات القائلة بأن خولى بن يزيد الأصبحي هو الذي قتل الحسين أو احتز رأسه ليست قريبة من الواقع، ونعتقد أن الذين ذكروها قد اعتمدوا أساسا على الشعر الذي قاله هذا الآثم أمام أميره وهو يحمل الرأس، طمعا في الجائزة:

---

(١) تاريخ الطبري - الطبري ج ٦ ص ١٧٩:
كان محمد بن عبد الله ابن عمرو محبوسا عند أبي جعفر وهو يعلم براءته حتى كتب إليه أبو عون من خراسان أخبر أمير المؤمنين أن أهل خراسان قد تقاعسوا عني وطال عليهم أمر محمد ابن عبد الله فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد الله بن عمرو فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى خراسان وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله !! وأن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم..

إمــلأ ركابي فضــة أو ذهبــا إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأباً[1]

وأول ما في ذلك أن هذه الأبيات أيضاً نسبت لسنان بن أنس النخعي، ولو صحت نسبة الأبيات له فالصورة التي يمكن رسمها من خلال ما ذكر عن تـأريخ هذا الرجل هي صورة الرجل المعتوه الذي لا يقدّر ولا يعرف حتى كيفية طلب الجائزة من أعداء القتيل وهم قادته !! فإن من يريد جائزة من عمر بن سعد أو من ابن زياد أو يزيد لا يصح أن يتوسل في ذلك بمدح عدوهم بأنه خير الناس أماً وأباً، وأنه السيد المحجب !! ولذا قيل أنه قد منع من العطاء ورُد بقولهم: إن علمت أنه خير الناس أما وأبا فلمَ قتلتَه؟

وفي الوقت الذي كانت سائر القبائل والأفراد يتحامون عن قتله ويترددون في ذلك لكيلا ينسب الفعل إليهم، يقوم هذا الرجل بالافتخار بذلك، مع العلم أنه لم يفعل ! مما يعطينا صورة عن شخص أقرب إلى العته منه إلى الشخص السوي !

والظاهر والله العالم أن الحسين عليه السلام بعدما قُتل، وحز رأسه، أعطي هذا الرجل رأسه لكي يحمله إلى ابن زياد كما هو الثابت أنه حمله فيما بعد وانطلق به إلى الكوفة بعد المعركة (مشتركا مع حميد بن مسلم الأزدي أو أن هذا في مهمة حمل الرأس وذاك في مهمة إخبار عائلة عمر بن سعد عن سلامته !). ويشهد له أن أكثر من رواية تفيد أنه بدر إليه خولى فأُرعد (أصابته الرعدة من الخوف) فتراجع. وأيضا ما ذكره أكثر من مصدر أنه قد دفع إليه الرأس [2]. إضافة إلى أنه لم يأت له ذكر في

---

(١) البعض ذكر أن سنان بن أنس هو الذي كان ينشد هذه الأبيات.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٨:

.. وما هو إلا أن قتل الحسين فسرح برأسه من يومه ذلك مع خولى بن يزيد وحميد بن مسلم الازدي إلى عبيدالله بن زياد فأقبل به خولى فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقا فأتى منزله فوضعه تحت اجانة في منزله وله امرأتان امرأة من بني أسد والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك

أي من الأخبار مهما كانت أسانيدها المنسوبة إلى أهل البيت ﷺ باعتباره القاتل.

الملاحظة الثالثة: يبقى الاحتمال دائرا بين شمر بن ذي الجوشن وبين سنان بن أنس النخعي، وبالنسبة إلى الثاني فإن أكثر الروايات التاريخية تتحدث عن أنه قتل الامام، أو احتز رأسه، بينما تتحدث الروايات المنسوبة لأهل البيت المعصومين ﷺ عن أن القاتل شمر وأنه هو الذابح.

ويحتمل أن يكون القاتل هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وأن الذي احتز رأسه فيما بعد القتل هو سنان بن أنس، ويمكن الاستشهاد لهذا بعدة أمور:

- ما ذكر في أكثر من رواية تاريخية أن شمر بن ذي الجوشن أمر أن ينزلوا إليه وأنهم ما ذا ينتظرون به، فنزل إليه سنان فأرعد وخاف وتراجع (وبعضها يفصل أنه نظر إلى عينيه فرأى فيهما عيني علي ابن أبي طالب أو عيني النبي ﷺ) فاكتفى من ذلك بأن طعن الامام الحسين ﷺ بالرمح، ثم ولى خائفا، فتولى شمر أمر قتله، ثم بعد أن قتل الشمر الحسين ﷺ وأجهز عليه، لم يبق المانع الذي منع سنان قبلئذ، فاحتز رأسه.
- يظهر من روايات أخرى أن سنانا هذا كان حريصا على أن (يحوز) برأس الحسين ﷺ مهما كلف الأمر، ولعل شمرا الذي كان يهمه فقط إنهاء المعركة منتصرا !! وفي وقت سريع ولذا لم يتحمل تردد البعض، فصاح بهم ماذا تنتظرون؟ ولم يكن همه في رأس الحسين، قد التقت رغبته مع رغبة سنان

بن عقرب وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية قال هشام فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت أقبل خولي برأس الحسين فوضعه تحت اجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له ما الخبر ما عندك قال جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار قالت فقلت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا قالت فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الاسدية فأدخلها إليه وجلست أنظر قالت فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الاجانة ورأيت طيرا بيضا ترفوف حولها قال فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيدالله ابن زياد..

الذي كان يهمه فقط أن يظفر برأس الحسين[١]، إما ليفتخر به أو ليحصل على الجائزة هذا بناء على أنه هو قائل الأبيات المذكورة (إملأ ركابي..)[٢].

وإذا أعدنا إلى الذكر ما سبق من التفريق بين القتل وحز الرأس، وأنه يظهر أن الذي حصل شيئان مختلفان قد قام بكل جريمة منهما شخص يختلف عن الآخر، أمكن لنا تصوير الجمع بين ما هو في الروايات التاريخية، وما ورد في بعض المرويات المنسوبة[٣] لأهل البيت عليهم السلام

- أن اختصاص شمر بن ذي الجوشن في زيارة عاشوراء باللعن (إضافة إلى يزيد وابن زياد وعمر بن سعد وهم من يمكن أن ينسب إليهم القتل لأمر الأولَين وقيادة الثالث كما ذكرنا في البداية من صحة نسبة بعض الأفعال لمتعددين مع أن المباشر له واحد ـ)، هذا الاختصاص لا مبرر له غير دوره الاستثنائي في هذه الجريمة، وهو القتل وإزهاق روح الامام المعصوم صلوات الله عليه أ الأمر الذي ذكر في زيارة الناحية.. والحد المذكور في زيارة الناحية وهي الأكثر تفصيلا في هذه الجهة من عاشوراء، أنه (جالس على صدرك، مولع (مولغ)[٤] سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده،

---

(١) تاريخ الطبري - الطبري ج ٤ ص ٣٤٦: (قال أبو مخنف) عن جعفر ابن محمد بن على قال وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة.. قال وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولى..

(٢) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ج ٢: وقيل أن سنان بن أنس لما قتله قال له الناس: قتلت الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، أعظم العرب خطرا أراد أن يزيل ملك هؤلاء، فلو أعكوك بيوت أموالهم لكان قليلا !! فأقبل على فرسه وكان شجاعا به لوثة فوقف على باب فسطاط عمر بن سعد وأنشد الأبيات المذكورة، فقال عمر: أشهد أنك مجنون ! وحذفه بقضيب، وقال أتتكلم بهذا الكلام؟ والله لو سمعه ابن زياد لقتلك !!

(٣) نقول المنسوبة للتوقف في تصحيح أسانيدها، وإن عمل بها جمع غير قليل من العلماء، وإلا لو كانت صحيحة السند أو تم الوثوق بصدورها على المسلك الآخر لكنا لا نتوقف في تقديمها على ما عداها، لكونها عن أهل البيت عليهم السلام،والذين هم أدرى بما جرى على جدهم الحسين عليه السلام.

(٤) أولع بالشيء: أغري به، ولهج به.. وأولغ: الكلبَ صاحبه: جعله يشرب.

ذابح لك بمهنده..) وهذه لا تفي بمعنى أكثر من القتل. والذبح يمكن حصوله من دون حز الرأس بكامله.

ولم يذكر سنان بن أنس في روايات أهل البيت، غير الرَواية التي وردت في الأمالي ويظهر فيها أن سنان كان مستقلا بأمر القتل بتمامه دون شمر، وهو مخالف للمشهور من أن شمرا كان له دور أساس في القتل..

وهناك ملاحظة أخيرة وهي احتمال حصول الاشتباه عند بعض ناقلي الخبر لا سيما ممن كان حاضرا، بين الشمر وسنان، فإن الأخير كان شديد الشبه[1] بالأول من ناحية الشكل كما ذكروا.

والمسألة غير محسومة عندي، وتحتاج إلى مزيد بحث، وإن كان ما سبق ذكره من أن القاتل هو شمر لما ورد في الزيارتين، وأن مَن حز الرأس بعد القتل طلبا للجائزة هو سنان لما ذكر في أكثر المصادر التاريخية، هو الأقرب [2] لكنه مخالف لما عليه المشهور لدى أهل المنبر والمتحدثين في السيرة، والله العالم.

س: سؤال كيف يتم التوفيق بين ما ورد من استحباب الاغتسال والتطيب لزيارة الحسين عليه السلام كما فعل جابر بن عبد الله حيث اغتسل، ونثر على نفسه صرة سعد[3]، وبين ما ورد أنه يزور الزائر أشعث أغبر؟

الجواب: في البداية ينبغي أن يقال أن عمل جابر ليس فيه دلالة على الاستحباب،

(١) ذكر القندوزي في ينابيع المودة عند حديثه عن سنان بن أنس أنه كان كوسج اللحية قصيرا أبرص أشبه الخلق بالشمر اللعين.

(٢) نقل لي أحد الشباب المؤمن أن الخطيب المعروف الشيخ الوائلي يرى أيضاً نفس النتيجة المذكورة، وقد سمعه يقول ذلك في حديث خاص، ولكنه لا يعلنها على المنبر لاصطدامه بما هو المألوف عند المستمع !! ولم يتسن لي التأكد من هذه المعلومة حتى وقت كتابة هذه السطور.

(٣) السعد نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح.

إذا لم نعلم استناده فيه إلى قول المعصوم. ولكن أصل القضية فيها صنفان من الروايات الواردة عن أهل البيت فمنها ما يدل بظاهره على أن الاستحباب هو أن يكون الزائر حين الزيارة أشعث أغبر معللا في بعضها بأن الحسين قد قتل على تلك الحال: مثل:

ما روه في كامل الزيارات [١] عن ابي عبد الله (الصادق) ﷺ، قال: إذا أردت زيارة الحسين ﷺ فزره وأنت كئيب حزين مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان، فان الحسين قتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً جائعاً عطشاناً، وسله الحوائج، وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً..

وبهذا الإسناد عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن عمر، عن صالح بن السندي الجمال، عمن ذكره، عن كرام بن عمرو[٢]، قال: قال أبو عبد الله ﷺ لكرام: إذا أردت انت قبر الحسين ﷺ فزره وأنت كئيب حزين شعث مغبر، فان الحسين ﷺ قتل وهو كئيب حزين، شعث مغبر جائع عطشان.

وفي بعض الروايات الأخرى أنه يأتي إلى الزيارة حافيا: مثلما رواه أيضاً في كامل الزيارات [٣]عن الصادق ﷺ: من أتى قبر الحسين ﷺ ماشيا كتب الله له بكل

---

(١) جعفر بن محمد بن قولويه حدثني ابي واخي وعلي بن الحسين وغيرهم رحمهم الله، عن سعد بن عبد الله بن ابي خلف، عن احمد بن محمد بن عيسى الاشعري، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله.. (رجال السند حتى علي بن الحكم إماميون ثقات) لكنها مرسلة (أو مجهولة).

(٢) والسند المذكور فيه موسى بن عمر وهو مردد بين (ابن بزيع الثقة) وبين (ابن يزيد الصيقل ولم يوثق لكنه ممن لم يستثن من رجال نوادر الحكمة)، وفيه صالح بن السندي الجمال ولم يوثق لكنه أيضاً من رجال كتاب نوادر الحكمة. وفيه كرام بن عمرو وهو واقفي لا توثيق له، لكن روى عنه المشايخ الثقات الذين قيل إنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة. والحديث مرسل. لكن هذه الرواية وما بعدها مشمولة لقاعدة التسامح في أدلة السنن..الروايات من وسائل الشيعة ج ١٤ باب ٧١ جملة ما يستحب للزائر.

(٣) جعفر بن محمد بن قولويه عن علي بن الحسين بن بابويه وجماعة عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن جابر المكفوف، عن أبي الصامت قال: سمعت

خطوة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلق نعليك، وامش حافيا، وامش مشي العبد الذليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبر أربعا، ثم امش قليلا، ثم كبر أربعا، ثم ائت رأسه فقف عليه فكبر أربعا، وصل عنده وسل الله حاجتك.

وفي المقابل ما يظهر من روايات أخر أنه يأتي مغتسلاً لابساً نظيف الثياب:

فمنها ما رواه في الكافي [1]:

عن الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان عند أبي عبد الله عليه السلام وكان أكبرنا سناً - إلى أن قال: - فقال: إذا أردت زيارة الحسين كيف أصنع وكيف أقول؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتمجيد...

وما رواه أيضاً في الكامل [2] عن الصادق عليه السلام عندما سئل عما يلزم للذاهب إلى

أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول... السند إلى العباس بن عامر لا غبار عليه، لكن جابر المكفوف (الكوفي) لم يوثق، ومثله أبو الصامت الحلواني. وعلى أي حال هذه الرواية وما بعدها مشمولة لقاعدة التسامح.

(١) محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد: والقاسم بن يحيى لم يوثق توثيقا خاصا لكنه ممن لم يستثن من رجال نوادر الحكمة، فيكون على المبنى مقبول الرواية، وكذا هو من رجال مزار بن المشهدي، والكلام فيه كسابقه، لو أمكن رد إشكال بعض الأعلام من كونه أي بن المشهدي من المتأخرين، فيكون توثيقه غير معتبر لكونه اجتهاديا، هذا ولكن قد نقل في جامع الرواة عن خلاصة العلامة أنه يضعفه. والكلام فيه كالكلام في سابقه من حيث أن تضعيف العلامة عند البعض كتوثيقه يعتبر اجتهاديا. والحسن بن راشد مشترك بين اثنين: ثقة من أصحاب الجواد، وضعيف من أصحاب الصادق كما عن ابن الغضائري لكن قد شكك الرجاليون في نسبة كل ما هو موجود في الكتاب للشيخ بن الغضائري. والحسين بن ثوير ثقة.

(٢) - جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الاصم، عن مدلج، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله... / وفي السند مدلج ولم يوثق، وعبد الله بن عبد الرحمن

زيارة الحسين عليه السلام (.. يلزمك حسن الصحبة لمن صحبك، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر..).

وهنا ينبغي التأمل في هاتين الطائفتين:

- فالمفردات الواردة فيها: الاحتفاء (المشي حافيا) والاغتسال، والتشعث، والتغبر، ونظافة الثياب، والكون على سكينة ووقار.

ولا يوجد تعارض بين الاغتسال وكل من الاحتفاء ونظافة الثياب، والكون على سكينة ووقار، وإنما قد يبدو التعارض بين الاغتسال (ومعه نظافة الثياب) وبين التشعث والتغبر.

وهنا قد يمكن القول بأن معنى المراد في هذه الروايات من: الأشعث والأغبر، أنه ما كان في مقابل التدهين والاكتحال والتزين، وحينئذ لا ينافي الاغتسال، وشاهد ذلك ما ورد في المحرم، فإنه يستحب أن يكون أشعث أغبر، ومع ذلك يستحب له الاغتسال غسل الإحرام، فهو يغتسل للاستحباب، ولكنه لا يكتحل، ولا يتزين ولا يتطيب، وربما يؤيد هذا رواية[1] عن أبي عبد الله عليه السلام (.. فإذا أردت المشي إليه فاغتسل ولا تطيب ولا تدهن ولا تكتحل حتى تأتي القبر..).

ويظهر والله العالم أن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يريدون أن تتحول الزيارة إلى نوع من النزهة والتفرج، واللهو مما ينافي الغرض من الزيارة التي تهدف إلى تذكر مواقف

الأصم وهو ضعيف وعلي بن محمد بن سالم وهو أيضاً مجهول إلا أن يكون سالم محرف سليمان كما احتمل السيد الخوئي. فالرواية ضعيفة.

(١) محمد بن الحسن بإسناده عن أبي طالب الانباري عبد (عبيد) الله بن أحمد، عن الاحنف بن علي، عن ابن مسعدة، عن إسماعيل بن مهران، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن مسكان، عن أبي بصير.. وفي السند الأحنف بن علي ولم يوثق، وابن مسعدة وهو كذلك، وعبد الله بن عبد الرحمن ويظهر أنه الأصم سابق الذكر، وله كتاب المزار، وفيه تخليط وغلو كما ذكروا إضافة إلى ضعف الرجل.

الحسين ﷺ وما جرى عليه من مآس ومعاناة، ومعرفة حقه وتجديد العهد معه للسير على نهجه وطريقه، فإذا فُرّغت الزيارة من محتواها ومضمونها ذاك، أصبحت أقرب إلى التلهي منها إلى تحقيق أهداف الزيارة.. ففي رواية عن الصادق ﷺ: إن قوما إذا زاروا الحسين بن علي حملوا معهم السُّفر فيها الحلاوة والأخبصة[1] وأشباهه لو زاروا قبور أحبائهم ما حملوا ذلك[2].

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله ﷺ: تزورون خير من أن لا تزورون، ولا تزورون خير من أن تزورون، قلت: قطعت ظهري، قال: تالله إن أحدكم يخرج إلى قبر أبيه كئيبا حزينا وتأتونه انتم بالسُّفر؟! كلا..حتى تأتونه شعثا غبرا[3].

ولعل هذا المعنى هو الذي يستفاد من العنوان الذي عنون به صاحب الوسائل الباب المذكور فرأى أنه ينبغي أن يكون الزائر ملازما للحزن: - باب انه يستحب لمن أراد زيارة الحسين ﷺ أن يصوم ثلاثا آخرها الجمعة، ثم يغتسل ليلتها ويخرج على غسل تاركا للدهن والطيب والزاد الطيب ملازما للحزن والشعث والجوع والعطش ولا يتخذه وطنا.

ويحتمل الحمل على التخيير، بين الحالتين. كما أن بعض الفقهاء أيدهم الله قد احتملوا الحمل على اختلاف الزيارات، فالمطلوب في زيارة عاشوراء هو ما ذكر من التشعث، والتغبر.. الخ وربما يكونوا قد استفادوا في ذلك من التعليل الموجود في ذيل بعض هذه الروايات، فإن الحسين قد قتل وهو شَعِث مغبر.. بينما في سائر الزيارات، الاستحباب هو للاغتسال ولبس نظيف الثياب. ولم أجد في

---

(١) السُّفر جمع سفرة، والأخبصة جمع خبيص أو خبيصة نوع من الحلواء.

(٢) جعفر بن محمد بن قولويه عن الحكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا قال.. السند فيه الحكيم بن داود وهو لم يوثق توثيقا خاصا لكنه من مشايخ صاحب كامل الزيارات، وسلمة ضعيف في الحديث، والرواية مرسلة.

(٣) عن محمد بن الحسن، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن زرعة بن محمد، عن المفضل بن عمر قال..

مقدار ما نظرت اختصاص زيارة عاشوراء بعنوانها بالتشعث والتغبر حتى يجمع بين الطائفتين بحمل هذه الروايات على خصوص زيارة عاشوراء. والله العالم.

س: سؤال: هل كان أبو الفضل العباس ناسيا لعطش الحسين ﷺ عندما اقتحم نهر الفرات، (فتذكر) عطش الحسين ﷺ لما أراد الشرب؟ و ألم يكن المناسب أن يشرب الماء لكي يتقوى على قتال الأعداء؟ أو كان يجب عليه الشرب لكي يحافظ على نفسه من الهلاك؟

الجواب: أصل الخبر هو ما ورد في مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي[1] كما نقل: (.. فقال له الحسين ﷺ. ان عزمت فاستسق لنا ماءا، فاخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين ﷺ فرمى بها وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت ان تكوني

هذا الحسين وارد المنـــون وتشربين بارد المعـــين[2]

هذا هو المصدر الرئيس للخبر، وقد ذكره في البحار بعنوان في بعض تأليفات أصحابنا.

---

(١) العجيب أن القندوزي في ينابيع المودة ج ٣ قد نقل الحادثة عن أبي مخنف كما يفترض لكن مع شيء من التغيير، أنهم حفروا بئرا، فصادفتهم صخرة ثم أخرى فصادفتهم صخرة أخرى كذلك، فقال لأخيه امض قال له: « امض الى الفرات وآتينا الماء »، فقال: « سمعا وطاعة »، فضم إليه الرجال، فمنعهم جيش عمر بن سعد، فحمل عليهم العباس فقتل رجالا من الأعداء حتى كشفهم عن المشرعة، ودفعهم عنها، ونزل فملا القربة، وأخذ غرفة من الماء ليشرب فذكر عطش الحسين وأهل بيته فنفض الماء من يده وقال: « والله لا أذوق الماء وأطفاله عطاش والحسين » وأنشأ يقول... إلخ.. يقول ضم إليه الرجال مع أنه في هذه الحملة لم يكن مع الحسين غير أبي الفضل كما تذكر الروايات التاريخية، ولعل القندوزي اشتبه عليه الأمر بين الحملة الأولى التي تمت في اليوم السابع حيث كان مع العباس عدد من الرجال وانتهت بأن جلبوا الماء للمخيم،وبين الثانية التي كان فيها وحده واستشهد على إثرها.

(٢) مقتل الحسين ﷺ- أبو مخنف الازدي ص ١٧٩

الموجود هو وصف المؤرخين لحالة أبي الفضل العباس وهو ليس سوى وصف ظاهري، للواقعة من دون أن يعلم الراوي عما كان يعتلج في نفس العباس حينئذ.كما أنه لم يرد ذلك في نص روائي معتبر عن المعصوم حتى يفيدنا علما بالموضوع.

يضاف إلى ذلك أن الذكر حينئذ لا يلزم منه الغفلة قبله. خصوصا وأن للذكر مراتب تتفاوت شدة وضعفا.

كما أنه يمكن على فرض صحة الوصف وكشفه عن حالة أبي الفضل سلام الله عليه، أن يقال بأن العباس الذي قد قدم لتوه من عمل عسكري ضخم حيث اخترق الصفوف حتى وصل إلى المشرعة وأزال عنها أربعة آلاف فارس كما نقلوا على رأسهم عمرو بن الحجاج الزبيدي ونزل إلى شاطيء الفرات، وهنا قد يكون الأمر على نحو الحركة اللاشعورية التي تحدث للظاميء والعطشان عندما يرى الماء فإنه يسارع إليه، في رد فعل سريع لرؤيته، ويملأ كفه، لكن مع أدنى توجه إلى تلك الحركة اللاشعورية، يقوم أبو الفضل بسكب الماء مرة أخرى ويمتنع عن الشرب.

ويا بعد ما بين الشطر الأول والشطر الثاني من السؤال، فإن الأول يستكثر على أبي الفضل تلك الحركة اللاشعورية للظاميء بينما يطالبه الشطر الثاني بأن يشرب الماء وأن يلتذ به !!

والجواب عليه: أما حكاية المحافظة على النفس، والنجاة من الموت، فلم يعلم أن أبا الفضل عليه السلام كان قد بلغ به العطش مبلغا يؤدي إلى إنهاء حياته حتى يجب المحافظة عليها بشرب الماء، وذلك أننا رأيناه يقاتل بعد ذلك قتال الأبطال لفترة غير قصيرة، ومن حاله هكذا لم يكن ليهلكه العطش.

وأما أنه لماذا لم يشرب حتى يتقوى على قتال الأعداء، فإضافة إلى الجواب السابق، نقول هؤلاء قوم ليس مشروعهم في الحياة البقاءَ أوإنما مشروعهم تقديم

النموذج الايماني والأخلاقي العالي. حتى تأتي الأجيال [1] وتقتدي بهم في إيمانها وصمودها، ودفاعها. وإلا فما قيمة شربة ماء لن تقدم أو تؤخر في الصورة النهائية للمعركة؟ إنما قيمة الامتناع عنها هي التي تؤسس معنى في الإيثار، والأخوة لم يسبق له نظير.

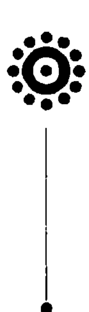
إن الموقف الذي يطالب به السائل هو الموقف الذي يلتزم به أكثر الناس، في هذه المواقف حيث لا يقدّمون في مضمار سباق القيم، والحاجات الشخصية إلا الثانية. لكن أهل البيت ﷺ ومن تأثر بهم يريدون أن يرفعوا الإنسان إلى سماء أخرى، ذات آفاق أرحب. لا سيما في كيفية العلاقة مع الأئمة والقادة.

---

(١) إننا نجد حتى الذين يقفون في طرف المنافسة أو العداء، لا يملكون أنفسهم من الاعجاب بمواقف أهل البيت في كربلاء، فهذا مصعب بن الزبير، كما قيل لما أراد قتال عبد الملك بن مروان، بلغ الحائر فوقف على قبر الحسين فقال: يا أبا عبد الله أما والله لئن كنت غصبت نفسك ما غصبت دينك، ثم قال:

وإن الألى بالطف من آل هاشم تآسوا فسنوا للكرام التأسيا

(ملحق) عدد الأصحاب



يختلف عدد الشهداء الذي يذكره المؤرخون عما يوجد في كلمات المعاصرين، فبينما تتحدث بعض الروايات التاريخية عن ما يقل عن الخمسة والسبعين مثل رواية أبي مخنف عن الضحاك المشرقي (.. وعبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا..)[1]، تجد بعض المؤلفين المعاصرين يذكر رقما يصل إلى ١٣٨ شهيدا[2]. ولعله يعتمد في ذلك على رواية نقلها الطبري[3] عن عمار الدهني عن الباقر ﷺ وفيها يقول أن الحسين نزل كربلاء

---

(١) الطبري ٤/ ٣٢١.. الغريب أن الطبري ينقل هذه الرواية وقد نقل قبلها رواية عمار الدهني التي فيها أنهم كانوا قرابة المئة وخمسة وأربعين !!

(٢) قصة كربلاء / ٤٢١ لحجة الإسلام نظري منفرد، نقلا عن (حياة أبي عبد الله) لعماد زاده.

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ والرواية التي اعتمد عليها الطبري في أكثر من موضع، فيها أكثر من موضع حصل فيه الخبط بما لا يمكن قبوله. هذا مع غض النظر عن الجهة السندية.

وضرب أبنيته وكان معه مائة راجل وخمسة وأربعون فارسا، ويتوسط بينهما العلامة شمس الدين فيفترض أن العدد هو في حوالي المئة، قال[1]: وتقديرنا الخاص نتيجة لما انتهى بنا إليه البحث هو أن أصحاب الحسين الذين نقدر أنهم استشهدوا معه في كربلاء من العرب والموالي يقاربون مئة رجل أو يبلغونها وربما زادوا قليلا على المئة.

وربما يمكن تأييد ما توصل إليه شمس الدين[2] بما ورد في نص تأريخي قديم يسبق كتب التاريخ التي تنقل عن ابي مخنف، وهو كتاب: (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام)[3] للفضيل بن الزبير الأسدي وهو من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، أنهم مئة وسبعة (١٠٧) وقد ذكر أسماءهم.

ويمكن تقريب العدد أيضاً من خلال حساب الرؤوس التي وزعها عمر بن سعد على القبائل المشاركة فقد ذكر أنه أعطى كندة ١٣ رأسا، وهوازن ٢٠، وتميم ١٧ رأسا وبني أسد ٦ رؤوس، ومذحج ٧ وأعطى باقي الناس ١٣.. ومجموع هذه الرؤوس يكون ٧٦ رأسا، فإذا فرض أن بعض الرؤوس لم توزع مثلما نقل أن عشيرة الحر الرياحي قد أبعدت جنازته وربما جنازة ابنه عن ميدان المعركة، وأيضا كان رأس الحسين عليه السلام قد أُرسل إلى الكوفة عصر عاشوراء بيد خولى بن يزيد الأصبحي، فيكون العدد من هذه الناحية قريب الثمانين.

فإذا فرض كما يحتمل بعض، أن رؤوس الموالي لم تكن في هذه المجموعات لجهة أن أخذ الرؤوس كان لأجل الافتخار بين القبائل، ولم يكن القضاء على

---

(١) أنصار الحسين: الرجال والدلالات ٤٩ ونرى أن المؤلف قد بذل جهدا رائعا في الكتاب لتحديد العدد، ودلالاته، والكتاب حري بأن يقرأ.

(٢) وقد كان بإمكان الشيخ شمس الدين أن يستفيد من ذلك الكتاب الذي حققه السيد الحسيني في تدعيم النتيجة التي توصل إليها، بشكل جيد، ولكنه نظرا لأن كتاب انصار الحسين قد طبع قبل نشر كتاب الفضيل بن الزبير الأسدي، الذي تم تحقيقه وإخراجه في مجلة تراثنا سنة ١٤٠٦هـ.

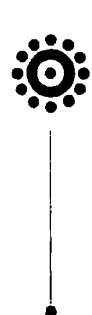
(٣) نشر في مجلة تراثنا عدد ٢ / عن مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

الموالي عامل فخر عند القبائل العربية.. لو صح هذا فإنه يرفع العدد إلى ما يقرب من المئة، نظرا لعدد الموالي الموجودين بين أنصار الحسين عليه السلام.

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام ذكرها في (أنصار الحسين) وحاصلها أن من أسباب الاختلاف في تعداد الشهداء رضوان الله عليهم، إضافة إلى تداخل بعض الأسماء مع بعضها الآخر، وسقوط بعضها، أن شهود العيان الذين نقل عنهم المؤرخون غالبا ما كان يستخدمون التقدير بالرؤية البصرية من غير أن يقوموا بحساب الرجال وإحصائهم إحصاء دقيقا، مما يجعل إمكانية الاشتباه في التقدير كبيرة.

وكذلك فإن المؤرخين ربما تحدثوا عن حالات مختلفة، فبعضهم يتكلم عن أصحاب الحسين الذين خرجوا معه من المدينة، وآخرون عن أصحابه الخارجين معه من مكة، وربما تحدثوا عن بداية نزوله إلى كربلاء في عدد كذا، والواضح أن هذه المراحل كانت تتغير فيها الأعداد، بحسب التطورات، إلى أن جاء خبر مسلم بن عقيل، وأخبر الحسين عليه السلام الأصحاب بما سيصير إليه أمرهم، واستقر هؤلاء على الشهادة انتهت حالات التغير في العدد (لجهة النقص) ولكن حصل متغير آخر وهو أن قسما من الجيش الأموي قد صاروا إلى جهة الحسين عليه السلام، وقد سبق الحديث عنهم في أحد الأجوبة الماضية.

٢/ ملحق: عدد النساء اللاتي كن في كربلاء



لا توجد فيما أعلم إحصائية تفصيلية عن عدد النساء اللاتي كن في كربلاء في جانب المخيم الحسيني، غير ما ذكره المحدث القمي[١] في كتابه (نفس المهموم)، ناقلا عن (الكامل) للشيخ البهائي[٢] وقد ورد فيها أن عددهن كان عشرين امرأة

---

(١) الشيخ عباس بن محمد القمي (١٢٩٤ ١٣٥٩ هـ) واعظ مجيد، وكاتب مكثر، ومحدث خبير، تتلمذ في الغالب على أستاذه الشيخ حسين النوري الطبرسي صاحب المستدرك، له ما يقارب من ٦٠ مصنفا. منها في السيرة مثل كحل البصر في سيرة خير البشر، ومنتهى الآمال في سيرة المعصومين، ونفس المهموم ونفثة المصدور في مقتل الحسين، وفي الدعاء له الكتاب المشهور: مفاتيح الجنان،.. وكتب أخرى متنوعة.

(٢) الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الهمذاني الحارثي: (٩٥٣ - ١٠٣١ هـ)، بهاء الدين: عالم أديب إمامي، من الشعراء. ولد ببعلبك، وانتقل به أبوه إلى إيران. ورحل رحلة واسعة، ونزل بأصفهان فولاه سلطانها (شاه عباس) رياسة العلماء، فأقام مدة ثم تحول إلى مصر. وزار القدس ودمشق وحلب وعاد إلى أصفهان، فتوفي فيها.. الأعلام - خيرالدين الزركلي ج ٦ ص ١٠٢

. وغير ما ذكره في وسيلة الدارين في أصحاب الحسين وسوف نتعرض إليه في الأخير. وسوف نحاول أن نستقرئ النصوص التاريخية بالمقدار الممكن، وأن نخرج بصورة، لا ندري إن كانت تطابق المذكور أو الواقع ، أو تقاربه، وبأي مقدار.

أما النساء اللاتي ورد لهن ذكر صريح في الروايات التاريخية، أو اشتهر حضورهن من خلال مواقفهن مع أقاربهن (الزوج، الأب، الولد ..) فيمكن رصد الأسماء التالية:

١. زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ، وذكرها في الواقعة لا يحتاج إلى توضيح.

٢. أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ﷺ، ومع أن المحقق السيد المقرم رحمه الله قد ذكر في المقتل اتحاد الاسمين، وأنه لم يكن هناك إلا واحدة فتارة تذكر باسمها (زينب) وأخرى بكنيتها (أم كلثوم) إلا أن ذلك خلاف الظاهر، ذلك أنه كان لأمير المؤمنين ﷺ من البنات من تسمى زينب، وكان له من تسمى أم كلثوم وقد نص عليه عدد من مؤلفي الأنساب، وأيضا فإن الروايات التاريخية تتحدث عنهما، ولا نرى مُلجئاً يلجئ المؤرخ إلى القول بالاتحاد.

٣. فاطمة بنت أمير المؤمنين ﷺ، وقد ورد ذكرها في أكثر من موضع، منها في الشام[1] عندما نظر إليها الشامي وأراد أن يأخذها جارية !! ولها حوار مع زينب في طريق العودة من الشام، وهي زوجة أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب الذي استشهد من أولاده محمد في كربلاء.

ذكره في الكنى والألقاب، قال: مجدد المذهب على رأس المائة الحادية عشر، انتهت إليه رئاسة المذهب والملة له تصنيفات وتأليفات متعددة، منها حبل المتين، ومشرق الشمسين والاربعين، والجامع العباسي، والكشكول، والمخلاة، والعروة الوثقى، ونان وحلوا والزبدة، والصمدية، وخلاصة الحساب، وتشريح الافلاك، والرسالة الهلالية، ومفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، و الاثنى عشريات، والتهذيب، والحواشي على الفقيه وعلى خلاصة الرجال، وعلى الكشاف والبيضاوي وغير ها.

(١) على أحد الرأيين في أنها هي المطلوبة. وهناك رأي آخر يشير إلى أنها فاطمة بنت الحسين.

٤. خديجة بنت أمير المؤمنين ﷺ: زوجة عبد الرحمن بن عقيل الذي استشهد في كربلاء مع الامام الحسين ﷺ ومن الطبيعي أن تكون معه زوجته في تلك الرحلة.

الرباب بنت امرئ القيس زوجة الامام الحسين ﷺ وأم عبد الله الرضيع، ومعها أيضاً ابنتها:

سكينة بنت الامام الحسين ودورها في كربلاء، وتفاصيل الواقعة معروف.

٥. رقية بنت الامام الحسين ﷺ، التي روي أنها توفيت في الشام.

٦. حميدة بنت مسلم بن عقيل، حيث ورد ذكر لها أن الحسين ﷺ لما جاءه خبر شهادة أبيها وهو في منطقة زرود أجلسها في حجره ومسح على رأسها وأخبرها بخبر أبيها، ومن الطبيعي أن تكون معها أمها :

٧. رقية بنت أمير المؤمنين ﷺ، والتي استشهد زوجها مسلم في الكوفة بينما استشهد ابنها عبد الله في كربلاء أصابه سهم فأثبت يده في جبهته بعدما قتل من الأعداء عددا كبيرا.

٨. أم وهب (قمر بنت عبد) زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، التي كانت مع زوجها، وهي التي خرجت بعده تشجعه على القتال كما كانت معه:

٩. أم عبد الله بن عمير، وهي التي كانت تشجع ابنها على القتال حتى إنه لما رجع وقال لها: أرضيت عني قالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين ﷺ.

١٠. أم عمر بن جنادة بن الحارث السلمي وهو الغلام الذي قتل أبوه في المعركة، وخرج فرده الحسين ﷺ قائلا: هذا غلام قد قتل أبوه الساعة ولعل أمه تكره خروجه، فقال الغلام: أمي أمرتني بذلك، فقاتل حتى قتل، فأخذت أمه عمودا وخرجت وهي تقول:

أنـا عجـوز في النسـاء ضعيفة خاويـة باليـة نحيفـة
أضربكـم بضربـة عنيفـة دون بنـي فاطمـة الشريفـة

١١. جارية لمسلم بن عوسجة: فإنه لما قتل خرجت من خبائه جارية وهي تنادي وامسلماه وا ابن عوسجتاه.

١٢. أم عبد الله (أو عبيد الله) بن الحسن المجتبى ﷺ، وهو (غلام لم يراهق خرج من عند النساء وهو يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين) وكان الحسين صريعا على الأرض. فإنه من الطبيعي في مثل ذلك السن أن يكون مع أمه. وقد ذكر بعضهم كما في إبصار العين للسماوي، أن أمه كانت تنظر إليه، ولا أعلم هل هذه رواية أو هو استنتاج من واقع كونه صغير السن، وأنه لا يمكن أن يكون من دون أمه. وهكذا الحال بالنسبة إلى:

١٣. فاطمة بنت الحسن المجتبى ﷺ زوجة الامام زين العابدين وأم الباقر ﷺ، فإن الباقر وهو في سن الثالثة أو الرابعة على ما قيل لا يمكن أن يكون منفردا عن أمه.

٤١. زوجات الشهداء الذين كانوا في المعركة: إننا نحتمل أن عددا من الذين خرجوا مع الحسين ﷺ قد اصطحبوا زوجاتهم معم، فليس طبيعيا في المجتمع العربي والمسلم أن يخرج الرجل في سفر بعيد[1] كالذي حصل مع الحسين من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء، ولم يكن ذلك السفر معلوما في توقيت العودة، أو أصلها.. أقول ليس طبيعيا أن يترك الرجل زوجته أو زوجاته، ويخرج في سفر عنهن منفردا، خصوصا مثل ذلك السفر الحسيني. وهذا الاستقراب لا يرقى إلى كونه دليلا مثبتا لوجود هذه النساء، ولكنه

---

(١) نشير في هذا المجال إلى أن زهير بن القين كان خارج الكوفة، وكان معه زوجته دلهم (ديلم) بنت عمرو، وكان لها دور في تشجيعه على الالتحاق بالحسين، وعندما علم بأنه ذاهب للشهادة، وكل بها من يردها إلى أهلها.

بحسب الاحتمالات يكون محتملا جدا.

- ومثلما ذكر المؤرخون عن مسلم بن عوسجة أنه لما قتل خرجت من خبائه جارية منادية وامسلماه.. فإن كان المقصود بالجارية: البنت الصغيرة من بناته فهو يشير إلى وجود نساء معها كأمها مثلا، وإن كان المقصود بالجارية الأمة المملوكة، فكذلك إذ يبعد أن يصطحب مثل مسلم جارية، ولا يصطحب زوجته. ولعلها على التقدير الثاني كانت لخدمتهما.
- وهكذا مثل العباس بن أمير المؤمنين ﷺ يبعد أن يكون من دون زوجته لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.فإنه وإن لم يذكر في روايات الواقعة شيء عن زوجته إلا أن ذلك لا ينافي وجودها فإن الدواعي لعدم ذكر النساء مع عدم وجود موقف متميز أو حادثة ملفتة للنظر، أكثر من دواعي الذكر.
- ونفس الكلام يأتي بالنسبة إلى علي الأكبر بن الحسين ﷺ.

ثم إن السيد الزنجاني قد ذكر في كتابه[1] وسيلة الدارين في أنصار الحسين ﷺ، عددا كبيرا في البداية هو عدد الذين خرجوا معه، ناقلا ذلك عن معالي السبطين، فقال: إنه لما أراد الحسين الخروج من المدينة اجتمع عنده أولاده وزوجاته وأخوانه وأخواته وبنو عمومته وأولاد أخيه الحسن، وبناته ومواليه والجواري والخدم.. وهم من حيث المجموع (٢٢٢) نفرا !!وهم الذين خرجوا مع الحسين من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق.

ثم أمر بإحضار ٢٥٠ من الخيل للركوب وفي خبر آخر ٢٥٠ ناقة، وأمر بـ ٧٠ ناقة للخيمة، و٤٠ ناقة لحمل القدور والأواني و٣٠ ناقة لحمل الراوية والقرب لأجل الماء و ١٢ ناقة لحمل الدراهم والدنانير والحلي والحلل والجواهرات

---

(١) وسيلة الدارين صفحة ٥٢

والزعفران والعطريات والورس والأثواب اليمانية.. (أي أن مجموع النياق = ٤٠٢ ناقة) !![١]

ثم ذكر في آخر الكتاب، مازجا كما يظهر بين ما ذكره المازندراني في معالي السبطين، وما توصل إليه أو يوافقه عليه، ما حاصله أن مجموع النساء كن ٤٢ إمرأة ومعهن من البنات ١٠، ومن الجواري ٩، فيكون المجموع على هذا ٦١ إمرأة وبنتا وجارية.

وفي التفاصيل: ذكر أن (٨) من زوجات أمير المؤمنين عليه السلام قد حضرن كربلاء. ومن نساء الامام الحسن عليه السلام (٥). ومن بناته (٤).

وأنه قد حضر (١٢) من أخوات الامام الحسين عليه السلام.

ولا نعلم في الواقع عن المصدر التاريخي أو الروائي الذي استقى منه المازندراني[٢] (رحمه الله) معلوماته لكن يشكل قبول هذه الاحصاءات بنحو مطلق، وينبغي التأمل فيها:

- فإنه قد ذكر أن أمامة بنت أبي العاص العبشمية: زوجة أمير المؤمنين عليه السلام كانت من جملة من حضر، ولا يمكن قبول ذلك، فإنها بعدما تزوجها أمير المؤمنين، واستشهد عنها أوصاها أن تجعل أمرها إلى المغيرة بن نوفل بن الحارث المطلبي[٣] لأن معاوية قد يخطبها، ففعلت وتزوجها، وتوفيت قبل

---

(١) ربما يكون لنا وقفة لمناقشة الراوية التي تنقل كيفية خروج الحسين عليه السلام من المدينة، في هذا القسم أو تاليه.

(٢) معالي السبطين ٢/ ٢٢٦

(٣) المغيرة بن نوفل بن الحارث من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، والحسن، له مع معاوية مناظرات في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، وكان سريع البديهة حديد اللسان، كان مع الامام الحسين عليه السلام في خروجه، وأصابه مرض في الطريق فعزم عليه الحسين أن يرجع، فرجع.. ولما بلغه قتل الحسين عليه السلام، رثاه. عن تهذيب المقال / ٢ للسيد محمد علي الأبطحي.

سنة (٥٠) للهجرة أي قبل الواقعة بأحد عشر سنة. ويدل عليه إضافة إلى نص الكثير عليه وذكرهم أنها (ماتت عند المغيرة بن نوفل في دولة معاوية بن أبي سفيان [١]) ما رواه في الوسائل من حضور الحسن والحسين وصيتها، وقد اعتقل لسانها [٢] وماتت على ذلك [٣].

- ومع أن نساء أمير المؤمنين ﷺ كن كثيرات (ما بين حرائر وأمهات أولاد) إلا أن التاريخ لا يذكر بصراحة عدد الباقيات منهن بعده، إلا نادرا، فلا أعلم من أين استقى الشيخ المازندراني رحمه الله هذه المعلومات عن كونهن كلهن على قيد الحياة[٤]، وتأكيد سفرهن مع الحسين ﷺ.

وقد ذكر أن من زوجات علي اللاتي كن في كربلاء، ليلى بنت مسعود الدارمية النهشلية، ولا يمكن قبول ذلك، فإنها قد تزوجت بعد أمير المؤمنين ﷺ بعبد الله بن جعفر الطيار، وبهذا صرح أكثر أهل الرواية والأثر[٥]، وجمع بينها وبين زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ، وليس من الطبيعي أن تترك زوجها عبد الله بن جعفر لتذهب في سفر مع الحسين خصوصا أن زوجته الأخرى زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ قد ذهبت في ذلك السفر.

- كما أنهما ذكرا[٦] في ضمن من خرج من المدينة إلى مكة، (شاه زنان) شهربانو أم زين العابدين ﷺ، بتلك الكيفية التي ذكراها. بينما المشهور عند

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٢١

(٢) وسائل الشيعة ١٩ / ٣٧٣.. وتراجع ترجمتها في كتاب (نساء حول أهل البيت) للمؤلف.

(٣) مستدرك الوسائل ١٥ / ٤٧٤

(٤) نعم يمكن استصحاب بقائهن إلى ذلك الوقت، لكن لا يمكن به إثبات سفرهن، باعتبار أنه من اللوازم العادية لوجودهن في تلك الأجواء.

(٥) ذكر ذلك الشوكاني في نيل الأوطار ج ٦، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٨.

(٦) وسيلة الدارين صفحة ٥٣

المؤرخين أنها توفيت في نفاسها بزين العابدين[1] أي قبل تلك الواقعة بما يزيد على اثنين وعشرين سنة.

وأظن والله العالم أن العدد الذي ذُكر إضافة إلى اختلافه ما بين المذكور في الخروج من المدينة والموجود في كربلاء، حيث ذكر في الأول أنه كان (٢٢٢) وهو غير العدد الذي التحق بالحسين في مكة وفي الطريق إلى كربلاء، من الرجال (وبعضهم مع نسائهم وأطفالهم) وطرحنا منه عدد الشهداء الرجال وهو أكثر من المائة بقليل، فيبقى عدد النساء والأطفال شيئا بحدود المائة وعشرين، وهو يخالف النتيجة التي وصلوا إليها. وهي أنهن كن بحدود (٦١) فهو قريب نصف العدد المذكور قبلئذ. إلا أن يقال أن الأطفال الصغار كان عددهم يقارب هذا أيضاً.

أقول: إضافة إلى اختلاف العدد المذكور بين الحالين بمقدار كبير، فإنه يعتبر بنفسه عددا كبيرا جدا، لا يساعد عليه النقل التاريخي. فإن افتراض أن كل من كانت زوجة لأمير المؤمنين ﷺ أو زوجة للامام الحسن أو الحسين ﷺ، أو أماً لواحد من الشهداء، افتراض أن يكون كل أولئك قد حضرن بالضرورة في كربلاء، مع عدم نقله صراحة ولا تلميحا ولا إشارة.. مما لا ينبغي الركون إليه.

وهذا المعنى لا ينافي ما ذكرناه في أول الحديث من (إننا نحتمل أن عددا من الذين خرجوا مع الحسين ﷺ قد اصطحبوا زوجاتهم معم، فليس طبيعيا في المجتمع العربي والمسلم أن يخرج الرجل في سفر بعيد[2] كالذي حصل مع الحسين من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء، ولم يكن ذلك السفر معلوما في توقيت العودة، أو أصلها.. أقول ليس طبيعيا أن يترك الرجل زوجته أو زوجاته،

(١) الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي ج ٢ ص ٧٥١، وقبل ذلك ذكر الصدوق في عيون أخبار الرضا ١/ ١٣٥ في رواية أنها ماتت نفساء بابنها زين العابدين.

(٢) نشير في هذا المجال إلى أن زهير بن القين كان خارج الكوفة، وكان معه زوجته دلهم (ديلم) بنت عمرو، وكان لها دور في تشجيعه على الالتحاق بالحسين، وعندما علم بأنه ذاهب للشهادة، وكل بها من يردها إلى أهلها.

ويخرج في سفر عنهن منفردا، خصوصا مثل ذلك السفر الحسيني). فإننا في هذا المقطع نثبت مجيء عدد من نساء الشهداء وذلك في الجملة، بينما ننفي كلية ذلك أي أن كل من كان من الشهداء فإن أمه مثلا قد كانت معه، أو أن كل من كان زوجات الامام علي فإنها قد حضرت في كربلاء !!

وبناء على ما تقدم فإننا نستبعد العدد الذي يذكره في وسيلة الدارين، والذي ينهي إلى أن عدد النساء كن بحوالي (٦١) امرأة، حتى لو أضفنا إليهن عدد الجواري.

ونستقرب أن يكون العدد الذي ذكره الشيخ البهائي في الكامل بالرغم أننا لا نعرف مستنده في هذا العدد، وأنه هل هو رواية عن المعصومين مثلا، أو نقل من بعض المؤرخين المتقدمين هو الأقرب للقبول، وأنهن كن في حوالي العشرين أو أكثر بقليل. وهو الموافق فيما نعتقد، للسير الطبيعي للحوادث، ولكن هذا العدد لا يشمل الأطفال.

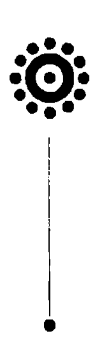
ونعتقد أن الذين التحقوا بالحسين ﷺ فيما بعد لم يكونوا قد اصطحبوا نساءهم في الغالب، فالذين جاؤوا من البصرة (العبديين) جاؤوا منفردين، والذين التحقوا بالحسين من الكوفة في خلسة من الحراسات المسلحة، مثل حبيب بن مظاهر أو على أثر مواجهة معها مثل الدالاني، أو من خلال خروجهم مع الجيش الأموي أيضاً (كالذين تقدم ذكرهم في ذيل سؤال عن الذين تحولوا) كذلك، والذين حصل لهم التحول بعدما كانوا ضمن الجيش الأموي كذلك[١]، كما أن الذين التحقوا به في الطريق لم يُذكر أنهم كانوا مع نسائهم غير (جنادة بن الحارث السلمي) و (عبد الله بن عمير). وأما (زهير بن القين) فقد أرسل زوجته إلى الكوفة ولم تحضر الواقعة.

ويمكن أن يقال: أن هذا العدد كان عدد النساء من أهل البيت ومن يرتبط بهم من نسائهم، وقد يكون هناك عدد آخر يضاف إليه، هو عدد النساء من غير أهل البيت وقد كن معهن في كربلاء، ويفترض أنهن في الكوفة قد عدن إلى أهاليهن.

---

(١) يراجع سؤال: عدد الذين التحقوا بمعسكر الحسين من الجيش الأموي، في هذا الكتاب.

المصادر (بعد القرآن الكريم)



١. ابن الاثير: علي بن محمد الشيباني: أسد الغابة في معرفة الصحابة مطبعة اسماعيليان طهران

٢. ابن سعد: محمد: الطبقات الكبرى دار صادر بيروت

٣. ابن شعبة الحراني: تحف العقول مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤٠٤

٤. ابن طيفور: أبو الفضل: بلاغات النساء مكتبة بصيرتي قم ايران

٥. ابن كثير الدمشقي: اسماعيل: البداية والنهاية دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٨

٦. الباعوني الشافعي: محمد بن أحمد: جواهر المكالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب مجمع احياء الثقافة الإسلامية قم ١٤١٤

٧. الحر العاملي: محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة مؤسسة آل البيت قم ١٤١٤

٨. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة دمشق ١٤١٣

٩. الراوندي: قطب الدين: الخرائج والجرائح مؤسسة الامام المهدي قم

١٠. الزركلي: خير الدين: الأعلام دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠

١١. الطبراني: الحافظ سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط دار الحرمين

١٢. الطبراني: الحافظ سليمان بن أحمد: المعجم الكبير دار احياء التراث العربي بيروت.

١٣. القمي: عباس بن محمد: الكنى والألقاب مكتبة الصدر طهران ١٤٠٩

١٤. القندوزي الحنفي: سليمان بن إبراهيم: ينابيع المودة لذوي القربى دار الأسوة طهران ١٤١٦

١٥. كارنيجي: ديل: فن الخطابة عالم الكتب بيروت ١٤٢٠

١٦. الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨

١٧. النجاشي: أحمد بن علي: فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) مؤسسة النشر الإسلامي قم

١٨. النوري الطبرسي: ميرزا حسين: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل مؤسسة آل البيت قم ١٤٠٨

١٩. شريفي: محمود وآخرون: موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام دار المعروف قم ١٤١٦

٢٠. شمس الدين: محمد مهدي شمس الدين: أنصار الحسين، الرجال

والدلالات الدار الإسلامية بيروت ١٤٠١

٢١. فوزي: محمد: التشكيك كيف واجهه أهل البيت دار الفردوس بيروت ١٤١٠

٢٢. المقرم: عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام دار الشريف الرضي قم

٢٣. نظري منفرد: علي: قصة كربلاء دار المحجة البيضاء والرسول الأكرم بيروت ١٤٢٢.

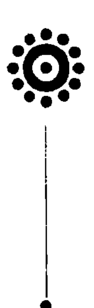
من قضايا النهضة الحسينية

أسئلة وحوارات



القسم الثالث

مقدمة



منذ أن وفق الله وشعرت بأن بإمكان هذه الأنامل أن تخط شيئاً على الورق كان يراودني شوق إلى الكتابة عن الإمام الحسين عليه السلام وعن نهضته، علّه يكون وسيلة أتقرب بها إليه وإلى جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الزهراء وأخيه المجتبى عليهم السلام.

وكلما رأيت كتاباً عن الحسين عليه السلام زاد شوقي لذلك، وأحسست بلزوم المبادرة إليه، وكنت حائراً عمّاذا أكتب فـ(ما ترك الأول للآخر). ذلك أن الله سبحانه قد حبا الحسين الشهيد، إضافة إلى مختصاته المعروفة في الروايات[1] بأن جعل أفئدة العالمين تهفو إليه، فتسابقت جماعات العلماء والمحققين والشعراء إلى قدس حضرته تعبر عن ولائها وحبها وتعطشها للاقتداء به، وترفع إليه حاجة أممها

---

(١) في خبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عوّض الحسين من قتله أنّ الإمامة من ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره»، الحر العاملي، الوسائل، ج١٤، ص٤٢٣.

وشعوبها، وتسكب ذلك في شعر صاف، ونثر عال، وتحقيق مبتكر.

فكتب بعضهم عن سيرته الشخصية، وعن تاريخ عصره، وكتب آخرون عن أخلاقه، وكتب غيرهم عن بلاغته، وعن أنصاره، وعن نهضته، وعن أصحابه، وعن سياسته وعن مأساته وعزائه..

مئات من الكتب ألفها مفكرون وعلماء وموجهون، وعلى اختلاف مشاربهم الفكرية، وتوجهاتهم الدينية إلا أنهم اجتمعوا على الحسين، محبة وولاء ومعرفة.

فماذا أستطيع أن أقول وأن أكتب في هذا المضمار؟

هيّأ الله المناسبة وأعطى العزيمة وزرع الشوق، فجرى القلم بهذا المقدار وها نحن ـ معكم ـ على مشارف إكمال القسم الثالث من (قضايا النهضة الحسينية)[1] وأنا سعيد بذلك، لا لأني قد قدمت شيئاً جديداً أو مهما فهذا ما لا أعتقده. وإنما لأني قد حققت ـ بعون الله وتوفيقه ـ رغبة سابقة، في أن يكون اسم الكاتب في عداد خدمة الحسين وذاكري شؤونه وقضاياه، علّ هذا يكون وسيلة للقرب منه في يوم القيامة.

وإذا كان المطلوب من كل أحد قدر إحسانه، فهذا مبلغي! وهذا جناي مشفوعاً ـ على قلته ـ بالعظيم من الحب والولاء والرجاء.

ولسان حالي خطاباً للحسين: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[2].

فوزي آل سيف
تاروت – القطيف
ربيع الثاني ١٤٢٤هـ

---

(١) من جميل الاتفاقات التي أتفاءل بها أن بداية القسم الأول كانت في مدينة الرسول ﷺ ونهاية اللمسات الأخيرة على القسم الثالث أيضاً في رحابه المباركة في يوم الجمعة ٢٦/ ٤/ ١٤٢٤هـ.

(٢) سورة يوسف آية: ٨٨.

دور المنبر في المجتمع الشيعي



يشبه دور الخطيب في إرشاده وتعليمه وتوجيهه، دور الرسل ـ مع حفظ الفرق ـ.

فدور المرسلين كان يبدأ بأمر الله سبحانه لهم (قل) و (بلغ) مختصرا ما الذي يمكن للرسول أن يصنعه بالنسبة للمجتمع الذي بعث إليه، ويبين الأنبياء ﵈ وظيفتهم كما في القرآن الكريم أنهم يدعون منطلقين من رؤية البصيرة التي هم عليها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]. وفي آية أخرى أنه يبلغ وينصح من موقع العلم والمعرفة الإلهية ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وهم في ذلك لا يملكون طريقا لإجبار الخلق على الإيمان مع أن الإيمان في

---

(١) سورة يوسف آية: ١٠٨.

(٢) سورة الأعراف آية: ٦٢.

صالحهم وأن الجهد الذي يبذل هو من أجلهم، لكنهم لا يستطيعون شيئا، أكثر من الإقناع (بالحكمة والموعظة الحسنة) والخطاب العقلي مقرونا بشيء كثير من الشفقة والنصح والإخلاص ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1].

ولأن الأمر كذلك فالتأثير ليس حتميا ولا شاملا، فقد يكون وقد لا يكون، وحيث يكون قد يؤمن به البعض ويكفر به الكثير، وليس هذا بسبب تقاعس الرسل عن الدعوة فإنهم ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾، ولا هو في ضعف المفاهيم والتوجيهات التي يأتي بها الأنبياء ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[2]. ولهذا فقد جاءت الآيات البينات تعزي المرسلين، وتواسيهم متوقعة عدم إيمان قسم من الناس برسالاتهم، وأنهم لو صنعوا ذلك فلا يضير الرسولَ توليهم وعنادُهم، وأن الأجيال الآتية هي التي ستؤمن بالرسالة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3]. وما ذلك إلا لأن مهمة الرسل هي مهمة البلاغ المبين والبلاغ بمثابة البذرة التي قد تجد أرضا صالحة فتنتج وقد تصادف السبخة أو الصفا فلا تزرع. وحينئذ ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾؟[4]

وفي حدود هذا المقدار نعتقد أن المنبر الحسيني قد أدى دورا طيبا في المجتمع الشيعي منذ أن تبلور كوسيلة من الوسائل التبليغية، انحصر فيها التبليغ في بعض الفترات، وبعض الأماكن.

وذلك أن المجتمع الشيعي ظل لفترات طويلة في التاريخ، وفي أنحاء كثيرة من الأرض، محكوما وربما ينظر إليه بنظرة عدائية من قبل الحكومات، فكان أن

---

(١) سورة الأعراف آية: ٦٨.

(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٣.

(٣) سورة هود آية: ٥٧.

(٤) سورة النحل آية: ٣٥.

فقد وسائل التأثير والخطاب العام، مثلما كان في تلك الأزمنة، (كخطب المساجد والجمعة والأعياد، بل وحتى مثل حلقات الدروس الرئيسة في المدارس الدينية وغيرها)، وكانت هذه المواقع تبين وجهات النظر غير المتفقة مع منهج أهل البيت ﷺ لو لم تكن في أحيان كثيرة تهاجم التشيع والفكر التابع لأهل البيت.

ووُجد المنبر الحسيني ضمن توجيه أئمة أهل البيت ﷺ مصداقاً من مصاديق إحياء أمرهم، ونشر أفكارهم، وتبليغ معارفهم ومحاسن كلامهم لشيعتهم ولغيرهم، فإن في تلك المعارف والثقافة ما لو اطلع عليه عامة المسلمين لآمنوا بمنهج أهل البيت وطريقتهم(١).

نعم ربما يوجه لبعض المنابر في الفترة الأخيرة ملاحظات:

١- الإغراق في الغيبي:

منها: إغراق البعض في الجوانب المرتبطة بما هو غير مشهود.

بل ربما تم التطرف في ذلك فأصبح من الأدلة على ما يورده الخطيب من قضايا ثقافية أو عقائدية، عدد من المنامات التي رآها العالم الفلاني، والزاهد الفلاني. أو بعض المكاشفات العرفانية التي تحصل للبعض!!

وهذا يعتبر في نظر كثير من المحققين والمفكرين، اتجاها غير سليم. فإن هناك فرقا بين الإيمان بالغيب وهو جزء أصيل من عقيدتنا الدينية، تحدث عنه القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وبين الاستناد على المنامات والرؤى أو المكاشفات

---

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ، الصدوق، الشيخ محمد بن علي، ج ٢، ص٢٧٥: «حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار رضي الله عنه قال: حدثنا على بن محمد بن قتيبه النيسابوري عن حمدان بن سليمان عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن على بن موسى الرضا ﷺ يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».

في العقائد، والأفكار.

وجهة الإشكال في هذا التوجه:

أ - إن المنام ليس بحجة شرعية في فروع المسائل فما ظنك في أصول العقائد؟ إن العلماء عندما يسمعون بفكرة أو برأي يرجعون إلى مستنده ودليله ويحققون ذلك الدليل ويناقشونه، ويتبينون مواضع الصواب والخلل فيه. أفترى هؤلاء يسلّمون لمنام رآه أحدهم ضمن تأييد فكرته؟

ب- أن بإمكان كل طرف من المتخالفين في الفكر أن يؤيد نظريته بمنام يراه، وليس كل من يدعي المنام المؤيد لفكرته هو كاذب، بل ربما يكون صادقا في ذلك.. وسره أن الإنسان يتفاعل مع ما يعتقده من أفكار فيجيء منامه ورؤياه متوافقا مع ذلك الاعتقاد. وربما دخلت المزايدات المذهبية ومحاولات تأييد الخط المذهبي على الخط فتجاوزت الحدود المعقولة، مثلما زعم بعضهم أن أحد أئمة المذاهب الأربعة كان يرى رسول الله في كل ليلة طوال العام!! ولما رأى جماعة مذهب آخر أن ذلك يمكن أن يكون دليلا على حقية مذهب الأولين أرادوا تأييد مذهبهم أيضاً بالرؤيا والمنام، فزعم بعض هؤلاء أن علماء مذهبهم[1] قد رأوا الله ذاته (سبحانه وتنزه!!) في المنام وحادثوه وشكوا إليه همومهم!! وأن بعضهم يرى في اللوح

---

(١) في كتاب (أضواء على الصحيحين) للشيخ محمد صادق النجمي، ص ١٤٦، نقل عن عدد من الكتب، ما قاله الحافظ ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) عند شرحه حديثاً وقد كان الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني شيخ العلماء والزهاد رأى الباري في المنام، فقال له: رب أسألك التوبة ثلاثين سنة أو أربعين سنة ولم تستجب لي بعد! فقال له: يا أبا إسحاق، إنك سألت في عظيم، إنما سألت حبنا. ونقل الشعراني وابن الجوزي والشبلنجي عن أحمد بن حنبل أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب، ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم، وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ) صاحب (تفسير روح المعاني) فأنا ولله تعالى الحمد قد رأيت ربي مناما ثلاث مرات، وكانت المرة الثالثة في السنة ١٢٤٦ بعد الهجرة، رأيته جل شأنه وله من النور ماله، متوجها جهة المشرق فكلمني بكلمات أنسيتها حتى استيقظت!!

المحفوظ ما يستعصي عليه من المسائل!

ج- الإسلام هو دين اليقظة والدعوة إلى الحياة، أتراه يقيم أسس قواعده على المنامات، ويترك البراهين العقلية والأدلة النقلية لكي يعتمد على الرؤى؟ على أنك حين تخضع الكثير من هذه المنامات والرؤى ومضامينها للنقد والمناقشة تراها غير قائمة على أساس ركين.

بالطبع هذا لا يعني أننا ننكر أن بعض المنامات والرؤى الحاصلة فيها صادقة وقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من موضع عنها كما في رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. وكذلك رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[2]. ومثل ذلك ما أرى الله سبحانه وتعالى نبيه الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله وأخبر عنه القرآن بقوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3]. وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[4].

بل حتى رؤى بعض العلماء والصالحين، فلا يمكن رد كل هذه القضايا وإلا كان أشبه بإنكار ما عليه الوجدان. ولكن الكلام في سعة هذه الدائرة حتى اختلط فيها الصحيح بالسقيم.

---

(١) سورة الصافات آية ١٠٢.

(٢) سورة يوسف آية ٤.

(٣) سورة الأنفال آية ٤٣.

(٤) سورة الفتح آية ٢٧.

والكلام.. في أن تخرج هذه الرؤى من كونها في جانب وعظي أخلاقي قد لا نحتاج فيه إلى كثير من التحقيق والتدقيق لابتنائه على التسامح، إلى أن تصبح أدلة في أصول العقائد، وفي بيان المعارف الدينية.

إننا في نفس الوقت الذي نعتقد فيه بوجود هذا النوع من الرؤى الصادقة[1] إلا أننا نخالف أن تأخذ الأحلام كل هذا الدور فتصبح أصلا تؤسس عليه العقائد والثقافة والفكر، وتحتل هذه المساحة الكبيرة في التوجيه.

2-التطرف في الطرح الطائفي:

ومنها: التوجه الحاد في الطرح (الطائفي) السلبي:

ولأن هذه القضية ذات أهمية خاصة فإن من المناسب أن نوضحها ضمن النقاط التالية:

١. لا يرتاب أحد في أن من أهم القضايا التي يعتمد عليها المنبر هو تشكيل وتقوية الولاء، والانتماء إلى منهج أهل البيت ﷺ فإن هذا من مقومات (إحياء الأمر)، وبدونه لا يكون للمنبر الحسيني خصوصية على غيره من المنابر الإعلامية الأخرى، بل يمكن القول: إنه بدونه يفقد رسالته الأساسية.

٢. إن طريقة تشكيل الولاء والانتماء لمنهج أهل البيت ﷺ لها من الأهمية ما للأصل، بحيث يبدو أحياناً أنه مع استخدام أحدهم طريقة غير مناسبة يكون من الأجدى تركه الدعوةَ والتبليغ بمنهجهم، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، فقد يكون إنسان بطريقته شَيْناً على أهل البيت ويؤدي عكس الغرض المطلوب. ويكون من المناسب حينئذ أن (يكف عن دعوة الناس

(١) في صحيحة سعد بن أبي خلف عن أبي عبد الله ﷺ قال: «الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام».

لهذا الأمر).

٣. إن الحكمة تقتضي أن يأخذ المتكلم بنظره ظروف الزمان والمكان الذي يعيش فيه والأشخاص الذين يستمعون إليه، أو يصل إليهم في العادة صوته، وهذا مما يستفاد من أوامر التقية التي هي (نصف الدين)[١]، بل هي الدين[٢] -أي الطريقة والمنهاج-. ولذلك فإن ما يكون مناسباً في مكان قد يكون ضارًّا في مكان آخر، وما يكون واجباً مع قوم يكون حراماً مع آخرين فـ«ما كل ما يُعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله»[٣].

ولذلك فإن الحديث العنيف الحاد ضد بعض طوائف المسلمين -بالرغم من أن بعض أولئك يصنعونه- ليس مما ينفع منهج أهل البيت ﷺ.

وليس معنى ذلك أن يُمدح الباطل، ويُمجد الخلل، وإنما يناقشون مناقشةً هادئة هادفة في الأفكار وبيان ما فيها من نقاط الالتقاء والافتراق، وبيان الخلل والخطأ الموجود فيها. ويستفاد هذا من كلام أمير المؤمنين ﷺ القائل لأصحابه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكن لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»[٤]. فإنه ﷺ مع كونه مع أهل الشام في حالة حرب، وهي أشد الحالات عنفاً بين فريقين، وما دونها من السب أو الشتم يعتبر

---

(١) يمكن أن تكون هذه النسب بملاحظات مختلفة، فبالنظر إلى الجانب العملي والجانب العلمي، أو السلوكي والفكري، تكون التقية ومن معانيها (الحكمة في التعامل) نصف الدين، ولذا كان النبي ﷺ ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

(٢) يهرج بعض على التشيع أنه كيف تكون التقية دينا؟ وينسى هؤلاء أو يجهلون أن هذا تعبير عن الاهتمام الزائد بالموضوع المذكور وأنه يعبر عن السنة والمنهج، مثل أن (النكاح سنتي).

(٣) النمازي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ج٩ ص٦٣.

(٤) نهج البلاغة رقم ٢٠٦

هينا بالقياس إليها، ولكن الإمام في ذلك الوضع يحرص على الجانب الأخلاقي ويجنب أصحابه الآثار السيئة للشتم والسب. فإن ذكر الصفات غير الحسنة كانعدام الوعي والطاعة في الباطل، وغيرها مما كان موجودا في أهل الشام يصنع حصانة عند الطرف الناقد من الوقوع فيه عادة. وفي نفس الوقت الدعوة إلى أن تحقن دماء الفريقين، وسؤال: الله لهم الهداية من الضلال يرفع الإنسان الداعي إلى قيم مناقبية عالية.

٤. إن من السهل على المتكلم أن يفرغ مخزونه النفسي ضد هذه الجهة أو تلك، جماعة كانت أو طائفة أو مذهبا، ولكن السؤال: هو عن حجم الآثار الاجتماعية التي يخلقها مثل ذلك السلوك. وفي المجتمعات الخليطة ذات المذاهب المتعددة، والطوائف المختلفة يبدو أن مثل هذا الأمر ينذر بحدوث الكوارث الداخلية، فإن (الحرب أولها الكلام) والتعبئة التي تقابلها تعبئة مضادة إلى أن تنتهي إلى الاصطدام.

والحقيقة أن هناك خيطاً رفيعاً يفصل بين الحالة المبدئية ولزوم التمسك بالمعتقدات، وبين الحالة النفسية التي تفيض بمخزونها، وتصطنع الحرب. فلا أحد يدعو -ولو دعا لا يستجاب له- إلى أن تترك المعتقدات، أو يتخلى عنها، ولكن أن يفصل بين المسألة المبدئية، والشخصية، وأن تلاحظ الدعوة إلى الحق بمقدار ما تلاحظ طريقة ذلك، وأن يؤخذ بعين النظر الوضع الاجتماعي زماناً ومكاناً وأشخاصاً. ونعود ونكرر لا يعني ذلك التخلي عن المسلمات الاعتقادية، ولا يعني أيضاً تمييع الفواصل الحقيقية، لأجل ملاحظات اجتماعية وإنما يعني أن يلتزم المتكلم الحكمة في تبيين الأمور العقدية، فيناقش بهدوء، ويرد بحكمة، ويوجه بتعقل. ولعلنا نتبيّن مثل هذا أيام الإمام الصادق ﷺ حيث نهى البعض من أصحابه[١] عن الكلام والخوض في المناظرات العقائدية لأنهم لا يحسنون ذلك،

(١) يراجع كتاب: بناء القادة في منهج أهل البيت ﷺ، فصل المواصفات العامة للتربية الرسالية، للمؤلف.

ولا يستطيعون «أن يطيروا لو قصوهم» مع أنهم كانوا أكثر حماساً من غيرهم في هذا الأمر. بينما يأمر آخرين كـ(أبان بن تغلب) أن «جالس أهل المدينة فإني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك».

3. طغيان الجانب السياسي:

ومنها: طغيان الجانب السياسي في بعض المنابر:

لا شك أن المنابر الحسينية قد قامت بدور كبير في حياة الناس عندما اقتربت من مشاكلهم وقضاياهم، بعدما كانت محصورة في فترة من الفترات في إطار الرثاء والتعزية أو السيرة، لكن لما بدأ الخطباء يعالجون القضايا الاجتماعية، ويتطرقون إلى الهموم العامة، موجهين إلى ما يفهمونه من رؤية الإسلام فيها، فقد اكتسب المنبر الحسيني قوة إضافية، وارتبطت جموع كثيرة به لكونه يعبر عن مشاكلها ويعينهم على تكوين نظرة سليمة لحلها.

لكن يُلحظ في بعض المناطق من عالمنا الشيعي أن هناك تسييساً كبيراً للمنبر، بحيث يبدو الخطاب فيه وكأنه لا يختلف كثيرا عما يسمع في الفضائيات، أو يقرأ في الجرائد والمجلات.

وأحسب -والله العالم- أن تطور الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي من ثورات وحركات تحرر وأعمال مقاومة وغيرها لما أثر على مجمل الحياة الإسلامية فقد أثر أيضاً على المنبر ونوعية الخطاب فيه، وفي بعض الحالات تجاوز التأثير الحدود المناسبة إلى ما هو أكثر.

كما أن كون بعض المتصدّين للمنبر الحسيني جزءاً من ذلك الحراك السياسي العام جعل من الطبيعي أن ينعكس وضعهم السياسي على خطابهم المنبري.

هذا إضافة إلى بعض عناصر الجذب والإثارة التي تترافق عادة مع (المنبر

السياسي لو صح تسميته) والتي تستقطب شرائح من المجتمع، وتجعل الخطاب مع وجودها، شيّقاً ومثيراً ومعاصراً.

ونحن نخالف حذف هذا الجانب المعاصر من الخطاب بالكامل، لأسباب كثيرة، منها أن توجيه المجتمع في حركته السياسية مسؤولية مهمة ينبغي أن يضطلع بها العلماء والمصلحون، وأن لا يترك الناس هَمَلاً يوجههم الفاسدون أو تتلاعب بهم التيارات الخاطئة.

كما أن حياة أبناء المجتمع اليوم لم تعد - حتى في تفاصيلها الصغيرة- بعيدة عن الجانب السياسي، فمن الضروري أن يكون لديهم رؤية واضحة في المسألة العقدية، والثقافية، والسياسية أيضاً.

إلا أننا أيضاً لا نرى الإغراق فيه أو الإكثار منه، بحيث يشعر المستمع أنه لا يعيش أجواء المنبر الحسيني.

كما أن تناول هذا الجانب ليس من الصحيح أن يكون شرعة لكل وارد. فقد يكون تناول هذه القضايا -التي هي أيضاً تحتاج إلى دقة كافية- من شخص معيّن مقبولاً وطبيعياً، بخلاف غيره من المتكلمين.

4- غير المألوف في العقائد:

ومنها: النزوع إلى ذكر غير المألوف لا سيما في الأمور العقائدية:

يتعمد بعض الخطباء في منابرهم الحديث عن بعض القضايا غير المألوفة في المسألة العقائدية، فتراهم أولا: يوردون ما هو غير مشهور بين الطائفة من الآراء والمفاهيم، مستفيدين من كونها لم تسمع قبلئذٍ إلا نادرا. وأن مواضيعهم غير مكررة ولا مسموعة.

وأحياناً يجر الأمر إلى ذكر بعض الآراء النادرة، التي يصعب تحملها على أكثر المستمعين بل ربما كانت بالنسبة لهم عامل فتنة، وخبطاً فكرياً. ولا سيما عندما يكون الحديث عن مقامات أهل البيت ﷺ العالية، ومنازلهم السامية فإن بعضها (أو الكثير منها) يرتفع عن مستوى الكثير من المستمعين. وهذه الأفكار بحلقات الدروس الخاصة لمجاميع ذوي مستويات عالية متقاربة أنسب منها بالمجالس والمنابر الحسينية العامة التي يحضرها ذوو مستويات مختلفة ارتفاعاً وهبوطاً وهذا التوجه قد يكون ناتجاً عن عدم التقدير، وفقدان الحكمة في مخاطبة الجمهور بالنحو الذي يستوعبه، وبالمقدار الذي ينفعه.

لقد وجّه رسول الله ﷺ وأئمة الهدى ﷺ إلى أن يتكلم المتكلم بمقدار ما يكون قابلاً للمعرفة والتعقل، من قِبَلِ المستمعين وإلا كان لهم فتنة وأذى، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ [١]: «لا تحدّثوا أمتي من أحاديثي إلّا بما تحمله عقولهم».

وعنه ﷺ: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[٢]. ويُبيّن الأثر السلبي الناتج عن الحديث بما هو (مستصعب الفهم) فيقول: «ما أنت محدّث حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة»[٣].

وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي ﷺ: «أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟! حدثوا الناس بما يعرفون، وأمسكوا عما ينكرون»[٤].

ومع أن الحديث في التوحيد مهم باعتبار أنه قاعدة الإيمان الأساسية إلا أن النبي ﷺ ينهى عن الحديث في هذا الجانب بما يشق على الناس فهمه: «إذا حدثتم الناس

---

(١) الأحاديث من ميزان الحكمة، ج١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ج١، ص٢٣.

(٣) الأشتري، ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ(مجموعة وارم)، ج٢، ص٢٢٧.

(٤) النوري، الميرزا حسين: مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٣٠٢.

عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم».

ويرى الإمام الصادق عليه السلام - وهو الذي أظهر علوم آل البيت عليهم السلام ونشرها بين الناس- أن مذيع الحديث عند من لا يحتمله ولا يتعقله يساوي الشاتم أعراضهم والمحارب لهم؛ فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: «أقرئ موالينا السلام، وأعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة، وصدور فقيهة، وأحلام رزينة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما الشاتم لنا عرضاً والناصب لنا حرباً، بأشد مؤنة من المذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله»[1].

وهذا الكلام المتقدّم ليس دعوة للتسطيح، وتحويل المنبر إلى (سوالف) وقوالب مكررة ومعادة. وإنما - كما ذكر الإمام عليه السلام - أن يجعل الحديث في حصون حصينة، وصدور فقيهة وأحلام رزينة.. وفي ذلك توجيه مهم مؤداه أن يُجعل الحديث المناسب في موضعه.

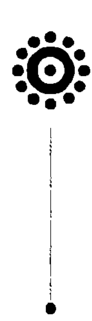
وإن من المطلوب تعميق الخطاب المنبري وتطويره موضوعاً، وقد سبق الحديث عن هذا الجانب في القسم الثاني من هذا الكتاب، خصوصاً مع ارتقاء مستوى المستمعين، واعتماد الكثير منهم على المنبر بوصفه قناة أساسية يتلقون منها ثقافتهم الدينية في مختلف مجالاتها.. هذا شيء، وأن ينزع الإنسان إلى الغرائب من الملاحظات والشواذ من الأفكار، والغامض من الآراء.. شيءٌ آخر.

ونحن نحمد الله أنّ ما سبق لا يشكل سوى حالات قليلة، لا يقاس عليها، ولم يتحول إلى ظاهرة.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٣.

أسئلة في السيرة والنهضة الحسينية



س: سؤال: ماذا يعني قول الإمام زين العابدين ﷺ لعمته زينب ﷺ: «أنت عالمة غير معلمة»؟

الجواب: هذا النص ورد في كتاب الاحتجاج للشيخ الطَّبَرسي[1] قدس سره،

(١) الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي أستاذ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب السروي الذي توفي سنة (٥٨٨هـ) عن مائة سنة إلا عشرة أشهر، فهو من أهل المائة الخامسة الذين أدركوا أوائل السادسة أيضاً، له كتاب (الاحتجاج) فيه احتجاجات النبي ﷺ والأئمة ﷺ وبعض الصحابة وبعض العلماء وبعض الذرية الطاهرة وأكثر أحاديثه مرسل إلا ما رواه عن تفسير العسكري ﷺ كما صرح به في أوله بعد الخطبة التي أولها: «الحمد لله المتعالي عن صفات المخلوقين المنزه عن نعوت الناعتين» إلى قوله: «ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلت العقول عليه أو لاشتهاره في السير والكتب من المخالف والمؤالف، إلا ما أوردته عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري ﷺ فإنه ليس في الاشتهار على حد ما سواه» إلى آخر كلامه

فإنه بعدما نقل خطبة العقيلة زينب عليها السلام في جموع أهل الكوفة، نقل قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام لها: «يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، أن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر، فسكتت. ثم نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وانزل نسائه ودخل الفسطاط»[1].

وأما معناه، فقد ذكر عدد من العلماء فيه أقوالاً:

١. أنه عليه السلام يريد أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً لا بتخرج على أستاذ أو أخذ عن مشيخة، وإنما كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدّها وأبيها وأمها وأخويها، أو لمحض انتمائها إليهم واتحادها معهم في الطينة المكهربين لذاتها القدسية، فأزيحت عنها بذلك الموانع المادية وبقي مقتضى اللطف الفياض وحده، وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة فأفيض عليها بأجمعه إلا ما اختص به أئمة الدين عليهم السلام من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى، على أن هناك مرتبة سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وهي الرتبة الحاصلة من الرياضات الشرعية والعبادات الجامعة لشرائط الحقيقة لا محض الظاهر الموفي لمقام الصحة والأجزاء، فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لأمدها، وفي الحديث: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، ولا شك أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها فماذا تحسب أن يكون المنفجر

الصريح في أن كل ما أرسله فيه هو من المستفيض المشهور المجمع عليه بين المخالف والمؤالف، فهو من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها العلماء الأعلام كالعلامة المجلسي قدس سره والمحدث الحر قدس سره وأضرابهما.. عن الذريعة - آقا بزرگ الطهراني ج ١، ص ٢٨١، له غير الاحتجاج (تاريخ الأئمة)، و (فضل الزهراء عليها السلام)، و (مفاخر الطالبية)، و (الكافي في الفقه).

(١) الطبرسي، الشيخ أحمد بن علي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٩.

من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة»[(١)].

وحاصل الجواب السابق: أنها ﷺ تمتلك جهات: منها اشتراكها مع آبائها الطاهرين وكونها من طينتهم فإن ذلك يؤثر وراثياً في استعدادتها العلمية. ومنها ما حصل لها من تهذيب آبائها وتربيتهم لها مما أكمل شخصيتها ورفع عنها الموانع والحجب التي تحجب العلم. ومنها ما كان لها بنفسها من رياضات شرعية وعبادات دينية وهذه تؤثر في تعرف الإنسان على الحقائق، ومع إخلاصها لله طول عمرها تكون ينابيع الحكمة قد تفجرت في داخل قلبها. كل تلك العوامل أكملت علل إفاضة العلم الإلهي على قلبها، ومع وجود الاستعداد والقابلية عندها وارتفاع الموانع منها، أفيض عليها العلم إفاضة.

٢. يحتمل أن يكون المقصود من ذلك الكلام المنقول عن زين العابدين ﷺ أنها لم تتعلم على يد أحد أصلاً وإنما علمها كعلم آبائها غير اكتسابي.

لكن يرد على هذا الاحتمال أنه ثبت أن المعصومين ﷺ قد أخذوا عن آبائهم فإن أمير المؤمنين ﷺ وهو من هو في العلم قد أخذ عن رسول الله ﷺ وروي عنه أنه قال: «علمني ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب»[(٢)]، وأن الحسن ﷺ قد أخذ عن أبيه، وعلمه أبوه كما ورد في وصيته إليه المذكورة في نهج البلاغة[(٣)]: «ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة ونفس صافية، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه، لا

---

(١) النقدي ؛ الشيخ جعفر: زينب الكبرى / ٤٣.

(٢) صحيحة رواها الشيخ الصدوق في الخصال عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: «حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، وإبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر ﷺ قال: قال علي ﷺ: علمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح ألف باب».

(٣) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١.

أجاوز ذلك بك إلى غيره»[1]، قد ورد أنها أخذت عن أبيها ﷺ كما ورد في تعليمها تأويل آية (كهيعص) حيث أخبرها أبوها كما ورد في بعض المرويات التاريخية أنها كانت تفسر القرآن الكريم فلما وصلت إلى سورة مريم، وبدأت في تفسير أولها، أخبرها بتأويلها.

ولا يعتقد أن المعصومين ﷺ يأخذ بعضهم عن بعض بينما لا تأخذ ﷺ عن أحد منهم!

٣. الاحتمال الثالث: أن يكون المقصود من أنها (غير معلمة) أنها لم تتعلم إلا على يد المعصومين، ولم تأخذ العلم إلا من أبيها وأمها وأخويها. وفائدة ذلك أن ما عند الناس -غير المعصومين- خليط من الصواب والخطأ، والحق والباطل وليس بالضرورة أن يطابق الواقع.

وأما ما هو عند المعصومين فهو العلم المطابق للواقع[2]، والذي لا يتخلف عن الحق فعلي -كإمام معصوم- مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار. وليست هذه خاصة أمير المؤمنين ﷺ دون بقية أبنائه. فما ثبت له - مما يرتبط بمنصب الإمامة- ثبت لهم بعدم الفصل.

وأثر تلمّذها على هؤلاء المعصومين دون غيرهم، هو أن يكون علمها مطابقا للواقع ولذا لا يأتي إشكال أنه ما الفرق بينها وبين مثل ابن عباس أو غيره ممن تتلمذ على يد أمير المؤمنين، خصوصا مع طول الفترة بينه وبينهم. فإنهم لما أخذوا عن غير المعصومين واختلط علمهم بعلم العلماء الآخرين، لم يعد مرآة للواقع وإنما

---

(١) هذا بناء على غير الرأي القائل بأن هذه الخطبة وأمثالها هي من نحو التعليم للآخرين، واستنان طريقة لهم.

(٢) الكافي ج١، ص٦٢: «صحيحة إسماعيل بن جابر عن الصادق ﷺ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه»، وموثقة سماعة: «سألت أبا الحسن موسى ﷺ أكلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه برأيكم؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ». وما عن بصائر الدرجات، ص٣٦٣: «عن الصادق ﷺ إن رسول الله أنال وأنال وأنال -يشير بيده كذا وكذا- وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه وضياؤه وأواخيه».

أصابته الكدورة على أثر ذلك.

س: سؤال: هل يجوز رسم صورة الإمام الحسين ﷺ، أو صور باقي الأئمة؟ فإننا نجد أن بعض الأماكن يوجد فيها رسومات يشار إلى أنها صور الأئمة؟

الجواب: تارة نتكلم في أصل الرسم والتصوير بغض النظر عن (المصوَّر والمرسوم) وأخرى بالنظر إليه.

وإجمال المطلب في الجهة الأولى: أن هناك إجماعاً[1] مدّعى على عدم جواز تمثيل الحيوان والإنسان - في الجملة- بصورة التماثيل الكاملة وهو المعروف في الفنون الحديثة بـ(النحت)، بل قد ادُّعِيَ على ذلك إجماع المسلمين[2].

وأما غير ذلك كتمثيل النباتات وسائر المناظر الطبيعية، ففيه خلاف، والمختار عند أكثر علمائنا أنه لا بأس به سواء كان مجسّماً أو لم يكن[3].

---

(١) نقله المحقق النراقي (ت ١٢٤٥ هـ) في مستند الشيعة.

(٢) هناك بعض الآراء الجديدة في صورة إثارات ودراسات ترى أن التحريم والنهي بالنسبة إلى المجسم من تماثيل الحيوان والإنسان من حيث إنه كان يكرّس ثقافات باطلة سابقة على الإسلام، ويعيد للذاكرة الحالات الجاهلية في تقديس المجسمات والأصنام وأن النهي قد صدر لهذه الجهة، ويرون أن الموضوع في هذه الأزمنة قد تغيّر، وأن النحت وصناعة التماثيل هي فن من الفنون التي يقصد منها إظهار المهارة والصور الجمالية، وأنها الآن لا ترتبط بتكريس تلك الثقافات الباطلة، فلا ينبغي أن يكون الموضوع واحداً في الحالين، ويضمون إلى ذلك مقدمة أخرى وهي أن بعض الأحكام تبعاً لتغير موضوعاتها -بحسب تطور الزمان- يمكن أن تتغيّر مع الإذعان بأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ولكنهم يرون أن الأحكام تتبع العناوين والمواضيع فإذا تغيّر العنوان والموضوع لحقه حكم الحلية بينما كان مثلاً في السابق حكمه الحرمة، فإنه وإن كان الزمان لا دخل له في تغيّر الأحكام إلا أن له دخلاً في تغير جهات الموضوع فيتغيّر الحكم تبعاً لها، مثلما ذكروا في بيع الدم فقد كان الرأي المشهور في السابق هو الحرمة لكونه نجساً ولعدم وجود منفعة عقلائية محللة له، بينما اليوم حلية بيع الدم هي المشهور بعدما صار الدم له منافع عقلائية واضحة. ولكن تبقى هذه الآراء في حدود الإثارات والدراسات، ولا يعتقد أن أحداً من المعروفين يفتي بها.

(٣) اعتماداً على روايات كصحيحة البقباق عن أبي عبد الله ﷺ «في قول الله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن

أما بالنسبة إلى رسم الحيوان والإنسان فقد ذهب قسم من مذاهب المسلمين إلى تحريم ذلك كما نقل عن الحنابلة، وأما عند علماء الشيعة فقد ذهب قسم منهم إلى عدم الجواز بالنسبة للرسم الكامل، وقال آخرون بالجواز بعد تضعيف ما ظاهره حرمة التصوير مطلقاً سنداً، وإمكان حمله على التمثيل المجسم.

وأما (التصوير الفوتوغرافي) فالرأي المشهور بل يكاد يكون المتفق عليه عند علمائنا هو الجواز. ولكن حرّمه فريق من علماء السنة لنفس الأدلة الدالة على حرمة الرسم والنحت.

وأما في الجهة الثانية: فإنه لا يظهر أن هناك مانعاً لو تم القيام برسم تخيلي للمعصوم بناءً على ما ورد في صفاته التي نقلت في الكتب ما لم يكن فيه محذور من هتك أو غيره كصورة غير لائقة.

نعم لا يترتب عليه أثر، فلا يصح أن يخبر عنه بأن شكل الإمام كان هكذا فإن ذلك كذب.

في غير ذلك الأثر لا يوجد هناك مانع من تصوير شكل معين اعتماداً على ما ورد في الكتب التي نقلت صفات المعصوم، بل ربما كان راجحاً لو أدّى تصوير قضية كربلاء وما فيها من معان ومآس بالصورة الفنية المعهودة في هذه الأيام مما يؤدي إلى انتشارها، وتعرُّف الناس عليها من مختلف زواياها. بالطبع لا بد أن يكون ذلك متناسباً مع عظمة صاحب المناسبة وقداسة الواقعة. وقد ذكرنا في موضع آخر ما يرتبط بالتمثيل السينمائي والمسرحي لموضوع كربلاء.

س: سؤال: نسمع في أيام المحرم أصوات قراءة النساء في المآتم، ونرى أنه ليس من الصحيح ذلك فإن صوت المرأة عورة، وكيف تريد الواحدة أن تقرأ في مأتم الحسينE والحال أنها تظهر صوتها في الميكرفون فيسمعه الرجال وهو عمل

مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾؟ فقال: والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها الشجر وشبهه».

محرم فكيف يكون في المأتم ما هو حرام؟

الجواب: يظهر أن السائل الكريم قد (أفتى) بالحرمة!! اعتماداً على فكرة مسلمة عنده وليست مسلمة عند الفقهاء وهي أن (صوت المرأة عورة). فرتب آثاراً بناءً على ما ليس بصحيح.

ويبدو أن الفكرة المذكورة متأثرة بما هو مألوف وخاطئ في مجتمعنا، واعتبار ما يصدر عنها أنه واقع في دائرة الفتنة والحرمة بالضرورة وليس كذلك. وهو يعبر عن الأزمة التي يعيشها البعض في نظرته إلى المرأة، فلا هو يستطيع أن يخرج من (تراثه الاجتماعي) الذي يهضمها حقها، و لا هو يستطيع أن يتقبل السعة التي أعطتها الشريعة لدور المرأة[1].

وسوف نحاول في السطور القادمة أن نبين أن:

صوت المرأة ليس بعورة محرمة:

فمع أن هذه الفكرة منتشرة ومشهورة بين الناس إلا أنها لا نصيب لها من الصحة.

قد قرر علماؤنا[2] هذا الأمر اعتماداً على جملة من الأدلة، بعدما لم يكن دليل صالح للقول بأنه عورة إذ لا يوجد خبر عن أهل البيت ﷺ بهذا النص ولو كان ضعيفاً[3].

---

(١) للتفصيل يراجع كتاب: نساء حول أهل البيت ﷺ، للمؤلف.

(٢) قال السيد اليزدي رحمه الله في العروة الوثقى: «يجوز سلام الأجنبي على الأجنبية وبالعكس على الأقوى إذا لم يكن هناك ريبة أو خوف فتنة، حيث إن صوت المرأة من حيث هو ليس عورة». انتهى.. ولم يعلق على المتن أحد من العلماء مما يعني موافقتهم له (بالطبع السلام هنا لا يعني المصافحة حتى لا يشتبه الأمر على البعض!).

(٣) نعم قد ورد في كلمات بعض الفقهاء المتقدمين كـ(المحقق الحلي في الشرائع) عند الاستدلال على أنه لا يجوز للأعمى سماع صوت المرأة لأنه عورة، وعورض هذا الاستدلال عند المتأخرين بأنه لم

يقم دليل على التعليل، وأنه حمل على ما لو كان بتغنج ومسبباً للإثارة الشهوانية. والعلامة الحلي في مختلف الشيعة في مسألة أذان المرأة للرجال معلقاً على قول شيخ الطائفة في المبسوط أنه لو أذّنت المرأة للرجال اعتدوا به وأقاموا، قال: الوجه المنع؛ لأن صوتها عورة. لكنه قطع في التذكرة بأن التحريم مشروط بصورة التلذّذ أو خوف الفتنة. والمحقق الكركي في جامع المقاصد في مسألة الأذان أيضاً واستدل كالعلامة. لكنه قيده في ج١٢ بأنه عورة يحرم استماعه مع خوف الفتنة لا بدونه، واستشكل الشهيد الثاني في المسالك في إطلاق الحكم اوشموله لغير صورة التلذذ (لما في ذلك من الحرج والضرر المنفي، ولعدم دليل صالح عليه، وكون صوتها عورة لا يدل على التحريم مطلقاً) واستجود اشتراط تحريم الاستماع بالتلذّذ أو خوف الفتنة.

وقال المحقق البحراني في الحدائق: «المشهور بين الأصحاب تحريم سماع صوت المرأة الأجنبية، مبصراً كان السامع أو أعمى، وإطلاق كلامهم شامل، لما أوجب السماع، التلذّذ والفتنة أم لا، ولا يخلو من إشكال، لما علم من الأخبار المتكاثرة، من كلام النساء مع الأئمة ﷺ، وسؤالهن عن الأحكام، بل غير ذلك أيضاً، وسيما كلام فاطمة ﷺ مع الصحابة، كسلمان وأبي ذر والمقداد، وخروجها للمطالبة بميراثها في المسجد من أبي بكر، وحضور جملة من الصحابة يومئذ، وإتيانها بتلك الخطبة الطويلة المتفق على نقلها، بروايات الخاصة والعامة، أشهر من أن ينكر، مع أنها معصومة ومن المعلوم أن خروجها إنما يكون بإذن أمير المؤمنين ﷺ، وهذا كله، مما يدفع ما ذكروه. نعم لا بأس بتخصيص الحكم، بما إذا أوجب التلذّذ والفتنة، وعليه يحمل ما أوهم خلاف ما ذكرناه».

وقال صاحب الجواهر بعد أن تعرض إلى ما ذكره المحقق في متن الشرائع، وغيره من العلماء في أن صوتها على الأعمى والمبصر عورة ولا يجوز لهما استماعه وما يمكن أن يكون دليلاً على ذلك، قال: «لكن ذلك كله مشكل بالسيرة المستمرة في الإعصار والأمصار من العلماء والمتدينين وغيرهم على خلاف ذلك، وبالمتواتر أو المعلوم مما ورد من كلام الزهراء وبناتها عليها وعليهن السلام، ومن مخاطبة النساء للنبي ﷺ والأئمة ﷺ على وجه لا يمكن إحصاؤه ولا تنزيله على الاضطرار لدين أو دنيا، بل قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ دال على خلاف ذلك أيضاً، ولعله لذا وغيره صرح جماعة كـ(الكركي والفاضل) في المحكي عن تذكرته وغيرهما ممن تأخر عنه كـ(المجلسي) وغيره بالجواز، بل بملاحظة ذلك يحصل للفقيه القطع بالجواز فضلاً عن ملاحظة أحوالهم في ذلك الزمان، من كونهم أهل بادية، وتقام المآتم والأعراس وغيرها فيما بينهم، ولا زالت الرجال منهم مختلطة مع النساء في المعاملات والمخاطبات وغيرها. نعم ينبغي للمتدينة منهن اجتناب إسماع الصوت الذي فيه تهييج للسامع وتحسينه وترقيقه حسبما أومأ إليه الله تعالى شأنه بقوله: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ إلى آخره، كما أنه ينبغي للمتدينين ترك سماع صوت الشابة الذي هو مثار الفتنة حسبما أومأ إليه أمير المؤمنين ﷺ في تعليم الناس فيما رواه عنه الصدوق قال: كان رسول الله ﷺ يسلم على النساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين ﷺ يسلم على النساء ويكره أن يسلم على الشابة منهن، ويقول: أتخوف أن

كذلك فإن سيرة المعصومين ﷺ قاضية بأنهم كانوا يستقبلون النساء السائلات عن المسائل الدينية من غير إنكار منهم عليهن ومن غير ضرورة تلجئهن مثلما أشارت إليه رواية أبي بصير قال: «كنت جالساً عند أبي عبد الله ﷺ إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله ﷺ: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها قال: وأجلسني معه على الطنفسة قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا هي امرأة بليغة فسألته.. إلى آخر الحديث»[1].

فأنت ترى أن الإمام ﷺ قد استمع إليها، وعرض على أبي بصير الاستماع إلى حديثها..

كما دلّت على سماع أصوات النساء من قبل المعصومين ﷺ صحيحة ربعي بن عبد الله عن الصادق ﷺ: «كان رسول الله يسلم -أي يلقي التحية- على النساء ويرددن عليه وكان أمير المؤمنين يسلم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن ويقول أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل عليّ أكثر مما طلبت من الأجر»[2]. والرواية ظاهرة في أن الأمر لم يكن نادراً بل كان كثيراً. وأن أمير المؤمنين ﷺ قد فرض أنه يوجد أجر في إلقاء السلام عليها، لكن مع (إعجاب) الرجل البادئ بالسلام وتلذّذه بجوابها قد يدخل عليه أكثر مما طلب من الأجر.. ولا شك أن هذا

يعجبني صوتها فيدخل عليّ من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر».. إلى آخر ما ذكره. وورد أن: «النساء عي وعورة فاستروا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت».

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٠ ص ١٩٧: محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان عن أبي بصير قال:.. وليس في السند من يتوقف فيه غير المعلى بن محمد (البصري) فالقوم فيه على رأيين: التضعيف لكلام النجاشي فيه أنه «مضطرب الحديث والمذهب» وقبول روايته كما عليه بعض أساتذتنا حيث إن كلام النجاشي ليس سوى وصف لحديثه لا للراوي، وهو مثل ما نقل عن ابن الغضائري: «أنه يعرف حديثه وينكر» وقد فسرت تلك الكلمات بأن أحاديثه ليست على مستوى واحد من المتانة والقوة والانسجام. كما أنه قد ورد اسمه في رجال تفسير علي بن إبراهيم القمي في القسم الأول على القول بتوثيقهم.

(٢) الكافي ج٥، ص٥٣٥: محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن ربعي

هو للتعليم وإلفات للسامعين أنه لو لزم من السلام واستماع الجواب تلذّذ فإنه ينبغي أن يترك.

فلو اعترض على الاستدلال بما قامت به الصديقة الزهراء ﷺ من خطبتها في المسجد بمسمع من الحاضرين، أو ما قامت به العقيلة زينب وبنات الحسين في الكوفة والشام بمحضر من الإمام زين العابدين وعدم اعتراضه من الخطابة أمام الناس لو اعترض على ذلك بأن ضرورة نصرة الإسلام تبيح ذلك، فإن الروايات المتقدمة، فيها ما يظهر منه صريحاً عدم الاضطرار[١].

كما أشار الفقهاء إلى أن الممنوع من صوت النساء هو (الخضوع في القول) وذلك لما يعقبه من (طمع من في قلبه مرض) فليس استماع صوت النساء مطلقاً غير جائز وإنما حصة منه هي التي فيها خضوع في القول وترقيق وإثارة.

وبناء على ما سبق فإن مجرد خروج صوت المرأة وهي تقرأ العزاء بحيث يسمعها الرجال الأجانب ليس ممنوعاً بحدّ ذاته أو كما يقول العلماء (في نفسه) وإنما لو لزم منه محذور، بأن كان بكيفية مثيرة للشهوات.. وما شابه ذلك.

وهذا لا يعني أن تتعرض المرأة إلى ذلك وتتعمده فإنه لا ينسجم مع الرسالة التي يريد المنبر الحسيني إبلاغها للناس من إيجاد جوٍّ عام من العفة والتنزّه عمّا يوجب الإثارة.

كما لا يصح أن يطلق العنان لمكبرات الصوت لكي ترجّ البلدة بصوت النساء بل ولا بصوت الرجال أيضاً.. فإن للجيران وللمرضى ولعامة الناس حقوقاً لا يستطيع الخطيب ولا الخطيبة تجاوزها.. نعم ما جرت العادة عليه سواء في الوقت أو في الصوت قد لا يكون في حيّز المنع.

---

(١) هناك روايات أخرى تفيد أنه «لا تبدؤوا النساء بالسلام» و «لا تسلّم على المرأة» وقد جُمعَ بينها وبين السابقات في صراحتها بالحمل على الجواز على كراهة، أو أنه لا يُسلِّم عند خوف الفتنة أو التلذّذ.

س: سؤال: ما هو الموقف تجاه يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه مثلاً؟ أو لا يجوز ذلك؟ فإننا نجد اختلافاً بين المسلمين.

الجواب: في موضوع يزيد بن معاوية يوجد اتجاهان بين المسلمين:

الأول: وهو اتجاه محدود يذهب إلى أنه لا يصح لعنه، ولا يجوز. ولهم في ذلك توجيهات خلاصتها كالتالي:

- لم يثبت أنه قد قتل الحسين وإنما كان مخالفاً لذلك، ولم يثبت منه فسق أو كفر يُوجِب لعنه.
- سدّ الذرائع فنحن نمنع من لعنه لكي لا ينتقل ذلك إلى لعن معاوية أبيه.
- وأنه لا ينبغي أن يتعود الإنسان على اللعن فليس بمسؤول عنه أنه لِم لم يَلْعَن.

وأما تفصيل أدلتهم، فقد عبر عنها أبو حامد الغزالي[١] عندما سئل عمَّن صرح بلعن يزيد هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مرخصاً له؟ وهل كان مريداً قتل الحسين عليه السلام أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه أو السكوت عنه أفضل؟

فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو الملعون[٢]، وقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم ليس بلعان». ولا يجوز لعن البهائم، وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي ﷺ، ويزيد صح إسلامه[٣]،

---

(١) ترجمه الزركلي في (الأعلام) فقال: الغزالي (٤٥٠/ ٥٠٥هـ) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين) أربع مجلدات، و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد) و(محك النظر) و(معارج القدس في أحوال النفس)، وغيرها من الكتب.

(٢) العجيب أن أبا حامد الغزالي قد جوز لعن (الروافض) كلعن اليهود!!

(٣) راجع ما ذكره المؤرخون عن أشعاره، وما قاله علماء المسلمين من الفريقين في حقه، وستأتي بعض

وما صح قتله الحسين، ولا أمره ولا رضاه بذلك، ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام. ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به، فينبغي أن يعلم أن به غاية الحماقة[1]، فإن من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله، أو من الذي رضي به، ومن الذي كرهه، لم يقدر على ذلك، وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف ولو كان في بلد بعيد وفي زمن قديم قد انقضى، فكيف يعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد، وقد تطرق التعصب في الواقعة، فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا أمر لا يعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يعرف وجب إحسان الظن به.

ومع هذا لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً، فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه، فكيف من تاب عن قتل، ولم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى.

ولو جاز لعنه فسكت عنه لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة: لم لا تلعن إبليس؟ ويقال للاّعن: لم لعنت؟ ومن أين عرفت أنه مطرود ملعون؟ والملعون هو المبعد من الله عز وجل، وهو غيب لا يعرف إلاّ في من مات كافراً، فإن ذلك علم بالشرع.

وأما الترحم عليه، فهو جائز بل مستحب، بل هو داخل في قولنا في كل صلاة:

كلماتهم.

(١) تبين من خلال هذه الأجزاء أن من يزعم خلاف ذلك هو في غاية الحماقة. فراجع الجزء الثاني (سؤال: هل قتل الحسين بأمر يزيد) لتزداد بصيرة.

«اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» فإنه كان مؤمنا والله أعلم، كتبه الغزالي[١].

في الصواعق المحرقة لابن حجر: لا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره، فإنه من جملة المؤمنين، وأمره إلى مشية الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه.

وقال التفتازاني الحنفي[٢] في شرح المقاصد عن منعهم لعن يزيد.. فإن قيل: من علماء المذهب من لم يُجَوِّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً أن يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى.

والتوجه الثاني بين المسلمين وهو المشهور بينهم: يرى جواز لعنه، ويستدل على ذلك بأمور:

- إن من يفعل ذلك يتبع فيه القرآن الكريم، حيث لم يوفر حظا للكافرين والفاسقين والظالمين، ولم يدخر وسعا في التأكيد على لعنهم، ويظهر أن أمر لعن الكافرين والفاسقين والظالمين الهادف لإيجاد الفاصل النفسي، والحاجز القلبي بين المؤمن بالديانة السماوية وبين تلك الفئات المنحرفة، ليس من مختصات هذه الرسالة بل كان موجودا في سائر الرسالات السماوية أيضاً فالقرآن يتحدث عن لعن أنبياء بني إسرائيل للكافرين فيقول:
- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

(١) وقد تتبع العلامة محمد بن عقيل الحضرمي كلمات الغزالي، وناقشها نقاشاً هادئاً في كتابه: النصائح الكافية، ونقض غزلها ببراعة.

(٢) السعد التفتازاني (٧١٢/ ٧٩٣هـ) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق) و(المطول) في البلاغة، و(المختصر) اختصر به شرح تلخيص المفتاح، و(مقاصد الطالبين) في الكلام، و(شرح مقاصد الطالبين) و(النعم السوابغ) في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، و(إرشاد الهادي) نحو، و(شرح العقائد النسفية) و(حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب) في الأصول، و(التلويح إلى كشف غوامض التنقي) و(شرح التصريف العزي) في الصرف عن الأعلام للزركلي.

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[١].

بل حتى أهل الكتاب الذين أبوا أن يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ وقد كانوا يستفتحون من قبل على كفار العرب، فإذا بهم اليوم ينكرون ما بشروا به من قبل، لذلك استحقوا اللعنة الإلهية:

- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

ولعل قائلاً يقول: إنه وإن وردت اللعنة في القرآن على الكافرين إلا أنه لا يصح أن يُلعن مسلم، فيقال في جوابه: إن العلة واحدة وهي التخلف عن إطاعة الله ورفض العمل بشريعته جحوداً ونكراناً، وفي هذا لا يختلف الاثنان بل ربما كانت الملامة على من يحمل صفة الإسلام أعظم.. ولهذا فقد صب القرآن الكريم اللعنة على مسلمين، وإن لم يسمهم، لكن التاريخ قد تكفل بالأخبار عنهم، وحتى لو أمكن إخفاء أسمائهم فإن الصفات الموجودة تكفي من إيذاء الله ورسوله، ومن الفساد في الأرض وقطع الأرحام، ومن النفاق والإرجاف في المجتمع المسلم، ومن الصد عن سبيل الله ومن كتمان الحق عن طالبيه، والكذب فتعال عزيزي القارئ، واتلُ ما في القرآن الكريم وتدبر آياته البينة:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[٣].

وقد جاءت هذه الآية المباركة بعد آية الصلاة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٤].

---

(١) () سورة المائدة آية ٧٨.

(٢) () سورة البقرة آية ٨٨.

(٣) () سورة الأحزاب آية٥٧.

(٤) () سورة الأحزاب آية٥٦.

وكأنها تريد أن تنقل صورتين متقابلتين من الاحترام للنبي ﷺ ومن الإيذاء له وإغضابه.

وتقوم آيات أخرى بالتهديد للمنافقين من المسلمين، والمرجفين من (الطابور الخامس)[١] الذي يثبط المسلمين عن الجهاد ويحبط عزائمهم، وتصفهم بأن اللعنة تلاحقهم أينما ثقفوا، وكيفما تصرفوا.

- ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾[٢].
- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[٣].
- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٤].
- ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[٥]

---

(١) يشار به إلى العملاء السريين الذين يمارسون نشاطهم داخل صفوف أعدائهم لإضعاف موقفهم. وقد استعمل مصطلح الطابور الخامس لأول مرة في الحرب الأهلية الأسبانية حين صرح أحد القادة قائلاً: «لي أربعة طوابير تتحرك في اتجاه مدريد، وطابور خامس سينهض من داخل المدينة نفسها» عن الموسوعة العربية العالمية.

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٠ - ٦١.

(٣) سورة محمد آية ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة آل عمران آية ٨٦ - ٨٧.

(٥) سورة الأعراف آية ٤٤ - ٤٥.

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[١].

فهذا القرآن الكريم لم يوّفر أحداً من المجرمين والمنافقين بل صبّ عليه اللعنة صبًّا لتتلى ليل نهار، قول هؤلاء: ونحن نتبعه في لعن من تتوفر فيه صفات الملعونين بل وجدنا القرآن يلعن أسرة بكاملها، وشجرة بتمامها حتى لقد صارت (الشجرة الملعونة) كأنها اسم من الأعلام:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[٢].

وفي موضوع الملاعنة بين الزوجين نجد أن طلب اللعنة الإلهية لتحل بالكاذب والفاسق هي خاتمة مطاف الملاعنة:

- ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣].

- يقول هؤلاء إنهم: يتبعون حديث رسول الله ﷺ الذي لعن طوائف مختلفة فقد لعن من يرتبط بالخمر تسعة أصناف فقد روي أنه قال ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها».

وروي أنه قال: «لعن الله الراشي والمرتشي».

وروي عنه: «لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون».

وروي عنه: «ستة لعنتهم، لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله،

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٩.

(٢) سورة الإسراء آية ٦٠.

(٣) سورة النور آية ٧.

والمكذب بقدر الله تعالى، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي».

وروي عنه: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

وروي أيضاً أنه قال: «لعن الله سبعة من خلقه من فوق (سبع) سماواته وردد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه فقال ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيئا من البهائم ملعون من عق والديه ملعون من جمع بين المرأة وبين ابنتها ملعون من غير حدود الأرض ملعون من ادعى إلى غير مواليه»[١].

وقد ذكر أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد استشهد بلعن رسول الله صلى الله عليه وآله لعدد من (صحابته!!) كما في المناظرة التي نقلها الطبراني في المعجم الكبير حيث قال: «ثم صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم وقع في علي رضي الله عنه ثم قيل للحسن بن علي اصعد فقال لا أصعد ولا أتكلم حتى تعطوني إن قلت حقًّا أن تصدقوني، وإن قلت باطلاً أن تكذبوني فأعطوه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه.

فقال: بالله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لعن الله السائق والراكب» أحدهما فلان؟[٢] قالا: اللهم بلى.

قال أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن عَمْراً بكل

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط ٨.

(٢) وفلان هنا معاوية حيث كان أبو سفيان راكباً الجمل ومعاوية يقوده، ولم يذكر الحديث الاسم هنا بينما ذكر في بقية المصادر!!

قافية قالها لعنة؟ قالا اللهم: بلى

قال: أنشدك الله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن قوم هذا؟ قالا: بلى. قال الحسن: فإني أحمد الله الذي وقعتم فيمن تبرأ من هذا»[١].

- ولعن أمير المؤمنين عليه السلام أشخاصاً وقنت عليهم في الصلاة، وقد نقل الشريف الرضي رضي الله عنه في نهج البلاغة عنه، لعنه للأشعث بن قيس بينما كان الإمام على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره، ثم قال: ما يدريك ما علي مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين!
- وقد نقل[٢] عن بعض علماء السنة جواز اللعن فقد استدل الإمام أحمد بن حنبل على لعن يزيد بآية ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[٣] كما حكاه أبو الفرج بن الجوزي[٤] في الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، عن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء، إذ روى في كتابه

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٣، ص٧١.

(٢) مجلة تراثنا عدد ٥٠.

(٣) سورة محمد آية ٢٢ - ٢٣.

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨/ ٥٩٧هـ) علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار) قطعة منه، و(الأذكياء وأخبارهم) و(مناقب عمر بن عبد العزيز) و(روح الأرواح) و(شذور العقود في تاريخ العهود) و(المدهش) في المواعظ وغرائب الأخبار، و(المقيم المقعد) في دقائق العربية، و (صولة العقل على الهوى - خ) في الأخلاق، و(الناسخ والمنسوخ) حديث، و(تلبيس إبليس) و(فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) و(لقط المنافع) في الطب والفراسة عند العرب، و(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ستة أجزاء منه، واختصره فسماه (مختصر المنتظم) وغيرها.. عن الأعلام للزركلي.

المعتمد بإسناده عن صالح بن أحمد، قال: قلت لأبي: إن قوما ينسبوننا إلى توالي يزيد. فقال: يا بني! وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله؟!

فقلت: لِمَ لا تلعنه؟

فقال: ومتى رأيتني ألعن شيئاً؟! لِمَ لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟!

فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقرأ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ الآية، فهل يكون فساد أعظم من القتل؟

وفي رواية: يا بني! ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه؟

وقال الآلوسي: لو سلم أن الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان. قال: وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين. انتهى.

وقال القاضي أبو الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي - وقد صنف كتاباً فيه بيان من يستحق اللعن وذكر فيهم يزيد-: «الممتنع من لعن يزيد إما أن يكون غير عالم بجواز ذلك، أو منافقاً يريد أن يُوهم بذلك، وربما استفز الجهال بقوله ﷺ: «المؤمن لا يكون لَعَّاناً»، وهذا محمول على من لا يستحق اللعن»[1].

كما أن أبا الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن على البغدادي الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) ألف كتاب (الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد) قال فيه: «سألني سائل عن لعن يزيد، فقلت قد أجازه العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل، فبلغ كلامي إلى شيخ قد قرأ أحاديث مروية ولم يخرج عن العصبية العامية. فأنكر ذلك»، إلى آخر كلامه.. مشيراً إلى كتاب ألفه عبد المغيث بن زهير الحنبلي في منع لعن يزيد.

---

(١) مجلة تراثنا عدد (٥٠)، نقلاً عن كتاب الرد على المتعصب العنيد.

لماذا يُلعن الظالمون؟

١. إن من أهم مكونات الوعي والفكر لدى الإنسان، معرفته التاريخية، وما يحمله من قصص سابقة، وأحاديث عن حياة الماضين من أمم ورجال ومتى كانت تلك المعرفة وافية وصحيحة، فإن البناء الفكري لذلك الإنسان يكون صحيحاً وسليماً.

ولذلك وجدنا حرص القرآن الكريم على استعراض جملة كبيرة من قصص السابقين من الأمم والأنبياء والطواغيت، مع توجيه الأحداث بما يناسب الحالة الوعظية، واستفادة العبرة.

فهناك فرق بين إبراز صورة شخص على أنه قوي وصلب وأنه مسيطر على الأمور، وبين إبراز صورته باعتباره طاغوتا ظالما.

ومع الأسف فإن الصورة المتوارثة في كتب التاريخ الإسلامي عن الأمويين والعباسيين -على سبيل المثال- هي صورة خلفاء الرسول، وأمراء المؤمنين الحريصين على الإسلام وهي صورة كاذبة بلا ريب.

ويصر هؤلاء الكتاب متعمدين في ذلك على نسبة تقدم المسلمين في المجالات المختلفة إلى الحاكم والسلطان، فإذا فتح المسلمون بلادا، فإنما هي (فتوحات الخليفة) وإذا ازدهرت الحالة العلمية في بلاد المسلمين بجهود العلماء والمفكرين فإنما ذلك من (إنجازاته، ومميزات عصره). ويتطرف البعض حين ينسب إليه فضائل لا تنسجم معه، ويفصلون له ثوبا ليس على مقاسه!!

وقد أدى هذا الأمر إلى نشوء أجيال من المسلمين على ثقافة سلطوية تخديرية، تدين الثائرين والمطالبين بحقوق أمتهم. وكان من الطبيعي مع ثقافة التقديس للحاكم الأموي والعباسي أن يُدان كل فعل معارض له، وأن يعادى كل ثائر عليه!!

بتحديد الموقف من قضايا التاريخ وما جرى فيه، والانتصاف للمظلومين والاحتكام على الظالمين والجائرين، يمكن أن تُنشأ معرفة صحيحة، ويُربى جيل جديد واع يستند إلى حقائق التاريخ، ويكتسب منه حكمة، ويتعلم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[1]..

٢. رسالة للحاضر: لا يظن الظالمون أنهم يستطيعون أن يعبثوا بدين الله، ويظلموا عباد الله، ويعيثوا في بلاده فساداً، ثم يرحلون بمخازيهم، وتنتهي القضية عند هذا الحد.

وإنما سوف ينتظرهم منذ بدء حلولهم تحت التراب عذاب البرزخ، وتلاحقهم فوق التراب اللعنات، والبراءة منهم ومن أعمالهم.

وهذا وإن كان عملاً بالنسبة للظالمين في الزمن الماضي، إلا أنه رسالة لظلمة الحاضر. وفي الواقع فإن الشيعة -بل عموم المسلمين- عندما يلعنون رمزا من رموز الظلم في تاريخ المسلمين فهم يتخذون موقفا، ويمارسون (إسقاط) هذا الموقف من الرمز التاريخي على الواقع المعاصر. فهم لا يعيشون في الماضي إلا بمقدار ما يجعلهم ﴿شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ الذين عاشوا في تلك الفترات، وارتكبوا ما ارتكبوا من الفظائع.

س: سؤال: لماذا يلبس الشيعة السواد في محرم؟ خصوصاً أن هناك روايات تنهى عن لبس السواد؟

الجواب: بحث علماؤنا المسألة في موارد متعددة منها: في الصلاة حيث ذكروا أنه يكره الصلاة في السواد واستثنوا العمامة والكساء والخف. وفي أبواب الحج في موضوع الإحرام في اللباس الأسود وأنه يكره فيه.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٢.

وتعرض الأكثر منهم بالمناسبة إلى الحديث عن لبس السواد في أيام مصيبة الإمام الحسين عليه السلام. والمشهور على أنه لا يكره ذلك، بل مع كونه شعارا للحزن والتفجّع عليه عليه السلام يكون راجحاً ومستحباً.

ونقوم هنا بإلقاء نظرة سريعة على ما ورد من الروايات في المسألة:

- ما ورد من النهي عن لبس الأسود:

١. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره السواد إلا في ثلاث: الخف والعمامة والكساء»[(١)].

٢. وقال أمير المؤمنين عليه السلام فيما علم أصحابه: «لا تلبسوا السواد فإنه لباس فرعون».

٣. كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول أبي جعفر الخليفة يدعوه فدعا بممطر أحد وجهيه أسود والآخر أبيض فلبسه ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إني ألبسه وأنا أعلم أنه لباس أهل النار»[(٢)].

٤. وسئل الصادق عليه السلام عن الصلاة في القلنسوة السوداء؟ فقال: «لا تصل فيها فإنها لباس أهل النار».

ودلالة الرواية الأولى على الكراهة أوضح[(٣)] من الحرمة، لكن الروايات التالية واضحة الدلالة في النهي الإلزامي، وخصوصاً مع تعليل بعضها بأنه لباس أهل النار وأنه لباس فرعون، مع ما ورد من النهي عن لبس ملابس أعداء الله[(٤)]. وإن كان في

---

(١) الكافي للكليني: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه رفعه:

(٢) الكافي للكليني: أبو علي الأشعري، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سنان، عن حذيفة بن منصور.. إضافة إلى إرساله، فيه محمد بن سنان وقد ضعفه الرجاليون.

(٣) مع العلم بأن كلمة يكره في الروايات ليست مشيرة بالضرورة إلى الكراهة الاصطلاحية فقد وردت في بعض الموارد بمعنى الحرمة.

(٤) روى إسماعيل بن مسلم عن الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله (عز وجل) إلى نبي من أنبيائه قل للمؤمنين: لا يلبسوا لباس أعدائي، ولا يطعموا مطاعم أعدائي، ولا يسلكوا مسالك أعدائي فيكونوا

إحداها التخصيص بالصلاة وأنه لا ينبغي لبسه فيها.

الروايات المجوزة

وهناك طائفة أخرى من الروايات التي يستفاد منها خلاف ما سبق، وأن لا مانع من لبس الأسود في نفسه بغض النظر عن العناوين الطارئة عليه.

فمن ذلك:

١. ما رواه سليمان بن راشد، عن أبيه، قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام وعليه دراعة سوداء وطيلسان أزرق[١].

٢. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قتل الحسين بن علي عليه السلام وعليه جبة خز دكناء[٢] فوجدوا فيها ثلاثة وستين من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح أو رمية بالسهم»[٣].

٣. عن داود الرقي قال: «كانت الشيعة تسأل أبا عبد الله عليه السلام عن لبس السواد؟ قال: فوجدناه قاعدا عليه جبة سوداء وقلنسوة سوداء، وخف أسود مبطن بسواد، ثم فتق ناحية منه وقال: أما أن قطنه أسود وأخرج منه قطنا أسود، ثم قال: بيض قلبك والبس ما شئت»[٤].

أعدائي كما هم أعدائي».

(١) الكافي: محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن سليمان بن راشد: فيه سهل بن زياد وقد اختلف فيه والأكثر على تضعيفه لكن بعض أساتذتنا قرّب قبول روايته وليس ببعيد، ولكن سليمان بن راشد لم يوثق.

(٢) الأدكن كما في العين: لون يضرب إلى الغبرة والسواد.

(٣) الكافي: محمد بن يعقوب عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر: فيه محمد بن سالم وهو متعدد في الكتب ولكن الظاهر بقرائن أنه بن عبد الحميد، وهو فطحي ثقة، وفيه عمرو بن شمر وقد ضعفه الرجاليون.

(٤) علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين عن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن علي بن إبراهيم الجعفري، عن محمد بن المفضل عن داود: فيه علي بن إبراهيم الجعفري

كما أن هناك طائفة أخرى هي أخص من السابقة وهي تلك التي تستثني بعض الملابس السوداء من النهي كالعمامة والكساء والخف، فقد مر أن رسول الله ﷺ كان يكره السواد إلا في ثلاث: الخف والعمامة والكساء.

وفي حديث معاوية بن عمار عن الصادق ﷺ قال: «سمعته وهو يقول: دخل رسول الله ﷺ الحرم يوم دخل مكة وعليه عمامة سوداء وعليه السلاح».

ويبقى التعارض قائماً بين الطائفة الأولى الناهية عن لبس السواد وبين الثانية - فيما عدا المستثنيات -، فكيف يمكن حل هذه المعارضة؟

سلك علماؤنا في ذلك طرقا متعددة:

■ منها حمل ما دل على الجواز على التقية حيث إن الدولة الغالبة هي دولة بني العباس وكان شعارها السواد حتى سُموا بـ(المسودة) في التاريخ ولما أظهر المأمون أنه يريد تولية الإمام الرضا ﷺ لعهده فقد قام بتغيير ما كان موجودا من شعار العباسيين (السواد)[1] إلى الخضرة التي يفترض أنها شعار

وهو لم يوثق، ومحمد بن المفضل: مشترك بين اثنين: ابن قيس الأشعري وهو ثقة، وابن عمر ولم يوثق، ويحتمل أن يكون الصحيح هو محمد بن الفضل الذي هو ابن بنت داود الرقي، وهو يروي عن جده لأمه، ولكنه أيضاً لا توثيق له.

(١) تاريخ الطبري ج٧، ص١٣٩ : (ذكر) أن عيسى بن محمد بن أبي خالد بينما هو فيما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يعلمه أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل على بن موسى بن جعفر بن محمد ولى عهده من بعده وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه وأنه سماه الرضا من آل محمد وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثياب الخضرة وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٢٠١ ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبنى هاشم بالبيعة له وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ويأخذ أهل بغداد جميعا بذلك فلما أتى عيسى الخبر دعا أهل بغداد إلى ذلك على أن يعجل لهم رزق شهر والباقي إذا أدركت الغلة فقال بعضهم نبايع ونلبس الخضرة وقال بعضهم لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل.. إلى آخر ما ذكر.

العلويين - على تأمل في ذلك -. ولهذه الجهة فقد رأى بعض علمائنا حمل روايات الجواز على التقية حيث أنها توافق الوضع السياسي القائم ولابد للأئمة من موافقته كما يشير إليه ما رواه الكليني عن حذيفة بن منصور قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول أبي جعفر الخليفة يدعوه فدعا بممطر[(١)] أحد وجهيه أسود والآخر أبيض فلبسه ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إني ألبسه وأنا أعلم أنه لباس أهل النار[(٢)]. (يعني الحكام من بني العباس) ولكنه في هذه الحالة مضطر إلى لبسه.

- بينما ذهب البعض إلى أن الروايات الناهية عن لبس الأسود ظاهرة في الحرمة، والروايات المجوزة نص في الجواز، فترفع اليد عن ظهور الأولى في الحرمة -وتحمل على الكراهة- بصراحة الثانية في الجواز والحل. ويكون لبس الأئمة لتلك الثياب السود لأجل بيان الجواز.

- وقسم آخر حمل الروايات الناهية على كونها بدافع التشبه بأعداء الله، أو الفراعنة وبني العباس، وإظهارا لشعارهم، وتقوية لأمرهم، فلو لبسها بهذا الداعي، وكانت تؤدي إلى هذه النتيجة فهو حرام وإلا فلا ! بل حتى لا كراهة مع لبسها لا بذلك الداعي، «فالتأمل في الأخبار وفي مساقها وما اشتمل عليه من تعليل المنع فيها مرة بأنه لباس فرعون وتارة بأنه لباس أهل النار كما في أكثرها وأخرى بما يقرب منه من أنه زي بني العباس ومن منع التلبس بلباس الأعداء بقول مطلق كالأخير منها الذي هو عند التحقيق كالمتضمن لهبوط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله متلبسا بزي عجيب أخبر بأنه زي بني العباس بمنزلة المبين لعنوان الحكم الكراهي وموضوعه المعلق عليه أن كراهة لبس السواد ليست من حيث كونه لبس سواد تعبدا. وإلا لما استثنى منه من نحو الخف

(١) ثوب أو كساء يلبس عن المطر.

(٢) الكافي: محمد بن يعقوب عن أبي علي الأشعري، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سنان، عن حذيفة بن منصور.

والعمامة والكساء بل إنما هي من حيث كونه زي أعداء الله سبحانه الذين اتخذوه من بين سائر الألوان ملابس لهم فيكون الممنوع عنه حينئذ التزي بزيهم والتشبه بهم الذي منه التلبس بما اتخذوه ملبسا لأنفسهم ومعلوم أن عنوان التشبه بهم ونحوه من التزي بزبهم لا يتأتى مع كون القصد من ذلك غيره»[١].

ولعل رواية دواد الرقي: «بيّض قلبك والبس ما شئت» شاهد على ما سبق حيث أن التشبه لما كان لا يتم إلا مع القصد، كان بياض القلب وسواده (ونية التشبه وعدمها) هو المؤثر لا مجرد اللبس.

وبالتالي يكون لبس الثياب السوداء من حيث الحكم الأولي لا مانع منه، وإنما بالحكم الثانوي يكون مكروها أو حراما، بناء على حرمة التشبه بأعداء الله. وقد يكون مستحبا وراجحا إذا انطبق عليه عنوان ثانوي كالتأسف والحزن لما أصاب أهل البيت ﷺ.

وعلى كل حال فحتى على القول بالكراهة، فقد استثني من كراهة لبس السواد، لبسه بداعي الحزن على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين ﷺ، فقد قال المحدث البحراني قدس سره: لا يبعد استثناء لبس السواد في مأتم الحسين ﷺ من هذه الأخبار لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الأحزان، ويؤيده ما رواه شيخنا المجلسي قدس سره عن البرقي في كتاب المحاسن أنه روى عن عمر بن زين العابدين ﷺ أنه قال: «لما قتل جدي الحسين المظلوم الشهيد لبس نساء بني هاشم في مأتمه ثياب السواد ولم يغيرنها في حر أو برد وكان الإمام زين العابدين ﷺ يصنع لهن الطعام في المأتم»[٢] انتهى.

---

(١) الحائري، السيد ميرزا جعفر الطباطبائي، إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد.

(٢) البحراني، الحدائق الناضرة، ج٧، ص١١٨.

ولا شك أنه لو كان مرجوحاً ومكروهاً للفت أنظارهن إليه، وخصوصاً مع وجود العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين العالمة غير المعلمة.

وبناء على هذا فلو قام الإنسان بلبس السواد بعنوان الحزن على أبي عبد الله ﷺ فإنه يشمله ما دل على الترغيب في إحياء أمرهم، وإظهار شعائرهم. ولهذا أفتى بعض علمائنا بالاستحباب في ذلك.

س: سؤال: ما مدى صحة الرواية القائلة بأن هنداً زوجة يزيد كانت خادمة في بيت أمير المؤمنين ﷺ وأنها قد التقت بها زينب فيما بعد في مجلس يزيد حيث صارت زوجته، فأظهرت تألمها لما أصابهم وخرجت على يزيد في مجلسه حاسرة الرأس؟

الجواب: ما رأيته من النصوص حول هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز هو التالي:

- ما ذكره الطبري في تاريخه[1]: «لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق وقال لهم مروان بن الحكم كيف صنعتم قالوا ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا فوثب مروان فانصرف. وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم فأعادوا عليه الكلام ! فقال: حُجبتم عن محمد يوم القيامة لن أجامعكم على أمر أبدا !ثم قام وانصرف.

ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث قال فسمعت الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت وقالت يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟

قال: نعم فأعولي عليه وحِدّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش عجل

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٥٥. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٦٢، ص٨٤.

عليه ابن زياد فقتله قتله الله ! قال ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب وهو ينكث به في ثغره ثم قال إن هذا وأنا كما قال الحصين بن الحمام المري:

يفلقـن هاما مـن رجـال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

.. إلى آخر الخبر.

وفي هذا الخبر إشارة إلى احتجاجها على قتل الحسين عليه السلام وتبرير يزيد لها بأن الذي قتله هو عبيد الله بن زياد وأنه قد تعجل عليه، وإن لم ينسَ الشماتة ونكت[1] ثناياه بقضيب. لكن في النص المذكور أنها تقنعت بثوبها وخرجت.

■ والثاني ما نقله العلامة المجلسي قدس سره في البحار[2] فقال:

«قال صاحب المناقب: وذكر أبو مخنف وغيره أن يزيد لعنه الله أمر بأن يصلب الرأس على باب داره، وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره فلما دخلت النسوة دار يزيد، لم يبق من آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام وألقين ما عليهن من الثياب والحلي وأقمن المأتم عليه ثلاثة أيام، وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز امرأة يزيد وكانت قبل ذلك تحت الحسين عليه السلام حتى شقت الستر وهي حاسرة فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عام، فقالت: يا يزيد أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب على فناء بابي؟ فوثب إليها يزيد فغطاها، وقال: نعم فأعولي عليه يا هند وأبكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش عجل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله، قتله الله».. إلى آخر الخبر.

وفي هذا النص يلاحظ زيادة:

---

(١) النكت: ضرب الأرض بالقضيب حتى يؤثر فيها. والنكث -بالثاء- النقض.

(٢) ج٤٥، ص١٤٢.

- أن نساء الأمويين قد شاركن في الحزن والبكاء وفي إقامة المأتم.
- أن هنداً كانت زوجة الحسين عليه السلام قبل ذلك فطلقها.
- وأنها شقت الستر وهي حاسرة ووثبت إلى يزيد وهو في مجلس عام. وأنه غطاها.

والثالث: ما جاء في كتاب (نفس المهموم)[1] للمحدث القمي قدس سره نقلا عن كامل الشيخ البهائي[2] (ت ١٠٣١هـ)، ونصه: «فلما دخلت النسوة استقبلتهن نساء آل أبي سفيان وقبلن أيدي بنات رسول الله وأرجلهن ونحن وبكين وأقمن المآتم ثلاثة أيام، وحسرت هند زوجة يزيد رأسها وشقت الثياب وهتكت الستر وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس خاص وقالت: يا يزيد أنت أمرت برأس الحسين أن يشال على الرمح عند باب الدار وكان يزيد في ذلك الوقت جالساً وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت والجواهر النفيسة فلما رأى زوجته على تلك الحالة وثب إليها فغطاها، وقال: يا هند فأعولي وابكي على ابن بنت رسول الله».

ثم نقل المحدث القمي عن جلاء العيون للسيد عبد الله الشبر قدس سره: رواية أخرى فيها: إن هند بنت عبد الله بن عامر كانت تحت الحسين عليه السلام فطلقها وتزوجت يزيد.. إلى آخر ما نقله من دخولها عليه في مجلس عام. فقام وغطاها..

وفي الخبر الأول: أضيف فيه صور من التعاطف من قبل نساء الأمويين مع نساء أهل البيت إلى حد أنهن (قبلن أيديهن وأرجلهن)، وفي الخبر الثاني تأكيد أن هنداً كانت زوجة الحسين عليه السلام وأنه طلقها وتزوجت يزيد.

وباقي الأخبار تدور حول المحاور المذكورة بزيادة أو نقيصة، والذي يظهر لي -والله العالم-:

---

(١) القمي، الشيخ عباس، نفس المهموم، ص٤١٦.

(٢) تقدمت ترجمته في القسم الثاني.

١. أن ما يذكره البعض من كونها خادمة في بيت أمير المؤمنين ﵇ لا دليل عليه، بل ربما كان الاعتبار يساعد على خلافه، فإن الخدمة عند نساء العرب كانت أشبه بالعار[١]، ولاسيما في العوائل المهمة اجتماعيا. ومن المعلوم أن عائلة هند كانت من العوائل الكبيرة في قريش.

ويضاف إلى ذلك أن والد هند، عبد الله بن عامر بن كريز، كان مبايناً لخط أهل البيت ﵇ وكان محسوبا على الخط المخالف له، فلم يؤثر عنه غير مواقف المخالفة لأمير المؤمنين ﵇ فقد حمل ما في بيت المال في البصرة التي ولاه عليها الخليفة عثمان، وجاء بذلك المال بعد مقتله إلى مكة حيث وافى فيها الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة وهم يريدون الشام فثنى رأيهم لكي يذهبوا للبصرة وكان من ذلك حرب الجمل، ومع نهايتها انسل إلى الشام ولازم معاوية[٢].

كما أنه كان على طليعة الجيش الذي بعثه معاوية لقتال الإمام الحسن ﵇ فأخذ عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن[٣]، ثم ولاه معاوية البصرة بعدما سيطر على الأمور، كما كان محل افتخار ومباهاة كما قال حين وفاته قبل معاوية بسنة.

وبالتالي فلا الظرف الاجتماعي يساعد على كون هند خادمة في بيت أمير المؤمنين ﵇ الذي كانت فيه فضة خادمة وبقيت إلى ما بعد شهادة أمير المؤمنين ولا الموقف العام والديني لعائلتها كان يساعد على ذلك. هذا على أنه لم ينقل ذلك

---

(١) ذكر الزركلي في الأعلام، ج٥: أنه كان سبب مقتل عمرو بن المنذر اللخمي ملك الحيرة، أنه قال: هل تعرفون احدا من العرب تأنف أمه أن تخدم أمي؟ فقالوا له: ليلى أم عمرو بن كلثوم، فاستزاره مع أمه، ونصب لهم خيمة ثم تنحى الخدم بعد الطعام، فقالت أم الملك لليلى أم عمرو: ناوليني الطبق-طبق الفاكهة-! فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها! فألحت عليها، فقالت: واذلاه يا لتغلب! فقام ابنها عمرو ونظر إلى سيف معلق فقتل به الملك عمرو بن هند، وخرج بأمه واشتعلت الحرب بين القبيلتين.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٨.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢١٦.

في مصدر معتبر.

٢. كذلك الحال في أنها كانت زوجة للحسين عليه السلام فهو أيضاً مما لا يقبل، فالمنقول في تاريخ الطبري أنها كانت تحت يزيد، ولم يذكر أنها كانت زوجة الحسين. والظاهر أن هناك اشتباها قد حصل.

ذلك أن نساء الحسين عليه السلام معروفات بأسمائهن[1]، ولم تذكر بينهن هند بنت عبد الله.

ثم إن التاريخ يذكر أن هند (أم كلثوم) بنت عبد الله هذه كان بصحبة يزيد عندما (أغزاه) أبوه الصائفة لتبييض صورته من أجل أن يصلح لولاية العهد، وكان ذلك في حوالي سنة ٥٠ هجرية، وقبل ذلك كانت في ظل أبيها الذي كان مخالفا لأهل البيت كما تقدم. فقد ذكر المؤرخون أنه قد أرسله على رأس جيش لغزو الروم، فأقام بدير مران (وهو دير مرتفع مشرف على واد جميل فيه مزارع الزعفران)، فقدم الجيش أمامه للغزو وأقام مع زوجته أم كلثوم عند ذلك الدير، ولما وصله الخبر أن الجيش قد أصيب ببلاء شديد، وبحمى، وجدري، تمثل قائلا:

أهون علي بما لاقت جموعهم ... بالفرقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً ... بدير مران عندي أم كلثوم[2]

ونحن نلفت النظر إلى قضية وقع فيها بعض المؤرخين -بقصد أو غير قصد- وهي محاولة تصوير المسألة بين الحسين عليه السلام وبين يزيد على أن الصراع بينهما كان قبَلِيا -فقط- بين بني هاشم وبني أمية، وتجريده من المبدئية. أو أن الصراع بينهما هو صراع شخصي، على زوجات كما زعموا في قضية أرينب وغيرها.. ولعل هذا المورد من تلك الموارد أيضا. فما ذكره العلامة المجلسي نقلا عن صاحب المناقب مما لا دليل عليه.

---

(١) راجع كتاب: الحياة الشخصية لأئمة أهل البيت، للمؤلف.
(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٦٥/ ٤٠٥.

٣. نحن لا نستبعد -حتى مع عدم وجود النص التاريخي- أن تحزن هذه المرأة وأن تنوح على الحسين عليه السلام، كيف وقد عظمت مصيبته حتى بكى عليه من لم يكن مسلما!! فإن قضية الحسين وطريقة مقتله كانت من التأثير بحيث لا يسمع بها إنسان سوي إلا وتأثر بها! فكيف ممن عرف منزلته ونسبه واتصاله برسول الله صلى الله عليه وآله؟

هذا إضافة إلى أن النصوص التاريخية المختلفة قد وردت بهذا المعنى كما يلاحظ المتأمل. وهذا هو مقتضى الحال، فإن النساء أكثر رقة، وأعظم عاطفة.

كما لا نستبعد أيضاً مشاركة نساء بني أمية في مأتم الحسين عليه السلام خصوصاً مع وجود أخبار تدل على ذلك.

وأما أمر دخولها حاسرة أم متقنعة، فإن النص المنقول عن الطبري يقول بأنها تقنعت بثوبها وخرجت عليه. بينما النص المنقول عن كامل البهائي يقول بأنها قد خرجت عليه حاسرة فقام إليها وغطاها.. والذي أظن -والله العالم- أن النص المنقول في الطبري قد تم تخفيفه من قبل الراوي أو الكاتب بحيث عاد خاليا من حرارة المصيبة وعنف الاحتجاج، وتم تبريده إلى أدنى الدرجات، مما يضعف الاعتماد عليه في مثل هذا.. فانظر إلى قولها: يا أمير المؤمنين!! وإلى قولها -بحسب النص- أرأس الحسين بن فاطمة؟ ثم ينتهي الحوار.. وهنا يأمرها يزيد بالحداد عليه والإعوال. وإلا فإنها قد اكتفت بمقدار تأكيد إمرته للمؤمنين والسؤال: عما إذا كان هذا رأس الحسين أو رأس رجل آخر!!

أعتقد والله العالم أنه تم تخفيف الخبر، وتبريده إلى أدنى الدرجات وسلبت منه الصور الساخنة والمؤثرة.. ولهذا يمكن الميل إلى ما ورد في الخبر الذي نقله العلامة المجلسي قدس سره من خروجها بتلك الصورة على يزيد.

س: سؤال: هناك بعض الكتاب من غير الشيعة يتكلمون عن أن ثورة الإمام الحسين

عليه السلام لم تنتج سوى المشاكل وأنه كان من الأفضل لو لم يقم الحسين بها؟ ولماذا لم يسمع نصائح الصحابة في ذلك؟

الجواب: مشكلة الفكر التقليدي غير الشيعي مع قضية الإمام الحسين عليه السلام مشكلة كبيرة، يلحظ المتأمل فيها حجم المعاناة في التوفيق بين العقائد المتخالفة..

ففي هذه العملية لا يمكن المقايسة بين ابن بنت رسول الله الذي ورد في حقه من الأحاديث ما ورد[١]، وبين يزيد بن معاوية الذي لم يكن يعرف غير الشراب، والذي وصفه الإمام الحسين عليه السلام نفسه - وهو العارف به -: «يزيد رجل فاسق فاجر شارب خمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق»[٢] صاحب: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل..

وفي نفس الوقت يرى الفكر التقليدي السني أن الخروج على الحاكم المسلم غير جائز[٣] مهما بلغ ظلمه وأذاه للناس ما لم يظهر الكفر البواح البين للناس. مع

---

(١) في المعجم الكبير للطبراني: «قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أحبهما (الحسن والحسين) فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني. وفيه أيضاً قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقال: من أحبني فليحب هذين (السبطين). وفي المستدرك للحاكم النيسابوري أن الرسول قال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط»

(٢) الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) في كتاب رياض الصالحين للنووي ذكر أحاديث نسبت إلى رسول الله، منها: ما عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها!» قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم» متفق عليه. وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» وعن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» متفق عليه. وعن أبي بكرة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من أهان السلطان أهانه الله» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح.

ملاحظة أنهم يرون أن الحاكم يمكن أن يكون إماما ولو بالتغلب والقهر ولو لم يكن على حق.. فكيف يمكن لهم والحال هذه أن يلائموا بين هذه الأمور؟

إنهم إما أن ينتقدوا عمل الحسين عليه السلام ونهضته، والحسين نور من نور رسول الله، وعمله من عمله. و «حسين مني وأنا من حسين»، وإما أن يقبلوا عمل الحسين ويرونه صوابا وفي ذلك نقض للنظرية التي تبنوها وهي القائلة بلزوم طاعة الحاكم و (ولي الأمر).

أو أنهم يقبحون عمل يزيد في مواجهته للحسين وقتله إياه وفي ذلك إدانة للخط الأموي ولا يستطيع بعضهم ذلك.

فكان أن وقع الفكر السني التقليدي في (حيص بيص)[1] من هذه المسألة.

١. فالبعض منهم كان صريحا في موقفه تجاه أهل البيت وتجاه الحسين عليه السلام بالذات فأبرزوا مكنوناته الأموية ولاء وفكراً، فقبحوا عمل الحسين ونهضته، وزعموا أنه قد قتل بسيف جده«[2]» وأن نهضته جرت على الأمة بلاء لم

وفي مقابل ذلك يروي الإمام الحسين عليه السلام عن جده قائلا: كما في الطبري بروايته عن أبي مخنف، وفي مصادر الشيعة أيضاً: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «من رأى سلطاناً جائرًا مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير».

وكان ينبغي أن تكون هذه النهضة الحسينية المقدسة دليلا على ضعف تلك الأحاديث إضافة إلى مخالفة كثير من الأحاديث الأخرى لها ومخالفتها لمفاهيم الإسلام وروح القرآن.

(١) أي في اختلاط من الأمر لا مخرج لهم منه. عن لسان العرب.

(٢) من أولئك القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم حيث ذكر ما معناه: أن الحسين قتل بشرع جده، كما نقل عنه ابن خلدون في المقدمة مغلطاً إياه ومنتقدا مقالته. ومن المعاصرين كما نقل عنه الشيخ القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين، الشيخ محمد الخضري في كتابه تاريخ الأمة الإسلامية فقد قال -وبئس ما قال-: إن الحسين أخطأ خطئاً عظيماً في خروجه

يرفع!! حيث أنه خرج على (إمام زمانه).. نعم يزيد هو إمام زمان الحسين !، ولعله إمام زمان بعضهم[(١)] إلى يومنا هذا!. فلا إمام لهم غيره.

٢. والبعض الآخر: أنكر رأساً قتل الحسين ﷺ من قبل يزيد بن معاوية، وألقى باللائمة تارة على شيعة العراق، وأهل الكوفة، وأخرى على عبيد الله بن زياد، وثالثة..

وإذا كان يزيد لم يقتل الحسين، وإنما أظهر التألم والأسى عندما قتل، ولم يكن يريد ذلك. فلا حاجة إلى إدانة يزيد، وإنما الترضّي عنه والترضّي عن الحسين معاً، وعلى عادة بعض البلاد تسجل القضية ضد مجهول، أو جماعة غير محددة، وتنتهي المشكلة.

وهذا ما يلحظه الناظر في كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، فإنه بلغ جهده في محاولة تزكية يزيد، ونفي قتله للحسين حتى أنه استعان برؤيا بعض القضاة حتى يبرئه من قتل الحسين. وقسم آخر حاول تخفيف الجريمة بالذب ما أمكن عن يزيد، وتكذيب ما نسب إليه مثلما فعل ابن تيمية الحراني عندما كذب أن يكون نساء الحسين أو أهل البيت قد تم سبيهن أو أنه قد أمر يزيد بإرسال رأس الحسين إليه فقال: في الموضع الأول: «إن نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد»، و «إن القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد ونكته بالقضيب قد كذبوا فيها»[(٢)] «ويزيد لم يسبِ للحسين حريماً بل أكرم أهل بيته»[(٣)] وفي موضع آخر

هذا الذي جر للأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا!! وشتان بين هذا النعيب وبين قول رسول الله ﷺ: «فلم يغير عليه بفعل ولا بقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله» ولكن «شنشنة أعرفها من أخزم».

(١) تحاول بعض التيارات المخالفة لأهل البيت ﷺ أن تعيد الاعتبار إلى كل من كان معادياً لهم، فقد صدرت عدة كتب عن (أمير المؤمنين يزيد بن معاوية)!!

(٢) ابن تيمية، رأس الحسين، ص٢٠٦.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة ج٢، ص٢٢٦.

قال: «لا سبى أهلَ البيت أحدٌ ولا سُبي منهن أحد»!!![1].

٣. قسم ثالث: قبّح فعل يزيد ورآه منكرا عظيما، يدل على فسقه، وأن الحسين ﷺ كان على حق وأنه لم يكن يجوز ليزيد ولا لأنصاره قتال الحسين «فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد» كما قاله ابن خلدون في المقدمة، وإن كان قد أخطأ في نسبة الخطأ الدنيوي للحسين، وزعم ذلك كما أنه ظل (يعافس) في إيجاد مبرر للصحابة الذين كانوا مع يزيد حيث قال: «والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد» لكنه رفض أن يكون يزيد مجتهداً في قتال الحسين.

ولعل كثيراً من علماء السنة ذهبوا إلى رفض فعل يزيد، حتى أكثرهم محافظة على التوجه الأموي، نظرا لما كان عليه يزيد من الانحراف الواضح عن الجادة

والعجيب هو ذلك المزج الذي صنعه ابن خلدون[2] بين ما لا يمتزج فهو يحافظ على أن الحاكم هو المسيطر الذي تخضع له البلاد وهذا يعطيه شرعية «ولذا كان عبد الملك إماماً شرعياً دون ابن الزبير مما يعني شرعية القوة والجبروت» وبين أن الحسين قد اجتهد في خروجه على يزيد ولم يكن مخطئا من الناحية الدينية، وإن أخطأ من الناحية الدنيوية!! وبين أن عددا من الصحابة في الشام كانوا مع يزيد ولم يكونوا أيضاً مخطئين في اجتهادهم، وبين أن يزيد كان فاسقاً وقتال البغاة إنما يكون مع الإمام العادل ولم يكن يزيد عادلا.. إلى آخر ما ذكره.

فمعنى صحة فعل الحسين من الناحية الدينية أن النظرية التي شيدت عند بعض هؤلاء من عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم ولزوم الصبر على ما يفعل، لا

(١) رأس الحسين، ص ٢٠٨. وللإطلاع على تهافت كلمات ابن تيمية، يمكن مراجعة الكتاب القيم للأستاذ صائب عبد الحميد: ابن تيمية حياته وعقائده.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج١ فصل ولاية العهد.

بد أن تكون باطلة.. وإلا كيف يجمع بين حرمة الخروج على الحاكم الظالم وبين صحة عمل الخارج كالحسين؟

س: سؤال: أين دفن رأس الحسين ﷺ بعدما أخذ من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام؟

الجواب: قد ذكر آية الله السيد محسن الأمين العاملي قدس سره في كتابه (لواعج الأشجان) مجموع ما قيل[1] في موضع دفن الرأس الشريف، ونحن ننقله، ونذكر ما هو المختار، فقد ذكر من الأقوال والوجوه ما يلي:

الأول: إنه عند أبيه أمير المؤمنين ﷺ بالنجف ذهب إليه بعض علماء الشيعة استناداً إلى أخبار وردت بذلك في الكافي والتهذيب وغيرهما من طرق الشيعة عن الأئمة ﷺ وفي بعضها أن الصادق ﷺ قال لولده إسماعيل: إنه لما حمل إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين ﷺ وهذا القول مختص بالشيعة.

أقول: إشارة السيد الأمين إلى عدد من الروايات:

منها مرفوعة ابن أسباط عن الصادق ﷺ: «إنك إذا أتيت الغري رأيت قبرين قبراً كبيراً وقبراً صغيراً، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين ﷺ، وأما الصغير فرأس الحسين ﷺ»، ولكن الخبر ضعيف بأكثر من جهة كما أنه يمكن توجيهه بأنه موضع الرأس الذي وضع فيه لا محل دفن الرأس، وهذا ما يشير إليه خبر المفضل بن عمر أنه «جاز الصادق ﷺ بالقائم المائل في طريق الغري فصلى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين ﷺ وضعوه هنا». وربما يستشهد له بخبر يونس بن ظبيان «أن الصادق ﷺ ركب وركبت معه حتى نزل عند الذكوات الحمر، وتوضأ ثم دنى إلى أكمة فصلى عندها وبكى، ثم مال إلى أكمة

(١) ذكرناها بغير الترتيب الذي ذُكر في الكتاب. ومع بعض الاختصار.

دونها ففعل مثل ذلك، ثم قال: الموضع الذي صليت عنده أولا موضع قبر أمير المؤمنين ﷺ والآخر موضع رأس الحسين ﷺ وأن ابن زياد لعنه الله لما بعث برأس الحسين بن علي ﷺ إلى الشام رد إلى الكوفة، فقال: أخرجوه منها لا يفتتن به أهلها، فصيره الله تعالى عند أمير المؤمنين ﷺ (فدفن)، فالرأس مع الجسد، والجسد مع الرأس». والإشكال عليه أنه مع ضعف سنده بيونس[1]، هو مضطرب المتن ظاهراً، فكيف يكون في موضع قبر أمير المؤمنين ويكون أيضاً الرأس مع الجسد والجسد مع الرأس، مع أنه من المسلم به أن جسد الحسين ﷺ في كربلاء؟ واحتمال أن يقصد كون الرأس مع جسد أمير المؤمنين بعيد جداً، مع مخالفته لما سبق!

نعم حمله في الجواهر[2] على أنه دفن هناك ثم نقل بعدها إلى كربلاء، والحديث لا يفي بهذا المعنى!

كما يمكن الاستشهاد له بخبر النهدي[3] قال: «دخلت على أبي عبد الله ﷺ فذكر حديثاً حدثناه، قال: مضينا معه يعني أبا عبد الله ﷺ حتى انتهينا إلى الغري، قال: فأتى موضعا فصلى ثم قال لإسماعيل: قم فصل عند رأس أبيك الحسين ﷺ، قلت: أليس قد ذهب برأسه إلى الشام؟ قال: بلى ولكن فلان مولانا سرقه فجاء به فدفنه هاهنا.

والخبر ضعيف سنداً، وإن كان صريح الدلالة، لكن في التعليل أن (فلاناً سرقه فجاء به فدفنه هنا) في النفس منه شيء!

وعلى كل حال فإن باقي الأخبار تكون مبينة للمقصود منه كما في خبر مبارك الخباز قال: «قال لي أبو عبد الله ﷺ: أسرجوا البغل والحمار في وقت ما قدم وهو

(١) قال النجاشي عنه: إنه ضعيف جداً.

(٢) الجواهري، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام، ج ٢٠.

(٣) وعنه، عن محمد بن علي، عن عمه، عن أحمد بن أحمد بن حامد بن زهير، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن إسحاق الأرحبي، عن عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي، عن أبيه.

في الحيرة، قال: فركب وركبت حتى دخل الجرف، ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا آخر فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا آخر فنزل فصلى ركعتين ثم ركب ورجع، فقلت له: جعلت فداك ما الأولتين والثانيتين والثالثتين (هكذا)؟ قال: الركعتين الأولتين موضع قبر أمير المؤمنين ﷺ، والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين ﷺ، والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم ﷺ فإنه ظاهر في أنه موضع الرأس، لا محل دفنه، وخصوصا مع قرينة موضع منبر القائم. ومثله خبر أبان عن الموضعين والصلاة فيهما».

وقد ذكر السيد الأمين قولاً آخر يرجع إلى هذا القول، وهو ما ذكره في كتابه بعنوان: «الثالث: أنه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين ﷺ رواه في الكافي بسنده عن الصادق ﷺ « والكلام فيه هو الكلام في الأول حيث مرجعه إليه.

الثاني: إنه دفن بالمدينة المنورة عند قبر أمه فاطمة ﷺ وأن يزيد أرسله إلى عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة فدفن عند أمه الزهراء ﷺ وأن مروان بن الحكم كان يومئذ بالمدينة فأخذه وتركه بين يديه وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

والله لكأني انظر إلى أيام عثمان. حكاه سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص عن ابن سعد في الطبقات

أقول: لا يظهر لهذا القول أثر في روايات أهل البيت ﷺ بحسب التتبع المحدود. هذا إضافة إلى أن موضع قبر الزهراء ﷺ كان ولا زال مجهولاً، فلا يعلم على نحو الدقة أين قبرها الشريف؟ يضاف إلى ذلك مما يوهن الأمر أنه قد ذكر كون مروان بن الحكم بالمدينة وهو خلاف ما ذكره المؤرخون من كونه حينئذ في الشام وأنه دخل على يزيد، وسأل الجنود الذين أتوا بالرؤوس عن كيفية القتال[1].. فكيف يكون في

---

(١) في تاريخ الطبري ج٤، ص٣٥٥. قال هشام عن أبي مخنف قال: حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله

الشام ويكون في المدينة والظاهر من سياق الكلام المذكور أنه (كان..) بالمدينة لا أنه قدم إليها بعد تلك الحادثة مثلاً.

الثالث: أنه بدمشق قال سبط بن الجوزي حكى ابن أبي الدنيا قال وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكر البلاذري في تاريخه قال هو بدمشق في دار الأمارة وكذا ذكر الواقدي أيضاً انتهى. ويُروى أن سليمان بن عبد الملك قال وجدت رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة أثواب من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته. وفي رواية: أنه مكث في خزائن بني أمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك فطلب فجيء به وهو عظم ابيض فجعله في سفط وطيبه وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلى عليه فلما ولي عمر بن عبد العزيز سأل عن موضعه فنبشه وأخذه والله أعلم ما صنع به.

وقال بعضهم: الظاهر من دينه أنه بعث به إلى كربلا فدفنه مع الجسد الشريف. وروى ابن نما عن منصور بن جمهور أنه دخل خزانة يزيد لما فتحت فوجد بها جونة حمراء فقال لغلامه سليم: احتفظ بهذه الجونة فإنها كنز من كنوز بني أمية فلما فتحها إذ فيها رأس الحسين عليه السلام وهو مخضوب بالسواد فلفّه في ثوب ودفنه عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق انتهى.

أقول: وكأنه هو الموضع المعروف الآن بمسجد أو مقام أو مشهد رأس الحسين عليه السلام بجانب المسجد الأموي بدمشق وهو مشهد مشيد معظم.. انتهى كلام السيد الأمين.

وغاية ما يثبته هذا النقل -لو تم- هو أنه بقي في دمشق مدة من الزمان ثم أعيد

الثمالي عن القاسم بن بخيت قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم كيف صنعتم قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا فوثب مروان فانصرف.

إلى قبره أيام عمر بن عبد العزيز، أو غيره. على أنه لا يتم. نعم المعروف أنه وضع في الجامع الأموي في الشام أيام وصلت نساء الحسين هناك، وأنه صار على أثر ذلك مكان يقصد، وشيد فيه مشهد باعتبار أنه محل وضع الرأس. وأيضا يرد عليه ما على سابقه من أنه لا شاهد عليه من روايات أهل البيت ﷺ الذين هم أعرف بموضع دفن الرأس، بل الشاهد على خلافه كما سيأتي.

ثم إنه قدس سره قد نقل قولا آخر عن ابن الجوزي، وهو أن الرأس الشريف قد دفن مدينة الرقة على الفرات، وهذا القول من البعد إلى درجة أنه لم يكن ينبغي ذكره، ويتلوه في الضعف القول بأنه كان في عسقلان وأنه قد نقل فيما بعد إلى مصر.

الرابع: أنه مدفون مع جسده الشريف، وفي البحار أنه المشهور بين علمائنا الإمامية رده علي بن الحسين ﷺ انتهى. وفي اللهوف أنه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف وكان عمل الطائفة على هذا المعني المشار إليه انتهى. واعتمده هو أيضاً في كتاب الإقبال «وقال ابن نما: الذي عليه المعول من الأقوال انه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه» انتهى. وعن المرتضى في بعض مسائله أنه رد إلى بدنه بكربلاء من الشام وقال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص): اختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها أنه -يعني يزيد- رده إلى المدينة مع السبايا ثم رد إلى الجسد بكربلا فدفن معه قاله هشام وغيره انتهى. فهذا القول مشترك بين الشيعة وأهل السنة. انتهى كلامه رفع في الخلد مقامه.

أقول: هذا القول هو المتعين الذي لا مناص من القبول به ويمكن الاستدلال لذلك:

١. من الناحية التاريخية: فإن من المعروف أن يزيد بعدما تحقق له ما أراد من قتل الحسين ﷺ وسبي نسائه إلى الشام، وانقلاب الأمر عليه، أراد أن ينهي القضية بحيث لا تتصاعد، فسمح للنساء بإقامة مأتم الحزن، ثم استدعى

الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أيام، وخيره بين البقاء معهم أو إن أرادوا الذهاب إلى المدينة بعث معهم من يوصلهم، وأظهر له أنه يريد قضاء حوائجه، فطلب الإمام أموراً كان منها رأس أبيه عليه السلام. ومن الطبيعي ويزيد في هذه الحال يريد إنهاء القضية أن يستجيب لطلب الإمام رأس أبيه.

٢. روايات أهل البيت عليهم السلام: ففي رواية نقلها الشيخ الصدوق قدس سره في الأمالي، تصريح برد رأس الحسين إلى كربلاء. فقد روى بطريق معتبر إلى لوط بن يحيى الأزدي عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي عليه السلام قالت: ثم إن يزيد -لعنه الله- أمر بنساء الحسين عليه السلام، فحبسن مع علي بن الحسين عليه السلام في محبس لا يكنهم من حرّ ولا قرّ، حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع من بيت المقدس حجر على وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء، كأنها الملاحف المعصفرة إلى أن خرج علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

والروايات التي تتحدث عن تربة قبر الحسين، مشعرة بذلك ففي بعضها، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عند رأس الحسين عليه السلام لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام»[1] (أي الموت).

كما تشير إليه الروايات القائلة باستحباب الصلاة عند رأس الحسين عليه السلام كما في ورواية ابن ناجية: «صل عند رأس قبر الحسين عليه السلام». و رواية الثمالي: «ثم تدور من خلفه إلى عند رأس الحسين عليه السلام وصل عند رأسه ركعتين تقرأ في الأولى -إلى أن قال-: وإن شئت صليت خلف القبر وعند رأسه أفضل». وفي رواية صفوان: «ثم قم فصل ركعتين عند الرأس».

(١) الكافي: محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي (الفضال أو الوشاء وكلاهما ثقة) عن يونس بن الربيع: وهو لم يوثق.

وروايات الاستخارة عند رأس الحسين عليه السلام كما في الوسائل، إلا أن تحمل كل هذه الروايات والأفعال على موضع الرأس وجهته وإن لم يكن موجوداً. وهو خلاف الظاهر.

كما أن خبر يونس بن ظبيان، لو أغضينا عن السند، فيه ما يدل على أنه (رد من الشام إلى الكوفة) وفيه أيضاً أن (الرأس مع الجسد والجسد مع الرأس)، وأظن والله العالم أن هناك سقطاً بين هاتين الجملتين، وهذا هو الذي يجعلهما متهافتتين، وإلاّ لو تصورنا وجود جملة ساقطة فيها معنى أنه ذهب به إلى كربلاء بعدها فإن جملة (فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس) التي هي بمثابة (أم الحديث، والنقطة الجوهرية فيه) تكون مستقيمة وواضحة. مع ملاحظة أنه لا يوجد في أصل الحديث في كامل الزيارة كلمة (فدفن).

٣. أقوال علمائنا: اتفقت كلمة علماء أهل البيت عليهم السلام على أن رأس الحسين قد ألحق بالجسد أخيراً.

فقد قال الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره في رسائله: أن جميع الرواة والمصنفين قد رووا أن رأس الحسين عليه السلام قد حمل إلى الشام، كما أنهم رووا أنه أعيد بعد حمله إلى هناك ودفن مع الجسد بالطف[1].

ونقل عن ابن شهرآشوب في المناقب أنه المشهور بين الشيعة.

فقد قال ابن نما[2] والذي عليه المعول من الأقوال أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه.

وقال السيد (أي بن طاووس)[3]: «فأما رأس الحسين فروي أنه أعيد فدفن

(١) رسائل الشريف المرتضى ٣/ ١٣٠.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (٥٨٩/ ٦٦٤هـ) له العديد من الكتب منها (الأمان

بكربلاء مع جسده الشريف ﷺ وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه، ورويت آثار مختلفة كثيرة غير ما ذكرناه تركنا وضعها لئلا ينفسخ ما شرطناه من اختصار الكتاب.

وقال العلامة المجلسي بعد أن تعرض إلى بعض الأقوال: «أقول: هذه أقوال المخالفين في ذلك، والمشهور بين علمائنا الإمامية أنه دفن رأسه مع جسده، رده علي بن الحسين ﷺ».

هذا مع ملاحظة أنه جعل هذا القول هو المشهور بين العلماء.

ورأى المحدث الحر العاملي قدس سره[1] أنه لا منافاة بين القول باستحباب زيارة موضع الرأس والصلاة ركعتين عند قبر أمير المؤمنين وبين القول بأن الرأس قد دفن في كربلاء، قال: قد روى السيد رضي الدين علي بن طاووس في كتاب (الملهوف) وغيره أن رأس الحسين ﷺ أعيد فدفن مع بدنه بكربلاء، وذكر أن عمل العصابة على ذلك، ولا منافاة بينهما[2].

ونفس الأمر صار إليه في الجواهر، الجواهري قدس سره في جمعه بين الروايات المشيرة إلى أن بالنجف موضع الرأس وأنه في كربلاء، قال كما تقدم ذكره

من أخطار الأسفار والأزمان) أربعة عشر بابا في آداب السفر، و(سعد السعود) و(زوائد الفوائد) و(فرج المهموم) و(الطرائف) و(جمال الأسبوع) و (الملهوف على قتلى الطفوف).

(١) محمد بن الحسن بن علي العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤هـ)، الملقب بالحر: فقيه إمامي، مؤرخ ولد في قرية مشغر (من جبل عامل بلبنان) وانتقل إلى (جبع) ومنها إلى العراق، وانتهى إلى طوس (بخراسان) فأقام وتوفي فيها، له تصانيف، منها (أمل الآمل) في ذكر علماء جبل عامل، القسم الأول منه، ولا يزال الثاني وسماه (تذكرة المتبحرين في ترجمة سائر العلماء المتأخرين) مخطوطا، و(الجواهر السنية في الأحاديث القدسية) و(تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ويسمى (الوسائل) اختصاراً، و(هداية الأمة إلى أحكام الأئمة) ثلاثة أجزاء، و(الفصول المهمة في أصول الأئمة) و (رسائل) في أبحاث مختلفة. وكان كثير النظم، له (ديوان).

(٢) الوسائل ١٤/ ٤٠١.

بأنه يحتمل بقاؤه فترة هناك ثم دفنه في كربلاء..

وهذا وإن كان يختلف في التفصيل مع القول المختار من حيث أن مفاد ما هو مختار هو رجوع السجاد برأس أبيه ودفنه معه، بينما هذا التوجيه لصاحب الجواهر يقول بأنه قد دفن هنا مدة من الزمان، إلا أنه من حيث النتيجة وحاصلها أنه مدفون مع الجسد متوافق معه.

س: سؤال: ماذا كان مرض زين العابدين ﷺ يوم عاشوراء؟ ولماذا عرف بالعليل؟

الجواب: في البداية لا بد أن نلفت النظر إلى نقطة أساسية ترتبط بمرض الإمام السجاد ﷺ ولعل جانباً منها قد تقدم في سابق الأجوبة، وهي أن مرضه كان في فترة مؤقتة هي يوم عاشوراء وما أعقبه من الأيام التي لا نعلم مقدارها، نظراً لاستمرار حالة المعاناة على أثر السفر والسهر، والإيذاء الذي تعرض له خلال رحلة سبي النساء من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام ثم العودة وإن كانت العودة أهون.

ولا تمتد قطعاً إلى السنوات المتأخرة، خلافاً للشائع في بعض الأذهان التي ما أن يذكر الإمام ﷺ حتى تتبادر صورة المريض الذي لا يستطيع فعل شيء.

كما نعتقد أن مرض الإمام ﷺ في تلك الفترة كان ضمن الحكمة الإلهية لجهة أن يستمر النسل الحسيني، والامتداد العلوي، والإمامة المحمدية بحيث يكون في الأمة من هو قادر على حمل مواريث النبوة والإمامة، ويكون فاعلاً في تغيير مسيرتها، والحفاظ فيها على شريعة الرسول ﷺ.

وإلاّ لو كان صحيح البدن إلى مقتل الحسين ﷺ لما وسعه التأخر عن نصرته والمبادرة إلى فدائه بنفسه، لما ثبت من لزوم دفع الموت عن النبي والإمام، فإنه «لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلاّ أكبه الله على منخريه في نار جهنم»[1]. إضافة

---

(١) قاله الإمام الحسين ﷺ لعمرو بن قيس المشرقي داعياً إياه إلى نصرته كما في رجال الكشي في حديث

إلى أنه مقتضى بر الولد بأبيه حتى في حالة عدم العصمة والإمامة.

أما ما هي كيفية مرض الإمام السجاد ﷺ، فما وجدته من النصوص هو التالي:

- أقدم نص رأيته هو ما ذكر في كتاب للزبير الأسدي[١] (تسمية من قتل مع الحسين ﷺ) فقد قال:.. «وكان علي بن الحسين ﷺ عليلا، وارتث[٢] يومئذ، وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه، واخذ مع النساء هو، ومحمد بن عمرو بن الحسن، والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.
- ما ذكره الشيخ الطبرسي[٣] في كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى)[٤] في حديثه عن رحيل الركب الحسيني إلى الكوفة فقال:.. «ثم نادى في الناس بالرحيل، وتوجه نحو الكوفة ومعه بنات الحسين ﷺ وأخواته ومن كان معه من النساء والصبيان، وعلي بن الحسين ﷺ فيهم وهو مريض بالذرب[٥] وقد أشفى».

إلى أن قال:... فقال الحسين: «جئتما لنصرتي فقلت له: أنا رجل كبير السن، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن تضيع أمانتي، فقال له ابن عمي مثل ذلك، فقال لي: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تريا لي سوادا، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجب واعيتنا، كان حقا على الله أن يكبه على منخريه في نار جهنم».

(١) الفضيل بن زبير بن عمرو بن درهم (الرسان) الأسدي من أصحاب الإمام الباقر والصادق ﷺ ومن الذين اختصوا بزيد بن علي الشهيد، قيل إنه زيدي المذهب، وقد ورد اسمه في أسانيد كامل الزيارات وتفسير علي بن إبراهيم القمي وهو يروي ما ذكر في الكتاب عن زيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن أم الطويل وعبد الله بن شريك العامري. وقد طبع النص ضمن مجلة تراثنا التي تصدرها مؤسسة آل البيت، في عددها رقم ٢ للسنة الأولى بتحقيق العلامة السيد محمد رضا الحسيني.

(٢) ارتث: حمل من المعركة جريحا وبه رمق.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ١/ ٤٧٠.

(٥) الذرب: الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، ويفسد فيها ولا تمسكه. (لسان العرب). أشفى: قرب من الموت. (الصحاح).

■ - نقل العلامة المجلسي في البحار[١] عن كتاب نوادر ابن أسباط عن بعض أصحابه رواه قال: «إن أبا جعفر (الباقر) عليه السلام قال: كان أبي مبطوناً[٢] يوم قتل أبوه صلوات الله عليهما وكان في الخيمة وكنت أرى موالينا كيف يختلفون معه، يتبعونه بالماء».

والنص الأول الذي ذكر في كتاب الفضيل بن الزبير يفيد بظاهره أمرين:

■ أن الإمام السجاد قد شارك في بعض القتال.

■ وأنه كان قد أُرتث أي جُرح.

وقد أصر السيد الجلالي في كتابه (جهاد الإمام السجاد عليه السلام) على هذا واستفاد من النص المذكور ما ينفعه في الاستدلال على جهاد الإمام وشجاعته وأنه قد شارك في المعركة أو مقدماتها، وقد أصيب بجراح على أثر ذلك.

بينما النصان التاليان لذلك لا يتعرضان لأمر القتال ولا الجراح، وإنما يثبتان كونه عليلاً إلى درجة أنه قد أشفى على الموت، وأنه كان بحسب النص مريضاً بالذرب (وهو الذي لا يبرأ من الأمراض كما عن بعض أهل اللغة وكما في الحاشية مرض يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ولا تمسكه) وهو ما يسبب الإعياء وعدم القدرة على ممارسة النشاطات الاعتيادية للمصاب به. وهو شبيه لما يسمى اليوم بالإسهال الشديد، الذي قد ينتهي في بعض الحالات إلى التجفاف والوفاة سواء في الصغار أو الكبار.

وأمر مشاركة الإمام السجاد في القتال، لا شاهد عليه في روايات أهل البيت أو نقل أهل التاريخ، إلا أن يكون بمعنى محاولة النهوض والخروج للقتال على أثر استغاثة والده الحسين واستنصاره.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/ ٩١.

(٢) المبطون هو الذي يشتكي من بطنه.

بل ربما كان ما جرى على الإمام السجاد ﷺ، مما ذكره المؤرخون حين الهجوم على المخيم بعد شهادة الإمام الحسين، وأنه كان منبسطا[١] على فراش له وهو مريض يشير إلى أنه حتى في تلك الحال لم يكن قادرا على النهوض والدفاع عن نفسه، مما يبعّد أمر مشاركته في القتال. والله العالم.

ولم يكد الإمام السجاد ﷺ يقوم من علته تلك حتى تعرض لآلام السفر العنيف[٢] والإيذاء البدني والنفسي مما أثر كثيرا على صحته، فقد نقل من رآه في الكوفة أنه كان عليلا[٣]، وكان يتكلم بصوت ضئيل.

س: سؤال: ما هو الحد الذي نستطيع المسير فيه مع ما يذكر من قضايا غيبية في كربلاء وما بعدها، مثل تكلم رأس الحسين وهو على الرمح! أو أن السماء قد أمطرت دما حزنا على الإمام الحسين! وغيرها؟ وما هو الموقف منها؟

الجواب: حيث أن هذا الموضوع بما يمثله من رؤية له جانب سيال، ولا يقتصر على الموضوع الغيبي في كربلاء، وإنما يشمل ما حصل في غيرها أيضا، فسوف نتعرض إليه بنحو من التفصيل ضمن النقاط التالية:

الأولى: أن الكون من حولنا يسير ضمن خريطة الطاعة الإلهية، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾ ولذا فمن الطبيعي أن يتناغم ما في الكون من أشياء مع هذا الإنسان المؤمن، في تلك الحركة العبادية المؤمنة، وإن كان الإنسان لا يفقه تسبيح

---

(١) الطبري ٤/ ٣٤٧.

(٢) يمكن تقريب ذلك بما ذكروه في أحوال أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) عندما أشخص من الشام إلى المدينة على بعير غير موطأ، فما وصل إلى المدينة حتى انتثر لحم فخذه!

(٣) جاء في بلاغات النساء لابن طيفور، ص ٢٣ ورأيت علي بن الحسين ﷺ وهو يقول بصوت ضئيل وقد نحل من المرض يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم ثم ذكر الحديث وهو على لفظ هارون بن مسلم واخبر هارون بن مسلم بن سعدان قال: أخبرنا يحيى ابن حماد البصري عن يحيى بن الحجاج عن جعفر بن محمد عن آبائه ﷺ قال: لما ادخل بالنسوة من كربلاء إلى الكوفة كان علي بن الحسين ﷺ ضئيلاً قد نهكته العلة.

وعبادة ما حوله. قد لا نعرف كيفية التسبيح، وبكاء الأرض والسماء، وترحيبهما وغير ذلك، وقد أخبر الباري سبحانه فقال: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وعدم المعرفة والفقه شيء وعدم وجود التسبيح وتلك الأفعال شيء آخر.

ومعرفة هذا الجانب يفسر لنا الكثير مما ورد في أن الكائنات تستغفر لطالب العلم[1] وأن المؤمن إذا مات بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان عمله يصعد إليها[2]، وأن الأرض تستقبل الميت المؤمن استقبالا حسنا[3]، بينما تعنف بالكافر وتؤذيه.. وكذلك ما ورد في تفسير الآية المباركة ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[4] مع ملاحظة النقطة المتقدمة لن تكون حاجة ماسة للحمل على المجاز والكناية. ومجرد عدم معرفة الإنسان بكيفية صدور تلك الأمور منها، أو عدم تعقله لها، لا ينفي وجودها، فكم من الأشياء حولنا أصبحت اليوم حقائق تلمس وكانت قبل هذا أمورا لا تصدق ولا تُتعقل!

وإن حمل كل هذه الآيات والروايات -وغيرها كثير جداً- على المجاز والكناية

---

(١) في صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج عن الصادق عليه السلام: «طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار والطير في جو السماء».

(٢) كما في صحيحة علي بن رئاب عن الإمام الكاظم عليه السلام.

(٣) في الرواية التي رواها في الكافي: «إن المؤمن إذا اخرج من بيته شيعته الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه حتى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، أما والله لقد كنت أحب أن يمشي علي مثلك لترين ما أصنع بك فتوسع له مد بصره.. إلى أن قال: وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيعه إلى قبره يلعنونه حتى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليَّ مثلك لا جرم لترين ما أصنع بك اليوم فتضيق عليه حتى تلتقي جوانحه».

(٤) سورة الدخان آية٢٩. والمفسرون في تفسير الآية على ثلاثة أقوال: منهم من حمل الآية على ظاهرها وأن السماء والأرض تبكي على المؤمن ولا تبكي على الكافر، ومنهم من جعل التعبير في الآية كناية عن هوان أمرهم وأنهم لحقارتهم لا يُبكى عليهم، وبعضهم قدر مضافا محذوفا هو أهل السماوات والأرض.. ثم نقل أكثر المفسرين ما ورد في بكاء السماء والأرض على الحسين عليه السلام، وفي ذلك رواية زرارة.

وإرادة غير المعنى الحقيقي، لا لشيء إلا لأننا لا نتعقل ولا نعرف كيفية تلك الأفعال، هو خلاف الإنصاف واحتكام إلى الاعتساف.

الثانية: أن هناك حدين متطرفين[1] في هذه القضايا ينبغي أن ينفصل الإنسان من تأثير كل منهما عليه، يميل الأول منهما إلى جعل قضايا الأنبياء والأوصياء سلسلة مترابطة من القضايا الغيبية اللامفهومة، ويتصور بذلك أنه يعظم قدرهم ويعلي من شأنهم!! وتجد عند هؤلاء الناس، إغراقا في الجانب الغيبي، وإذا أراد بعضهم أن يشرح لك معظما قدر الأنبياء والأوصياء اكتفى بأنه لا يعرف ولا أحد يعرف ولا يستطيع أحد أن يعرف.. الخ. وبالتالي يجعلون حياة النبي والوصي في الغيب هي الأصل، وفي الحضور هي الاستثناء والنادر!! وهذا توجه غير صحيح.

ويميل قسم في مقابلهم إلى نفي أي علاقة للأنبياء والأوصياء بعالم الغيب ويصورونهم بصورة عادية في كل شؤونهم وقضاياهم، فهم لا يختلفون عنا في شيء ويردون أي نقل أو حادثة تتحدث عن جلالة شأنهم، أو ارتباطهم بالعالم الأعلى، بحيث يتمكنون -بتمكين الله سبحانه لهم- من فعل الخوارق مع الحاجة الدينية لذلك، وتجري على أيديهم الكرامات.. فيرون كل ذلك غير صحيح.. وهذا كسابقه في عدم الصحة.

والذي يجمع بين الأمرين هو ما ذكرته الآيات البينات في تشخيص أمر الرسول ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ وهذان الجانبان: البشري أفقياً مع المجتمع، والإلهي عموديا في الارتباط بالخالق، وما تحدث عنه القرآن ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[2] وبهذا يمكن تفسير صدور المعجزات من الأنبياء والكرامات من

---

(١) للتفصيل يراجع كتاب: الحياة الشخصية عند أهل البيت ﷺ، للمؤلف.

(٢) سورة الجن آية٢٦/ ٢٧: وقد ذكروا أن الجمع بين هذه الآية ونظائرها وبين ما دل من الآيات على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، بأنحاء مختلفة منها أن علم الغيب بالذات وبالاستقلال هو من اختصاص الخالق،

الأولياء، فإنه من الثابت بحيث لا ينكره غير المكابر صدور المعجزات التكوينية من الأنبياء والكرامات من الأولياء وقد تحدث عنها القرآن.

الثالثة: إن إثبات حصول الأمور الغيبية لا يختلف عن إثبات الأمور العادية، وليس له طريقة خاصة يفرضها موضوع (الغيبية). فإذا كان إثبات الوقائع العادية يكفي فيه خبر الثقة -على القول به في الموضوعات وإن لم يفد الاطمئنان- أو البينة، فإنه أيضاً يأتي في الوقائع التي ترتبط بالمسألة الغيبية كنقل المعاجز والكرامات وإن مجرد تعجب الناس أو استغرابهم من حدوث مثل هذه الأمور أو إنكار بعضهم لها لا يؤدي إلى اصطناع طريقة خاصة في الإثبات. نعم لو كانت المسألة من الأمور الاعتقادية التي يطلب فيها اليقين، فإنها تحتاج إلى مثل التواتر مما يفيد اليقين ولا يكتفى فيها بخبر الثقة أو البينة.

ومع ذلك فإن أخبار المعاجز والكرامات -لا سيما بعضها- تدخل فيما هو مفيد للاطمئنان، وذلك لكثرة الناقلين لها، وكثرة الاهتمام بها لما تحتوي عليه من معان دينية وعقيدية. وعلى هذا الأساس تم تناقل أخبار الكرامات والمعاجز، بل هي لغرابتها كانت محلا للاهتمام المركز بها، فتكاد تصل في بعضها إلى التواتر أو الاستفاضة.

الرابعة: ما يرتبط بقضية الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فقد نقل المؤرخون وأهل السير، عددا من القضايا التي تصنف على الجهة الغيبية، وتخرج عن المألوف عند الناس مثلما ذكر في السؤال، وسنتحدث عن هاتين القضيتين كنموذج:

ولكن علم الغيب بالتعليم يحصل للأنبياء والمرتبطين بالوحي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾. أو أن هناك بعض المواضيع التي لا يعلمها غير الله سبحانه مثل الساعة وهناك مواضيع أخرى يمكن أن يظهر عليها بعض رسله وأوليائه.

أ- يوم بكت السماء دما في روايات أهل البيت عليهم السلام:

١. نقل ابن قولويه في كامل الزيارات روايات متعددة تشير إلى هذا الموضوع، عن غير واحد من الأئمة عليهم السلام منها ما عن إبراهيم النخعي[1] عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين عليه السلام حتى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: «يا بني إن الله عيّر أقواماً بالقران، فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، وأيم الله ليقتلنك بعدي ثم تبكيك السماء والأرض».

٢. نقل الشيخ الصدوق رحمه الله رواية في الأمالي، سوف يأتي تحقيق سندها عند الحديث عن عدد الجيش الذي واجه الحسين عليه السلام، وقد ذكر فيها عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهو على فراش مرضه الذي توفي فيه مسموما، أنه قال لأخيه الحسين:.. لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك

---

(١) جعفر بن محمد بن قولويه قال حدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن داود بن عيسى الأنصاري، عن محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلي، عن إبراهيم النخعي، وهذه الرواية وما بعدها من روايات كامل الزيارات التي تأتي، تكون معتبرة بناء على أن من ورد اسمه في كتاب كامل الزيارات مشمول للتوثيق الذي ذكره المؤلف في مقدمة الكتاب حيث قال: «ولم اخرج فيه حديثا روي عن غيرهم إذا كان فيما روينا عنهم من حديثهم عليهم السلام كفاية عن حديث غيرهم، وقد علمنا أنا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا (رحمهم الله)، ولا أخرجت فيه حديثا روي عن الشذاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم». وقد اختلف علماؤنا على رأيين في فهم هذه الجملة، فالبعض رآها توثيقا لمشايخه المباشرين، والبعض رأى فيها توثيقاً لمن ورد اسمه فيه ما لم يعلم تضعيفه بخصوصه من جهة أخرى. وأما لو لم يقبل هذا التوثيق العام فتعامل الروايات كغيرها بالنظر إلى سندها، وفي السند المذكور بناء على هذا، الحكم بن مسكين ولم يوثق بخصوصه، لكنه ممن لم يستثنَ من رجال نوادر الحكمة، وممن روى عنهم المشايخ الثقات. وداود بن عيسى (النخعي) لا توثيق له.

ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رمادا ودما، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار[١].

٣. وذكر أبو الفضل بن طيفور في كتابه بلاغات النساء، ناقلا خطبة (أم كلثوم) بسنده إلى الإمام الصادق عن آبائه ﷺ، وقد ذكرت فيها ما يشير إلى أن السماء قد مطرت دماً فقد قال في كتابه:

واخبر هارون بن مسلم بن سعدان قال اخبرنا يحيى بن حماد البصري عن يحيى بن الحجاج عن جعفر بن محمد عن آبائه قال لما ادخل بالنسوة من كربلاء إلى الكوفة كان علي بن الحسين عليه السلام ضئيلاً قد نهكته العلة ورأيت نساء أهل الكوفة مشققات الجيوب على الحسين بن علي ﷺ. إلى قال ناقلا الخطبة: أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم لقد جئتم بها شوهاء خرقاء شرها طلاع الأرض والسماء أفعجبتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينظرون[٢].

٤. ونقل ابن قولويه[٣] في كامل الزيارات عن الإمام الباقر عليه السلام كامل الزيارات انه قال: «ما بكت السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي فإنها بكت عليه أربعين يوماً».

٥. وكذلك ما نقله في كامل الزيارات[٤] عن الإمام الصادق ﷺ، قال: لم تبك

---

(١) الأمالي ١٧٧.

(٢) بلاغات النساء ص٢٣: وأهمية هذا النص لكونه صادرا من معاصرة للحادث، وقد قررت ﷺ حصول ذلك، ورتبت عليه التساؤل من تعجبهم مما يعني أنهم شهدوا ذلك وتعجبوا منه.

(٣) حدثني علي بن الحسين بن موسى، عن علي بن إبراهيم وسعد بن عبدالله جميعاً، عن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن فضال، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، وفي السند أبو جميلة (المفضل بن صالح) وهو ضعيف عندهم.

(٤) عن محمد بن جعفر الرزاز الكوفي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن

السماء إلا على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا عليهما السلام.

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، قال: لم تبك السماء على احد منذ قتل يحيى بن زكريا حتى قتل الحسين عليه السلام، فبكت عليه.

٦. وفي رواية الريان بن شبيب[(١)] عن الإمام الرضا عليه السلام: «يا بن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أنه لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دما وترابا احمر»[(٢)].

هذه الروايات عن أهل البيت عليهم السلام وغيرها كثير، يستطيع المتتبع أن يرجع إلى كامل الزيارات، وغيره من الكتب الحديثية المصنفة في ما جرى بعد شهادة الحسين عليه السلام، وقسم منها أسانيدها صحيحة سواء على القول بتوثيق ابن قولويه لكل من ورد اسمه في كتابه أو على القول الآخر، ولها أسانيد متعددة.. تفيد الباحث اطمئنانا قويا بحصول هذا الأمر.. وإن كان تصوره أو معرفة كيفيته فيه صعوبة لا سيما بالنسبة لمن هو مستغرق في الحسيات والمشاهدات العادية.

كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبدالله عليه السلام، والسند معتبر.

(١) الصدوق في عيون أخبار الرضا عن محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال: «حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال: والرواية صحيحة فليس فيها من يتوقف فيه، ومحمد بن علي ماجيلويه قد وثقه العلامة، وصحح طرقا عديدة هو فيها وكونه شيخ الصدوق وترضيه عنه أيضاً يعطي نفس المعنى».

(٢) وفي هذه الرواية خصوصية، وهي أن نسبة مضمون الرواية من قبل الإمام عليه السلام إلى آبائه، قد يكون لجهة أن الراوي السامع للرواية غير شيعي وهو يتعامل بالتالي مع الإمام كراو للحديث عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله، وأما إذا كان الراوي شيعياً ومعترفاً بمقام الإمام وأنه لا يختلف تاليهم عن سابقهم، فإن نسبة الإمام مضمون الرواية لآبائه فيها معنى من الاهتمام الكبير بهذا المضمون بحيث يتوارثه المعصومون ويحدثون به ويركزون عليه. وهذا المضمون من القسم الثاني.

ب- القضية في نصوص المؤرخين ورواة السنة:

لم يقتصر نقل القضية المذكورة على محدثي الشيعة عن أئمتهم وإنما نقلها مؤرخو ومحدثو السنة في كتبهم المختلفة، بطرق متعددة واليك بعض ما وجدناه في هذا الموضوع:

- فقد نقل الحافظ محمد بن حبان السجستاني (توفي سنة ٣٥٤هـ) في كتابه (الثقات)[١] الخبر المذكور في ذكره للنساء الراويات قال:

نضرة الأزدية من أهل البصرة تروي عن الحسين بن علي روى عنها البصريون حدثنا بن قتيبة بعسقلان قال حدثنا العباس بن إسماعيل مولى بنى هاشم قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثتنا أم شوق العبدية قالت حدثتني نضرة الأزدية قالت لما قتل الحسين بن علي مطرت السماء دماً فأصبح جرارنا وكل شيء لنا ملأى دماً.

ونقل نفس الخبر أيضاً عنها ابن عساكر (توفي سنة ٥٧١ هـ) في كتابه تاريخ مدينة دمشق.

- وفي تفسير القرطبي (ت٦٧١ هـ) عن قرة بن خالد: ما بكت السماء على احد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاؤها[٢] وفي موضع آخر من التفسير عن سليمان القاضي قال: مطرنا دما يوم قتل الحسين[٣].
- كما أن الحافظ الهيثمي (توفي سنة ٨٠٧هـ) قد نقل في كتابه مجمع الزوائد حديث محمد بن شهاب الزهري المشير إلى نفس الموضوع فقال:

«قال: قال لي عبدالملك أي واحد أنت أن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط !

(١) ج ٥، ص ٤٨٧.
(٢) ١٠/ ٢٢٠.
(٣) ١٦/ ١٤١.

فقال لي عبدالملك: إني وإياك في هذا الحديث لقرينان. رواه الطبراني ورجاله ثقات. وعن الزهري قال ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن على إلا عن دم. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وعن أم حكيم قالت قتل الحسين وأنا يومئذ جويرية فمكثت السماء أياما مثل العلقة. رواه الطبراني ورجاله إلى أم حكيم رجال الصحيح».

وعن جميل بن زيد قال: «لما قتل الحسين احمرت السماء قلت أي شيء تقول؟ قال: إن الكذاب منافق.. إن السماء احمرت حين قتل. رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه»[1].

ولذا تعتري المتأملَ الحيرةُ من صفاقة ابن كثير عندما يذكر أن ذلك مما بالغ فيه الشيعة بكذب فاحش!! فقد روى هذه الآثار الطبراني ورجالها كما تقدم هم رجال الصحيح، ولكنها الحالة الأموية والطبع يغلب التطبع! و(شنشنة نعرفها من أخزم)، فالذي يستكثر على الحسين عليه السلام أن يبكي عليه من سماهم (جهلة الرافضة) ويقبح فعلهم ذاك. كيف يقبل أن يتفاعل الكون مع مصيبة الحسين؟

جـ- يتلو الكتاب على السنان:

القضية الأخرى التي ذكرت في السؤال:، تكلم رأس الحسين وهو على الرمح. وقد ذكرت هذه القضية في بعض الكتب والمصادر الشيعية، منها كتاب الإرشاد للشيخ المفيد قدس سره ففيه ورد ما يلي:

- روي عن زيد بن أرقم أنه قال: مر به علي وهو على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فقف -والله- شعري وناديت: رأسك والله -يا بن رسول الله- أعجب وأعجب. ولما فرغ القوم من التطواف به بالكوفة، ردوه إلى

---

(١) ج٩، ص ١٩٦.

باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس ودفع إليه رؤوس أصحابه، وسرحه إلى يزيد بن معاوية عليهم لعائن الله ولعنة اللاعنين في السماوات والأرضين، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة، حتى وردوا بها على يزيد بدمشق[1].

- ونقل الحادثة محمد بن سليمان الكوفي (كان حيًّا سنة ٣٠٠) في كتابه (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام)[2] عن شاهد عيان آخر وهو المنهال بن عمرو فقال: «حدثنا أبو أحمد قال: سمعت محمد بن مهدي يحدث عن عبد الله بن داهر الرازي عن أبيه عن الأعمش: عن المنهال بن عمرو قال: رأيت رأس الحسين بن علي على الرمح وهو يتلو هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فقال رجل من عرض الناس: رأسك يا بن رسول الله أعجب؟!».

ونقله بعدهما أكثر الذين ترجموا للإمام الحسين عليه السلام كالأربلي في الفصول المهمة، والمجلسي في البحار وغيرهما.

كما ذكرت الحادثة في بعض المصادر غير الشيعية مثل: تاريخ بن عساكر[3] حيث ذكرها بسنده إلى المنهال بن عمرو، بشيء من التغيير، وحاصله أن الذي كان يقرأ السورة هو شخص كان أمام الرأس فلما قرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال: فأنطق الله الرأس بلسان ذرب فقال أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي.

---

(١) ٢/ ١١٧: ونحن قد تأملنا في مكان سابق في أن زيد بن أرقم هل كان موجوداً في الكوفة حينها أو في الشام؟

(٢) ٢/ ٢٦٧.

(٣) ٦٠/ ٣٦٩.

وقد نقل الشيخ الأحمدي الميانجي في كتابه مواقف الشيعة[1] كلاماً جيداً عن الشيخ الصدوق رحمه الله في ما يرتبط بالواقعة ننقله هنا، فقد ذكر تحت عنوان (مناظرة حول كلام رأس الحسين ﷺ):

«فلما ورد الصدوق عليه من الغد وأخذ الملك في مدحه وثنائه أظهر بعضهم بحضرته أن هذا الشيخ يرى أن رأس الحسين ﷺ كان يقرأ على القناة سورة الكهف. فقال الملك: ما عرفنا منه ذلك حتى أن نسأله، فكتب إليه رقعة يذكر فيه هذه النسبة.

فكتب في جوابه: «نعم بلغنا أن رأسه الشريف قرأ آية من تلك السورة المباركة، ولكنه لم يصل إلينا من جانب الأئمة ﷺ، ولا ننكره أيضاً لأنه إذا كان من الأمر الجائز المحقق تكلم أيدي المجرمين وشهادة أرجلهم الخبيثة يوم القيامة بما كانوا يكسبون، كيف لا يجوز أن يتكلم رأس ابن رسول الله ﷺ وخليفته في أرضه وإمام الأئمة وسيد شباب أهل الجنة بتلاوة القرآن المجيد والذكر الحميد، وتظهر منه هذه الكرامة العليا بإرادة إلهه القادر على ما يريد؟ فإنكاره في الحقيقة إنكار لقدرة الله أو جحود لفضيلة رسول الله، والعجب ممن يفعل ذلك وهو يقبل أنه بكته ملائكة السماء، وأمطرت على مصيبته من الأفلاك الدماء، وناحت عليه الجن بطريق الشيوع، وأقيمت مراسم عزائه في جميع الأصقاع والربوع، بل من أبى عن قبول أمثال ذلك مع تحقيقه وسلامة طريقه كيف لا يأبى عن صحة شرايع النبيين ومعجزاتهم المنقولة بأمثال هذه الطرق عاليا إلى أهل الدين؟ فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الفاسقين».

س: سؤال: لماذا لا نرى أثراً واضحاً للزوجات في كربلاء؟ وما هي أدوارهن لو كانت موجودة؟

الجواب: إننا نلاحظ أن المجتمع العربي بما فيه من سمات كان لا يُظهر شؤون

(١) ٣/ ٤٨٤.

المرأة عموماً، والزوجة خصوصاً، ويرى أن ما يناسب الاستتار والاحتجاب هو المطلوب، وبطبيعة الحال فإن الأخبار وكثرة الأخبار عن النساء لم يكن يتناسب وتلك الحالة.

بل ربما كان هذا وإلى يومنا الحاضر في بعض المجتمعات العربية موجودا، وهو إذا كان في أيام السلم ملحوظا، فإنه في أيام الحرب والمواجهة أكثر وضوحا خصوصاً أن الحرب وما فيها من خشونة ومعاناة كانت تدعو العرب لإبعاد النساء عنها وعن قضاياها.

وجاءت تعليمات الإسلام في لزوم استتار المرأة عن الأجانب، وأن لا تكون مصدر إغراء وشهوة محرمة، لتثبت بعض المعاني المذكورة آنفاً في المجتمع العربي، بل ربما تطرف في ذلك.

غير أن هذا لم يكن يعني أنه لم يكن للنساء دور -إيجابي أو سلبي- في القضايا التي وقعت في تاريخ المسلمين.

ففي كربلاء وقضية عاشوراء نستطيع أن نلحظ جانبا من تأثير الزوجات على أزواجهن وأبنائهن، وإن كان ما نقله المؤرخون لا يشكل إلا نسبة قليلة من الأصل، تبعا للملاحظة المذكورة في أول الجواب. ولكن هذا المنقول يعطي صورة تقريبية لذلك الدور:

ففي الجانب الايجابي:

- نجد زوجة زهير بن القين[1] التي شجعت زوجها على الاستجابة لرسول

---

(١) ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد:.. حدث جماعة من فزارة ومن بجيلة قالوا: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة، فكنا نساير الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام ونزل منزلا لم نجد بدا من أن ننازله، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم دخل، فقال: يا زهير بن

الحسين عليه السلام.

- و أم وهب (قمر بنت عبد) زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، التي كانت مع زوجها، وهي التي خرجت بعده تشجعه على القتال[١].
- ويذكر الخطباء أيضاً تشجيع زوجة حبيب بن مظاهر الأسدي له للخروج إلى نصرة الحسين عليه السلام وينقلون في ذلك حوارا يشير إلى هذا المعنى فيه من الحماسة الشيء الكثير، ولكني لم أعثر فيما لدي من المصادر على الحادثة.
- وبعد حادثة كربلاء، فقد اتخذت بعض الزوجات موقفا شديدا تجاه أزواجهن ممن شاركوا في المعركة ضد الحسين وأصحابه، ويذكر المؤرخون في ذلك زوجة كعب بن جابر التي عارضته، بعد رجوعه وقالت له: أعنت على ابن فاطمة وقتلت شيخ القراء، والله لا أكلمك من رأسي كلمة[٢].

ومنهن زوجة خولى بن يزيد الأصبحي، واسمها النوار بنت مالك بن عقرب فقد نقل بسنده عنها: «قالت أقبل خولى برأس الحسين فوضعه تحت أجانة في الدار

القين إن أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأن على رؤوسنا الطير، فقالت له امرأته: سبحان الله، أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه، لو أتيته فسمعت من كلامه، ثم انصرفت. فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوض وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد.

(١) في تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٢٦: (قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب قال كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بني عليم كان قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد من همدان داراً وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين قال فسأل عنهم فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال والله لو قد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل وأخرجني معك قال فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا فأقام معه.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٩.

ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار! قالت: فقلت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا!قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الأسدية (زوجته الثانية) فأدخلها إليه، وجلست أنظر قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الأجانة ورأيت طيرا بيضا ترفرف حولها قال فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله «[1].

ومن أولئك أم عبد الله بنت الحر البدي، زوجة مالك بن النسر البدي التي رفضت أن يدخل زوجها البيت ومعه سلب الحسين ﷺ[2].

وفي الجانب السلبي أيضاً وجدنا بعض تلك الآثار، فإن من المعلوم أن التي منعت مسلما أن يقتل ابن زياد في بيت هاني بن عروة هي زوجته، التي هي بنت الحجاج الزبيدي، وأخت عمرو بن الحجاج الزبيدي قائد إحدى الفرق العسكرية الأموية في كربلاء، ولم يكن على وفاق مع الخط العلوي والحسيني، ونحن وإن كنا نعتقد أن هناك أسبابا أخرى أيضاً جعلت مسلما يمتنع عن اغتيال ابن زياد[3]، إلا أن هذا الموقف أيضاً يبين الدور السلبي الذي يمكن للزوجة أن تمارسه حتى على خلاف رغبة زوجها، وخطه.

ونحن لا نعلم هل كان لبحرية بنت المنذر العبدي[4] زوجة عبيد الله بن زياد، دور في وشاية عمرو برسول الحسين ﷺ الذي جاء إلى البصرة؟ وهل أنها مثلا أشارت على أبيها أو أن هذا الأب هو قد تبرع بإيصال رسول الحسين خوفا على

---

(١) المصدر السابق ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق ٣٤٢.

(٣) يراجع القسم الأول من هذا الكتاب.

(٤) الطبري ج٤، ص٢٣٥.

ابنته، أو لم يكن لها ارتباط.

والمنذر بن الجارود العبدي هو الذي جاء برسول الحسين، زاعما أنه خاف أن يكون دسيساً من ابن زياد فقدم الرسول وضرب عنقه.

س: سؤال: كيف يمكن التوفيق بين ما هو معلوم من منزلة مسلم بن عقيل الكبيرة عند الحسين وبين رسائله إلى الحسين، والتي يقول فيها مسلم أنهم الاستمرار، وجواب الحسين له الذي يشم منه الاتهام بالجبن لمسلم؟

الجواب: ذكر الطبري في تاريخه القضية هكذا:

«دعا (الحسين) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ﷺ وودع من أحب من أهله ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به فضلاً الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد وقال الدليلان: هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشاً.

فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الخبيت أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلاً واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام فكتب إليه حسين أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب هذا ما لست أتخوفه على نفسي فأقبل كما هو حتى

مر بماء لطيء فنزل بهم ثم ارتحل منه فإذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى ظبيا حين أشرف له فصرعه فقال مسلم يقتل عدونا إن شاء الله ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيد»[١]. انتهى.

ولنا مع هذا النقل وقفات:

١. محل الحادثة: يظهر من النقل المذكور أن الحادثة قد وقعت بعدما استأجر مسلم دليلين من المدينة، ومات هذان الدليلان في مكان ما بمضيق الخبت ثم بعث مسلم رسالته إلى الحسين، ويفترض أن يكون ذلك بعد الخروج من المدينة باتجاه العراق، لكن أرباب المعاجم ذكروا أن منطقة الخبت بين المدينة ومكة، وليست بين المدينة والعراق.. وقد أشار إلى ذلك العلامة القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين فقال: إن مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع ما بين مكة والمدينة حسب ما نص عليه الحموي في حين أن الرواية تنص على أنه استأجر الدليلين من يثرب وخرجوا إلى العراق فضلوا عن الطريق ومات الدليلان ومن الطبيعي أن هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة والعراق ولم تقع ما بين مكة والمدينة[٢].

وأنه لو كان هناك مكان يدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب والعراق لم يذكره الحموي فان السفر منه إلى مكة ذهاباً وإياباً يستوعب زمانا يزيد على عشرة أيام في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق قد حدده المؤرخون فقالوا: انه سافر من مكة في اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة في اليوم الخامس من

(١) ج٤، ص٢٦٤.

(٢) كذلك فقد ذكر في لسان العرب، ج٢، ص٢٧:. قيل: الخبت ما اطمأن من الأرض وغمض، فإذا خرجت منه، أفضيت إلى سعة، وقيل: الخبت سهل في الحرة، وقيل: هو الوادي العميق الوطئ، ممدود، ينبت ضروب العضاه. وقيل: الخبت الخفي المطمئن من الأرض، فيه رمل. وفي حديث عمرو بن يثربي: إن رأيت نعجة تحمل شفرة وزنادا بخبت الجميش، فلا تهجها. قال القتيبي: سألت الحجازيين، فأخبروني أن بين المدينة والحجاز صحراء، تعرف بالخبت.

شوال فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهي أسرع مدة يقطعها المسافر من مكة إلى المدينة فان المسافة بينهما تزيد على ألف وستمائة كيلومتر، وإذا استثنينا من هذه المدة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فان مدة سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن[١].

٢. قول مسلم: بحسب النقل المذكور: «وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري».

والتطير: من الطيرة، وهي -كما قالوا- ما يتشأم به من الفال الرديء وقد كانت سائدة عند العرب في الجاهلية فأبطلها الإسلام وألغى آثارها، وقيل: إن الأصل فيه أنهم كانوا إذا أرادوا غزو قوم عمدوا في طريقهم إلى ما يرون من أوكار الطيور فيزعجونها ويطيرونها عنها يتفاءلون بذلك لتفريق العدو والأبعاد من المنزل أو أنها إن أخذت يمينا تيمنوا وذهبوا يمينا في الحاجة وإن أخذت شمالا تشاءموا ورجعوا أو كانوا يطلقون الظباء فإن تيامنت استبشروا وإن تياسرت تراجعوا ثم استعمل هذا اللفظ في مطلق الفال سواء كان بإطارة الطيور عن أعشاشها أو بغير ذلك مما كانوا يتفألون به مثل نعب الغراب وإقعاء الذئب واعتراض الصيد وغيرها ثم خص بالفال الرديء..

ونجد أن الجاهليين المكذبين للأنبياء كانوا يجعلون التطير (حجة) كافية لتكذيبهم الأنبياء فالقرآن يتحدث عن قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[٢] وكما قال أصحاب القرية لأنبيائهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾[٣].

---

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ، ج٢، ص٣٤٣.

(٢) النمل آية٤٧.

(٣) سورة يس آية ١٨.

ولأنها تنمي الفكر الخرافي من جهة، وتضيع على المجتمع كثيراً من فرص الخير والعمل لأجل أن العصفور قد اتجه شمالا، لأنه مثلا وجده أقرب لنجاته! أو غير ذلك، فتتعطل الأمور العامة تبعاً لاختيار العصفور أو اتجاه الغراب!فقد نهى الإسلام عنها، وذكّر المعصومون أنها لا أثر له. ولك أن تتصور مجتمعا يعتمد في اختياراته وقراراته على نعيب الغراب، وما شابه.

بل إنها في بعض الحالات تصل إلى درجة من درجات الشرك، وذلك عندما يعتقد المتطير أن التوفيق قرين الطير المتيامن، وأن الشر سيحصل بسبب توجهه إلى الشمال.. وينسى أن الله سبحانه وتعالى هو المؤثر الوحيد في هذا الكون، وليس تيامن أو تياسر الطير من الأسباب التي جعلها الله في عالم التكوين لشيء.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك». وعنه أيضاً: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». وأنه: «من خرج يريد سفرا فرجع من طير فقد كفر بما أنزل على محمد». و: «ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له»[١].

ولعله لهذا السبب جعل «كفارة الطيرة التوكل» على الله والاعتقاد بأنه لا يصنع الخير ولا يدفع الشر إلا الله كما روي عن رسول الله «كان يأمر من رأى شيئا يكرهه ويتطير منه أن يقول: اللهم لا يؤتي الخير إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» ويأمره بالمضيّ على خلاف ما تُطير به. فقد جعل علاج التطير خلافه فقال كما في الحديث عن رسول الله «إذا تطيرت فامض».

هذا هو التطير: عادة جاهلية قد تجر في حالات إلى الشرك، وهي ليست في المؤمنين ولا سيما في أهل البيت: ما منا من يتطير ولا من يتطير به، وعلاجها أن يمضي الإنسان متوكلاً على الله في سبيله..

---

(١) الأحاديث من ميزان الحكمة، ج٢.

فهل يعقل بعد هذا أن يكون مسلم الذي هو (ثقة) الحسين، وفي بعض المرويات المفضل عنده من أهل بيته أن يتطير من ذلك الطريق الذي مضى فيه ويفكر في الرجوع عن تلك المهمة العظيمة التي أوكلت إليه؟

إن من يريد الرجوع عن مهمة لا بد أن يبدي سببا معقولا عند نفسه أولاً وعند من وجهه ثانياً، والتطير لم يكن معقولا لا عند مسلم ولا عند الحسين.

٣. قول الحسين: بحسب المنقول «.. فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له..».

وهذا المقطع أعجب من سائر مقاطع الرسالة: فإذا كان الإمام يعتقد أن مسلما جبان وهو لم يصل إلى الكوفة، فكيف يكون بعد وصوله إليها وهي لا تزال في سيطرة الأمويين، وواليها لا يزال يمسك بزمام الأمور؟ وكيف سيواجه الجيش الموالي للأمويين هناك؟

إن رسول المرء ترجمان عقله، ودليل حكمته، فإذا كان الحسين عليه السلام يرسل من جبن قبل المواجهة[1]، فهل يكون حكيما؟

في الواقع هذا طعن في الحسين أولا وفي مسلم ثانياً..

ثم ما الذي كان يملكه الحسين من قوة ضغط لكي (يجبر) مسلماً على الذهاب بالرغم من تطيره كما يزعمون؟

إضافة إلى ذلك فإن مسلما معروف بشجاعته فإن معاركه مع المهاجمين له وهو مفرد في بيت طوعة في الكوفة لتشير إلى هذا المعنى، فقد رد المهاجمين أكثر من

(١) لا يقال أن مسلماً لم يكن ذاهباً إلى معركة بالضرورة، فإنه يجاب على ذلك، بأن نوع هذه المهمة ولم يكن فيها أي مواجهة عسكرية تحتاج إلى الكثير من الجرأة والإقدام.

مرة، ولولا أنهم آمنوه لما استطاعوا أن يقبضوا عليه[١]. فاتهامه بالجبن في ذلك النص مخالف للواقع، ولمعرفة الحسين به، ولحكمة الحسين في اختياره لتلك المهمة، ولذلك يصعب أن يُقبل ذلك النص بهذه الكيفية.

س: سؤال: عن التربة الحسينية، فماذا يعني أن يكون فيها الشفاء؟ وهل تلك خصوصية لتربة الحسين أو لقبور المعصومين عموما؟ وهل تؤخذ من أي مكان سواء من القبر أو من نواحي كربلاء؟

الجواب: ورد موضوع التربة في كلمات فقهائنا في موارد متعددة؛ فقد ورد ذكره في تحنيك الطفل أول ولادته، وفي القبر يستحب أن يوضع مع الميت شيء من تربة الحسين، وفي باب حرمة أكل الطين إلا طين قبر الحسين لأجل الاستشفاء، وفي باب السجود في الصلاة وأنها خير ما يسجد عليه، وفي أنه يستحب أن يكون لدى المؤمن سبحة من طين قبر الحسين وفي استصحابها في السفر وأنها أمان من كل خوف.

أما خصوصية التربة الحسينية في الشفاء، فتارة يتم الحديث عنها ضمن الإطار الظاهري الذي ذكره البعض من العلماء الطبيعيين في شأن التيمم وأنه كيف يكون التراب والغبار (أحد الطهورين) وذكروا في حينه أن في التراب من العناصر الشيء الكثير الذي يعتبر من المضادات الحيوية لكثير من الأمراض.. ولا أعلم عن هذه الجهة الطبيعية، فنقلها يكون على عهدتهم.

وأخرى يتم عنها خارج هذا الإطار، وحاصله أنه لا شك في أن بين عناصر الطبيعة تفاعلا، وتكاملا، ويمكن الاستفادة من تلك العناصر نباتية كانت أو حيوانية أو جماداً في قضايا الاستشفاء، والعلاج. فترى الأطباء يكتشفون في كل يوم عقارا جديدا من الطبيعة.

---

(١) الطبري، ج٤، ص٢٧٩.

وقد كان الطب القديم يعتمد اعتماداً كبيراً على مثل هذه الأمور. وعمدة العلاجات عندهم هي هذه العناصر الطبيعية. وبعضها كان يتم اكتشاف تأثيرها من خلال التجربة والعلم البشري، وبعضها الآخر كان يُعرف تأثيرها من خلال إرشادات الأنبياء والأولياء لها، فها نحن نجد في القرآن الكريم[١] حديثه عن جملة أمور تبين تأثيرها في العلاج والدواء. بل في بعضها إن الصدقة تنفع في شفاء المرض مع أنه لا يوجد ارتباط ظاهري بين الأمرين. فإذا وصل الخبر الصحيح عن المعصومين في تأثير شيء في شيء ولم يكن هناك محذور عقلي يمنع من الالتزام به، فما المانع من الإيمان به؟ ولماذا لا يعتقد بأن الله سبحانه كما جعل في العسل قدرة شفائية وفي الثوم قدرة علاجية، وفي سائر الخضروات، والبقول، بل والأحجار[٢].

وقد روى الجمهور في كتبهم عن أن غبار المدينة يشفي من الجذام[٣] وفي جامع الأصول لابن الأثير عن سعد قال: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك تلقَّاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً، فخمَّر -أو فغطّى- بعضُ مَنْ كان مع رسول الله ﷺ أنفه فأزال رسول الله اللثام عن وجهه وقال: والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء.

وقد صحت الأخبار الكثيرة عن أهل البيت ﷺ في تأثير تربة قبر الحسين في شفاء الأمراض، وعضدها ما لا يحصى كثرة من التجارب العملية في مختلف الأعصار، مما يضعف احتمال أن يكون الشفاء حاصلاً لأجل الأثر النفسي والاستعداد الداخلي للتفوق على المرض فقط.

---

(١) وقد ألفت كتب متعددة في اكتشاف الجوانب الطبية والعلاجية في القرآن الكريم منها (مع الطب في القرآن الكريم) وغيرها.

(٢) هناك مجال علاجي جديد يتحدثون عنه في هذه الأيام وهو قدرة الأحجار (الكريمة) على صناعة الشفاء من أمراض من خلال الاستفادة من اختلاف الإشعاعات الصادرة عنها. وقد كتبت عن ذلك بعض المجلات العلمية.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ج٢ وكنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢ وغيرها.

فمن تلك الأخبار:

١. ما رواه في الكافي وهو موثق ابن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذ غيره ولا ينتفع به؟ فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو ما يأخذه أحد وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه به»(١).

٢. وخبر يونس بن الربيع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن عند رأس الحسين عليه السلام لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام، قال: فأتينا القبر بعد ما سمعنا هذا الحديث فاحتفرنا عند رأس القبر فلما حفرنا قدر ذراع ابتدرت علينا من رأس القبر مثل السهلة حمراء قدر الدرهم فحملناها إلى الكوفة فمزجناه وأقبلنا نعطي الناس يتداوون بها»(٢).

٣. وفي كامل الزيارات نقل رواية سليمان البصري عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر»(٣).

٤. مرسلة محمد إسماعيل عن الصادق عليه السلام قال: «إن طين قبر الحسين عليه السلام شفاء

---

(١) الكليني عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن كرام، عن ابن أبي يعفور: أحمد بن محمد (هو بن عيسى الأشعري ثقة)، وابن فضال (هو الحسن بن علي ثقة فطحي)، كرام (هو ابن عمرو الخثعمي واقفي ثقة). ويظهر منه أن التأثير يشترط فيه أخذ التراب الحسيني مع الاعتقاد بأن الله يشفي به معاً.

(٢) الكليني عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن يونس: وفي السند يونس بن الربيع وقد ذكر في كتب الرجال من غير توثيق ولا تضعيف. ويحتمل -والله العالم- أن يكون الحسن بن علي عن يونس عن أبي الربيع كما هو في سند آخر.

(٣) بن قولويه عن سعد بن عبد الله، عن احمد بن الحسين بن سعيد، عن أبيه، عن محمد بن سليمان البصري، عن أبيه: فيه أحمد بن الحسين بن سعيد وقد ذكروا أنه ضعيف لكنه من رجال مزار بن المشهدي، وتضعيف القميين له يظهر من جهة رميهم إياه بالغلو، وقد كانوا يتسرعون في ذلك كثيراً. ولكنه مع ذلك مدح حديثه ابن الغضائري وقال: حديثه فيما أعلم سالم. ومحمد بن سليمان البصري لم يستثن من رجال نوادر الحكمة فله ذكر بعنوان الديلمي، وكذلك في مزار محمد بن المشهدي، لكن قد ضعفه النجاشي.

من كل داء»(١).

- وأما عن اختصاص تربة الحسين عليه السلام أو اشتراك تراب قبور سائر الأئمة عليهم السلام في تلك الميزة، فالذي يظهر أن هناك اتفاقا بين علمائنا على اختصاص تراب قبر الحسين بجواز الأكل للاستشفاء، بالرغم من أن هناك بعض الروايات يستفاد منها أن تراب سائر قبور المعصومين عليهم السلام أيضاً يجوز الاستشفاء منها لكن أعرض عنها الأصحاب، خصوصا مع وجود روايات ناهية عن ذلك مثل «فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة الحسين» معللة في بعضها أن ذلك من مختصات تربة الحسين عليه السلام.

ففي كتاب الأطعمة والأشربة يذكر العلماء أنه يحرم أكل الطين، ولكن قد استثني من ذلك طين قبر الحسين بمقدار يسير (بعضهم حده بمقدار الحمصة) لأجل الاستشفاء. وأنه لا يلحق بذلك قبور سائر المعصومين عليهم السلام في جواز أكل طين قبورهم، بل في رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام نهي عن اخذ شيء من تربة قبره (ولا تأخذوا من تربتي شيئا لتبركوا به، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليهما السلام فإن الله عز وجل جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا)(٢).

- أما القرب والبعد عن القبر فلا شك أنه كلما كانت التربة مأخوذة من قرب القبر كان أفضل، وهناك روايات فيها أنه يؤخذ (من عند القبر على سبعين ذراعا) بل في بعضها (أربعة أميال) والجمع بينها كما ذكر العلماء هو بتفاوت درجات الفضيلة بحسب القرب والبعد عن القبر الشريف.

---

(١) جعفر بن محمد بن قولويه في (المزار) عن أبيه، عن سعد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن رجل، عن أبي عبدالله.
(٢) الوسائل باب ٧٢ من أبواب المزار.

سؤال عن كنية الحسين بأبي عبد الله:

س: لماذا كني الحسين عليه السلام بأبي عبد الله؟ مع أنه الولد الأصغر هل ذلك لعظم مصيبته؟

الجواب: الكنية وهي ما صُدّر بأب أو ابن أو أخ أو بنت.. هي اسلوب من أساليب التكريم والاحترام يوجد لدى المجتمعات العربية.. والأصل فيها أن يكنى الشخص باسم ابنه الأكبر، فإن لم يكن له ذكر كُني باسم ابنته.

وأصبح من المعروف في المجتمع العربي أن المناداة بالكنية تعني التوقير والاحترام بخلاف المناداة بالاسم المجرد، حتى أنه ورد أيضا في الحديث الشريف عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: « من السنة والبر أن يكنى الرجل باسم ابنه (وفي نسخة أبيه) وبناء على الأول يكون من المستحب للناس والبر منهم أن يكنوا الرجل باسم ابنه، وبناء على الثاني يكون من المستحب له أن يكتني باسم أبيه، فتكون كنيته باسم والده فلو كان اسم والده عبد الله فليكتن بأبي عبد الله.

وليست الكنية مقصورة على من كان لديه ولد بالفعل، بل حتى لو كان صغيرا وليس من شأنه أن يكون له ولد يستحب تكنيته فـ» هذا عبد الله بن مسعود كناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبد الرحمن قبل أن يولد له. كما في المستدرك ٣ ص ٣١٣.وهذا محمد بن طلحة كناه صلى الله عليه وآله وسلم أبا القاسم وهو رضيع. وهذا أخو أنس بن مالك بين عينيه كناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي عمير وكان صغيرا لم يبلغ الحلم، وهذا أنس كناه صلى الله عليه وآله وسلم أبا حمزة ولا حمزة له[1]..وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: إنّا لكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم.

وكان العرب يكنون أبناءهم منذ الصغر تفاؤلا بأن يعيشوا ويولد لهم أولاد، وتبقى كنيتهم كذلك.

---

(١) الغدير ٦/ ٣١٥

ونحن نعتقد أن كنية الحسين كانت بهذا النحو وأن النبي المصطفى قد كناه بأبي عبد الله منذ صغره. ربما لبره صلوات الله عليه بأبيه عبد الله، وهذا الأمر الذي وجه به محمد بن طلحة الشافعي[١] حديثا في صفة المهدي (واسم ابيه اسم أبي)[٢].

ولم أعثر فيما لدي من المصادر عن نص صريح يوثق قيام النبي ﷺ بتكنية الحسين، إلا أن تولي النبي تكنية آخرين حتى وهم صغار السن كما ذكر آنفا في محمد بن طلحة وأخ أنس بن مالك، مما يشير لاستحباب ذلك من جهة، وتولي النبي المصطفى لأمور سبطه، حتى فيما يرتبط باسمه وأن عليا وفاطمة لم يسبقا النبي بتسميته، قد يشير إلى هذا المعنى، مع ملاحظة أن (أبا عبد الله) كنيته الوحيدة..نعم قد نقل أن النبي كان يقبله ويقول: عزيز علي أبا عبد الله[٣].. فإذا تم هذا الكلام فإنه يكون أقدم حادثة تشير إلى هذه الكنية.

وبناء على ما تقدم فهناك اعتقاد بأن كنية الحسين ؑ بأبي عبد الله كانت منذ صغره، (للاستحباب الذي ذكرناه أو تفاؤلا ببقائه أو هما معا) فلما صارت هذه كنيته وفرضنا أنها من الرسول ﷺ، لم تتغير حتى بعد أن أنجب الإمام ؑ، ولده الأكبر عليا، ثم السجاد..

---

(١) قال في مطالب السؤول / ٤٨٨ أن النبي (ص) كان له سبطان: أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الحجة الخلف الصالح محمد ؑ من ولد أبي عبد الله الحسين، ولم يكن من ولد أبي محمد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله فاطلق النبي (ص) على الكنية لفظ الاسم. لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظة الأب فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمد وأنا محمد وكنية جده اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز..

(٢) الحديث بهذه الصورة عند الامامية غير صحيح، وفقرة (اسم ابيه اسم أبي) يعتبرونها زيادة فيه.

(٣) حين تحرير هذه الكلمات كنت في لندن للقراءة الحسينية، وقد حظيت بلقاء العلامة المحقق الشيخ صادق الكلباسي صاحب (دائرة المعارف الحسينية) ودار نقاش في هذا الموضوع، فأشار إلى أنه ذكر في الجزء الأول من السيرة الحسينية من ص ١٨٤ ذلك قائلا: ويذكر أنه وضعه في حجره ورثاه وبكى وهو يقول: يا أبا عبد الله عزيز علي. ناقلا إياه عن البحار / ٤٤ والذي نقل ذلك عن أمالي الشيخ الطوسي.

ملحق
تساؤلات حول كتاب المنتخب للطريحي



جرت العادة في مجالس عاشوراء في مناطقنا على قراءة (السيرة) قبل خطابة الخطيب، كما جرت العادة على أن يكون المقروء من السيرة هو فصول ومقاطع من كتاب (الفخري) لفخر الدين الطريحي، وقد تختلف الحالة في سائر البلاد الشيعية، أو تتفق.

وقد لفت نظري منذ مدة بعض ما ورد فيه من الروايات، وكنت أتساءل عما إذا كان العالم الفحل الطريحي، قد كتب كل هذا؟ وهذا مما حداني إلى مطالعة الكتاب بنحو دقيق، وكان نتيجة تلك المطالعة والمراجعة هذه الكلمات

من هو الشيخ فخر الدين الطريحي؟

في الذريعة كتب عنه الطهراني: «إنه فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي له كتب متعددة منها: الرسالة النجفية في أمر النية، والنكت اللطيفة في شرح الصحيفة، شفاء السائل في مستطرفات المسائل في علم مواقيت الصلاة، والضياء اللامع في شرح المختصر النافع».

وأما كتابه فقد كتب عنه في الذريعة في الجزء ٢٢ صفحة ٤٢٠ تحت رقم ٧٦٩٦: «المنتخب في جمع المراثي والخطب: للشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي، المتوفى سنة خمس وثمانين وألف، مرتب على عشرين مجلساً، وفي كل مجلس أبواب وفي كل باب يذكر شيئا من فضائل أهل البيت ومراثيهم، أوله: الحمد لله الذي جعل الدنيا جنة لأعدائه وسجنا ومحنة لأوليائه وأحبائه، إلى قوله: المجلس الأول من الجزء الأول في الليلة الأولى من عشر المحرم. طبع مكررا ويقال له مجالس الطريحي والمجالس الفخرية والمنتخب الكبير الذي فيه زيادات على المطبوع في كتب السيد محمد اليزدي وعند الميرزا علي أكبر العراقي نسخة منتخب من المنتخب لبعض المتأخرين وهو موافق مع المنتخب في الخطبة ومخالف معه كثيرا بالزيادة والنقصان ومن نقصه عدم ذكر حديث الكساء فيه، وأول مجالسه في أول ليلة من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة: الباب الأول: أيها المؤمنون.. الخ. وفي حاشية الكتاب نقل حديث الكساء مختصرا عن نهج المحجة الذي هو تأليف الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي».

وكتب عنه الزركلي في الأعلام فقال: «هو أحمد بن طريح الرماحي النجفي: من علماء الإمامية. له (مجمع البحرين ومطلع النيرين) في تفسير غريب القرآن والحديث، و (المنتخب في جمع المراثي والخطب - ط) و (غريب الحديث) و (جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال - ط) و (كشف غوامض القرآن) و (جواهر المطالب في فضائل علي بن أبي طالب) و (مراثي الحسين) و

(نزهة الخاطر وسرور الناظر) مصور في مكتبة جامعة الرياض (الفيلم ٩٢) ٢١١ ورقة في بيان لغات القرآن، وغير ذلك. توفي في الرماحية ونقل إلى النجف»[1].

وقد تحدث عنه المحقق السيد أحمد الحسيني في مقدمة كتاب مجمع البحرين فقال - ما ملخصه -:

ولد في النجف الأشرف سنة ٩٧٩هـ. ونشأ نشأته العلمية في أحضان والده الكريم وعمه الشيخ محمد حسين الطريحي، واكب على العلم والدراسة عندهما حتى حصل على المراتب الجليلة من العلم والفضيلة والصفات النفسية العالية والملكات الشريفة الممتازة. ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن سيره العلمي وكيفية دراسته وقطعه الأشواط الثقافية، ولكن يستكشف من آثاره الكثيرة المتعددة الجوانب أنه كان من المشتغلين المجدين الذين لا يضيعون فرصة العمر، بل يقتبسون نور العلم في حلهم وترحالهم ويستضيئون من شعاع الثقافة في كل الأحوال وعند كل فرصة فلو قرأت كتابه (غريب القرآن) وجدته مفسرا محيطا بعلوم القرآن الكريم، وإذا أمعنت النظر في كتابه (غريب الحديث) رأيته محدثا متفننا في الأحاديث المروية عن النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، وإذا دققت الفكر في كتابه (الضياء اللامع) و (شفاء السائل) و (الفخرية الكبرى)وغيرها رأيته فقيها متضلعاً في أبواب الفقه، وإذا طالعت كتابه (إيضاح الأحباب) وجدت تبحره في العلوم الرياضية، وهكذا إذا قرأت كتابيه (تمييز المعطوفات من الرجال) و (جامع المقال) وجدته رجاليا خبيرا بالتراجم وأحوال السابقين من الرواة والمحدثين، أما إذا قرأت كتابه (مجمع البحرين) فانك ترى العجب من اطلاع المترجم له وتضلعه في الفنون الإسلامية والعلوم المتداولة في عصره.

كتب العديد من الكتب والمؤلفات في فنون شتى، فقد نقل من أسماء كتبه ما يربو على الأربعين مؤلفاً.

---

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص ١٣٨.

وتوفي في سنة ١٠٨٧هـ.

هذا عن المؤلف. وأما عن الكتاب، فالمطبوع بطبعة (مؤسسة الأعلمي - بيروت - دون تاريخ) يشتمل على عشرين مجلسا في كل مجلس أبواب، تشتمل على ذكر أهل البيت ﷺ في مناقبهم ومصائبهم.

وقد صنفه المرحوم آية الله شمس الدين من القليل النادر الذي بقي محافظاً على دلالاته السياسية والاجتماعية إضافة إلى الجانب المأساوي، وإن كان قد انتهى إلى أن ذلك بقي محصوراً في الجانب التاريخي، قال في كتابه القيم (واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي) في أدوار المأتم الحسيني بأن: «الذكرى الحسينية في هذا الدور قد فقدت دلالتها السياسية والاجتماعية في وعي الإنسان الشيعي بالنسبة إلى الأوضاع التي يعاني منها نتيجة لسياسة حكامه المستبدين وغدت عملا أخرويا محضاً إلا في القليل النادر الذي ربما يكون منه ما ورد عند الشيخ الطريحي في المنتخب فيما يبدو أنه وظيفة المأتم في نظره: فيا إخواني أكثروا البكاء والعويل على هذا العزيز الجليل لتفوزوا بالثواب الجزيل من الرب الجليل، فإن الله جعل متابعتنا لهم فيما أمكن من الفعال وبكاءنا عليهم بالدمع السجال وبعث عيوب أعدائهم أهل الضلال قائما مقام الجهاد معهم في يوم القتال، ولكننا نشك - أضاف شمس الدين - في أنه يريد من (أعدائهم أهل الضلال) غير الأمويين والعباسيين وولاتهم الذين اضطهدوهم، ونرجح أنه لا يعني بهذا التعبير وأمثاله كل ظالم ومعتد على الناس من الحكام وأعوانهم»[1].

وعلى كل حال فإن الناظر المتأمل في صفحاته لا بد أن يلتفت إلى عدد غير قليل من الملاحظات، سوف نتعرض إلى جانب منها:

---

(١) واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ٢٧٦.

الإحصائيات والأرقام:

ورد في كتاب الفخري (المنتخب) عدد من الأرقام والإحصائيات، لا نعرف كيف وجدت طريقها إلى هذا الكتاب، مثلا:

ذكر في صفحة ٢٨٠ أن عدد جيش بني أمية الذين جهزهم ابن زياد: كان ٧٠٠٠٠ (سبعين ألف) فارس!! ولم يذكر عدد المشاة؟

ومع أنه تم الاختلاف في عدد الخارجين إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام إلا أنه قد ورد في روايتين عن الإمام زين العابدين عليه السلام أن عددهم كان ثلاثين ألف رجل، ونتعجب كيف أن هاتين الروايتين لم تكونا تحت نظر الشيخ الطريحي وهو من هو في علمه وأحاطته كما يلحظ الناظر هذه الإحاطة في كتبه لا سيما في مجمع البحرين.

فقد روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في الأمالي بسنده إلى زين العابدين عليه السلام: «أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوما إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك..»[1].

---

(١) الأمالي، ص١٧٧: حدثنا أحمد بن هارون الفامي رضي الله عنه، قال: «حدثنا محمد بن عبدالله بن جعفر بن جامع الحميري، قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام، والسند ليس فيه من يتوقف فيه غير محمد بن سنان فإنه ضعيف على المشهور عند الرجاليين وقد قرّب بعض المعاصرين وثاقته وقبول روايته.. وأما الفامي فإنه يمكن استظهار حسن حاله بترضّي الصدوق عليه كلما ذكره، كما عليه جملة من الأعلام».

كما أورد في الأمالي أيضاً رواية أخرى فيها ذلك العدد، فقال في صفحة ٥٤٧:

«نظر سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر، ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيا وظلماً وعدواناً»[1].

كما أن العلامة المجلسي رضوان الله عليه قد نقل رواية في البحار من غير إسناد تفيد نفس العدد، فقال في الجزء ٤٥ ص٤: «وفي رواية عن الصادق عليه السلام (كانوا) ثلاثين ألفاً».

كما أنه قد ذُكر في المنتخب أن عدد الذين قتلهم الحسين عليه السلام ما يزيد على ١٠٠٠٠ عشرة آلاف فارس[2]، ولا يبين فيهم لكثرتهم؟؟

أقول: لو كانوا ثلاثين ألفا، فهو الثلث -بناء على هذه الروايات- فكيف لا يبين

(١) الأمالي: حدثنا أبو علي أحمد بن زياد الهمداني رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن أسباط، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن أبي صفية، قال..

والسند ليس فيه من يتوقف فيه غير علي بن سالم، ومنشأ التوقف أنه هل هو: (ابن أبي حمزة سالم البطائني) الذي فيه كلام في قبول روايته بعد الاتفاق على كونه واقفياً ومن زعمائهم. أو أنه علي بن سالم الكوفي الذي هو عم علي بن أسباط وبينما جزم بالاتحاد بعض كما نقل عن الوحيد عن جده، شكك غيره كالخوئي في معجم الرجال في الاتحاد! وقال: إنه لم يعهد النقل عن علي بن أبي حمزة بعنوان بن سالم، كما أن الشيخ قد ذكره قبله بقليل. واحتل بعضهم ولعله الصحيح أن يكون أخا يعقوب بن سالم (الثقة) وأسباط بن سالم فيكون علي بن أسباط قد نقل الخبر عنه عمه علي بن سالم، وهذا قد نقل الخبر عن أبيه سالم.. وكثيرا ما ينقل ابن أسباط عن عميه علي ويعقوب. وعلي بن سالم هو ممن روى عنه المشايخ الثقات..

(٢) المنتخب ٤٦٣.

فيهم؟ بل حتى لو كانوا سبعين ألفا فإن معنى ذلك أن سبعهم قد قتل!!

وربما يغفر في قصائد الحماسة والشعر، التهاون بالأعداد، مثل قوله:

جاؤوا بسبعين ألفاً سل بقيتهم   هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا؟

أو مثل قول السيد حيدر في تصوير كثرة الجيش:

بجمع من الناس سد الفرو   ج وغطى الجبال وغيطانها
وطا الوحش إذ لم يجد مهرباً   وغادرت الطير أوكانها

أو قول الآخر:

بجحافل بالطف أولها   وأخيرها بالشام متصل

فهذه طبيعة الشعر القائم على مخاطبة الخيال، والذي يتعمد فيه المبالغة والإكثار، حتى لقد قالوا: «أعذب الشعر أكذبه»، فأنت ترى الصورة الخارجية الحقيقية بنحو، حتى إذا قرأتها في قصيدة وصفية وجدت عالما آخر أكبر عشرات أو مئات المرات من الواقع..

إلا أنه لا ينبغي يكون هذا في الكتب التاريخية، ولاسيما لو كانت منسوبة إلى علماء محققين، وأفاضل كالشيخ فخر الدين.

- مشكلة الأعمار في المنتخب: يلاحظ المتتبع في المنتخب، أن أعمار أهل البيت ﷺ لم يقل بها أحد من المؤرخين ولا الناقلين. فهو يذكر أن عمر علي الأكبر كان ١٧ سنة وأنه بقي بعد أبي الفضل العباس لكي يأتي بالماء للطفل بعد شهادة العباس! فراجع صفحة ٤٤٣.

فإنه لم يقل أحد بأن عليًّا الأكبر كان في هذا السن عندما استشهد. وهكذا في مثل قوله: إن عمر الإمام علي بن الحسين السجاد كان ١١ سنة عند شهادة أبيه؟ كما يلحظ ذلك في صفحة ٣١٤، بينما في صفحة ٢٨٣ تردد بين عشر سنوات وبين

إحدى عشرة سنة! وهو مخالف لما ذكره كل من تحدّث في سيرة الإمام عليه السلام الذين اتفقت كلمتهم على أنه قد ولد في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، ومن المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد استشهد في سنة ٤٠ للهجرة[1]. وبناء على ما ذكره الكليني يكون عمره الشريف عند شهادة والده الحسين أثنين وعشرين سنة أو تزيد قليلا. وهذا يعني ضعف العدد الذي ذكره في المنتخب.

وكذلك فإن من الثابت أن الإمام الباقر عليه السلام، كان قد حضر كربلاء وهو صغير له سنتان أو أكثر. ولا ينسجم هذا مع كون الإمام زين العابدين حينئذ له من العمر إحدى عشرة سنة!

ومن المعروف أيضاً أن عليًّا الشهيد (المعروف بالأكبر) أسنّ من أخيه زين العابدين عليه السلام.

قضايا تاريخية متفرقة:

سوف نتعرض إلى بعض ما ورد في الكتاب من قضايا تاريخية، لا يمكن التسليم بها لمخالفتها للمعروف، والثابت تاريخيًّا، وسنكتفي ببعضها لبيان مواضع الخلل فيها:

١ - مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب:

يظهر من كتاب المنتخب أن قتله كان بسبب أن وحشيا قد كمن له ثم ضربه بالسيف على أم رأسه وعبارته هكذا: فلما هاج حمزة في الحرب كمن له وحشي

---

(١) ذكر ثقة الإسلام الكليني في الكافي في باب مولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه ولد سنة ٣٨هـ وقبض سنة ٩٥هـ. وهو مفاد رواية أوردها في الباب، فراجع. كما ذكر في البحار أنه ولد في تلك السنة. وأورد أسماء عدد من الكتب ممن ذكر مؤلفوها ذلك. وإن كان ابن عساكر قد ذكر في تاريخ مدينة دمشق أنه قد ولد في سنة ٣٢هـ إلا أنه لا يصغى إليه بعدما وردت الرواية عن أهل البيت عليهم السلام بخلاف ذلك.

وضربه على أم رأسه فقتله فخرّ إلى الأرض صريعاً!! صفحة ٢٢١.

لكن المؤرخين ينقلون صورة غير هذه، وأنه إنما كان وحشي رامياً مشهوراً بالحربة، فعهدت إليه هند أنه لو قتل أحد الثلاثة: رسول الله، أو علياً أو حمزة.

فقد قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

«وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلا على أن يقتل رسول الله ﷺ أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب ﷺ فقال لها: أما محمد فلا حيلة لي فيه، لان أصحابه (يطيفون به)، وأما علي فانه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما حمزة فاني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه. وكان حمزة -يومئذ- قد أعلم بريشة نعامة في صدره، فكمن له وحشي في أصل شجرة، فرآه حمزة فبدر إليه بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه، قال وحشي: وهززت حربي حتى إذا تمكنت منه رميته، فأصبته في أربيته[1] فأنفذته، وتركته حتى إذا برد صرت إليه فأخذت حربتي، وشغل عني وعنه المسلمون بهزيمتهم»[2].

٢- هل مر النبي ﷺ على العراق؟

جاء في الكتاب المذكور أن النبي قد مر العراق فوقف على كربلاء وقال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله..

ولا يذكر المؤرخون أن النبي ﷺ قد مر على العراق، سواء في غزواته أو في غيرها.. فلا نعلم من أين أتى الكتاب بهذا الخبر؟

---

(١) أعلى الفخذ وأسفل البطن.

(٢) الإرشاد ١/ ٨٣. وذكر هذا المعنى ابن هشام في السيرة، واليعقوبي في تاريخه، وابن شبة النميري في تاريخ المدينة، وابن كثير في البداية والنهاية، والطبري في تاريخه.

٣- مولد عمر بن سعد:

ذكر خبراً حاصله أن عمر بن سعد بن أبي وقاص، قائد الجيش الأموي في كربلاء قد ولد في زمان الرسول أو أنه كان في حينه (فتى) وهو لا ينسجم مع الرأي الصحيح في وقت ولادته لعنه الله.

فقال: كما نقله عنه السيد هاشم البحراني في كتابه مدينة المعاجز:

«روي عن ابن مسعود قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وآله - في مسجده، إذ دخل علينا فتية من قريش ومعهم عمر بن سعد -لعنه الله-، فتغير لون رسول الله -صلى الله عليه وآله -. فقلنا له: يا رسول الله ما شأنك؟ فقال: إنا أهل بيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإني ذكرت ما يلقى أهل بيتي من أمتي من بعدي من قتل وضرب وشتم وسب وتطريد وتشريد. وان أهل بيتي سيشردون ويطردون ويقتلون، وان أول رأس يحمل على (رأس) رمح في الإسلام، رأس ولدي الحسين عليه السلام، أخبرني بذلك [أخي] جبرائيل، عن الرب الجليل. وكان الحسين عليه السلام حاضراً عند جده في ذلك الوقت، فقال: يا جداه فمن يقتلني من أمتك؟

فقال: يقتلك شرار الناس، وأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عمر بن سعد لعنه الله.

فصار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأوا عمر بن سعد داخلا من باب المسجد، يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام.

[قال:] وجعل عمر بن سعد، كلما لقي الحسين عليه السلام يقول: يا أبا عبد الله إن في قومنا أناساً سفهاء، يزعمون أني أقتلك.

فيقول له الحسين عليه السلام: [والله] إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم أناس حلماء، أما أنه ستقرّ عيني حيث لا تأكل من بر الري من بعد قتلي إلا قليلا، ثم تقتل من بعدي

عاجلاً»[١].

والذي يظهر أن الحديث كما ذكر المحشي على مدينة المعاجز، ملفق من الحقائق والأباطيل.. فإن فقرات من الخبر المذكور قد وردت في كتب الحديث والرجال، مثل «أنهم كانوا إذا رأوه داخلاً باب المسجد قالوا: هذا قاتل الحسين..»، وفقرة «إن في قومنا أناساً..»، ولكن ترتيب الرواية بحيث تبدو وكأنها صادرة عن النبي ﷺ، وأن عمر بن سعد دخل في فتية من قريش على رسول الله ﷺ، ليس بصحيح.

ذلك أن الميلاد المشؤوم لعمر بن سعد كان في سنة وفاة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أي في سنة ٢٣هـ كما جزم بذلك ابن معين وغيره. ولذا فقد نفى كثير من الرجاليين كونه في عداد صحابة النبي ﷺ أو صغارهم.

ولو تنزلنا إلى القول الآخر[٢] (وهو القول الذي نفاه محققو التاريخ)[٣] وهو أنه

---

(١) مدينة المعاجز ٤/ ٦١ عن المنتخب ٣٣٢.

(٢) العجيب أن ابن عساكر في تاريخ دمشق الذي ذكر أنه ولد عمر بن سعد عام مات عمر بن الخطاب، ذكر أنه قد بعثه أبوه مع الجيش الذاهب إلى الجزيرة.

(٣) قال ابن حجر في الإصابة ج ٥ ص ٢١٨ (٦٨٤٣): عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ذكره بن فتحون في الذيل مستأنسا بما ذكره أبو عروبة من طريق سعيد بن بزيع عن بن إسحاق قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: أن الله قد فتح الشام والعراق فابعث من قبلك جندا إلى الجزيرة فبعث جيشا مع عياض بن غنم وبعث معه عمر بن سعد وهو غلام حديث السن وكذا رواه يعقوب بن سفيان والطبري من طريق سلمة بن الفضل عن بن إسحاق قال وكان ذلك سنة تسع عشرة قال بن فتحون من كان في هذه السنة يبعث في الجيوش فقد كان لا محالة مولوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال بن عساكر هذا يدل على انه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال بن فتحون وقد عارض هذا ما هو أقوى منه ففي الصحيحين من طريق بن شهاب عن عامر بن سعد عن أبيه قال مرضت بمكة فعادني رسول الله ﷺ وسلم فقلت: يا رسول الله؛ إني ذو مال لا يرثني إلا ابنة.. الحديث، ففي رواية مالك والجمهور أن ذلك كان في حجة الوداع وفي رواية بن عيينة في الفتح قلت: قد جزم أمام المحدثين يحيى بن معين بأن عمر بن سعد ولد في السنة التي مات فيها عمر بن الخطاب ذكر ذلك بن أبي خيثمة في تاريخه عن يحيى وذكر سيف في الردة أن سعداً كانت عنده يسرى بنت

قد كان مع الجيش الذي بعثه أبوه إلى الجزيرة في سنة ١٩هـ، فإنهم ذكروا أنه كان غلاما حدثا ليس إليه من الأمر شيء. ومن حاله في سنة ١٩هـ هكذا لا يعقل أن يكون في زمان الرسول يأتي في فتية من قريش يدخلون على رسول الله المسجد. علما بأن هذه الرواية لم توجد في مصدر سني أو شيعي غير مدينة المعاجز نقلاً عن المنتخب.

ويؤيده ما ورد عن علي عليه السلام مخاطباً[1] لسعد بن أبي وقاص عندما سأله مسألة ظن أنه أعضل فيها: إن في بيتك سخلاً يقتل ولدي الحسين، ولو كان مولودا زمان الرسول لكان عمره في أدنى تقدير ثلاثين سنة.. وهو لا يصدق عليه أنه (سخل) بمعنى صغير الماعز، وإن كان سخلاً بحسب المعنى ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

٤ - مدة حرب معاوية للإمام علي عليه السلام:

كم كانت مدة حرب معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام؟

قال في المنتخب صفحة ٢٢٦: «لازم معاوية حرب أمير المؤمنين عليه السلام ثمانين شهراً».

كذلك قوله في أنه استمر معاوية على سب الأمام مدة ثمانين شهراً.

ولا أعلم سر التركيز هنا على عدد الثمانين شهراً، فأما الأول فإنه ليس بصحيح فإن مدة حكومة أمير المؤمنين عليه السلام لم تتعد من السنوات خمساً، بينما الثمانون شهراً تزيد على ست سنوات ونصف السنة!! وإن كان المقصود بما يشمل فترة الإمام الحسن عليه السلام فهو خلاف الظاهر.

قيس بن أبي الكيسم من كندة في زمان الردة فولدت له عمر بن سعد.

(١) نقول ذلك على نحو التأييد لأن الرواية مع اتفاقهم على ما ورد فيها، فقد اختلف النقل في مصاديقها، فمن كشف الغطاء وغيره أنه خاطب سعد بن أبي وقاص، وعن غيره كشرح أصول الكافي للمازندراني أنه خاطب أنس النخعي والد سنان، وعن غيرهما أنه خاطب نمير التميمي والد الحصين.

وأما استمرار معاوية على لعن أمير المؤمنين عليه السلام فكانت طيلة فترة حكومته وسلطته التي امتدت إلى سنة ٦٠هـ أي إلى عشرين سنة بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

٥- قصيدة الفرزدق:

قصيدة الفرزدق هل أنشأها أو قرأها الفرزدق أمام الحسين؟

من المعروف أن الفرزدق بن غالب كان قد أنشأ قصيدته الميمية (يا سائلي أين حل الجود والكرم..) على البديهة، في مدح الإمام زين العابدين في قصة طوافه بالبيت وانفراج الناس بين يديه.. وقد ذكرها المصنفون الذين تعرضوا لحياة الإمام[1]، وأولئك الذين أرّخوا حياة الفرزدق. لكننا نجد في المنتخب شيئاً غير

---

(١) في اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٤٣:

إن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك، فطاف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام. فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجها وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالا، فغاظ ذلك هشاما. فقاله رجل من أهل الشام لهشام، من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضرا: لكني أعرفه، فقال الشامي من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

هذا، فقد ورد فيه صفحة ١١١: «أنه لما التقى الفرزدق الحسين عليه السلام في طريق مكة ثم ودعه وقال: قلت أبياتاً قبل اليوم فيه وأحب أن تسمعها، يقول لابن عمه، فقال نعم.

قال الفرزدق: أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجده هذه الأبيات:

هذا الــذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم!

٦- عمر بن سعد في الشام أو الكوفة؟

المذكور تاريخياً أن عمر بن سعد كان في الكوفة، قبيل مجيء عبيد الله بن زياد، وأنه كان يستعد للذهاب إلى ولاية على دستبى[1] (بلد في الديلم). حتى إذا جاء بن زياد أمره أن يصير إلى حرب الحسين عليه السلام.

غير أن ما في المنتخب ينتهي إلى أنه كان مع يزيد في الشام وأنه أرسله إلى الكوفة بكتاب!! ففي صفحة٤٢٣: «فلما قرأ يزيد الكتاب أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد لعنه الله وكتب إلى عبيد الله بن زياد وكان في البصرة كتابا يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة».

٧- زيد بن أرقم:

ما ذكره: أن يزيد غضب على زيد بن أرقم، عندما قال له: أنه رأى الرسول يقبل ثنايا الحسين مراراً، فغضب عليه يزيد وأمر به فسجن، حتى أنه نقل أنه مات وهو في السجن؟ ألا لعنة الله على الظالمين..

العجيب أنه نقل نفس القصة باعتبارها حدثت مع ابن زياد وزيد بن أرقم، فهل كان يتابعهم زيد في الكوفة وذهب معهم إلى الشام وحصل من ابن زياد نفس ما حصل من يزيد؟؟ صفحة ٤٧٨.

---

(١) الطبري ٤/ ٣٠٩.

والصحيح هو أنه (زيد بن أرقم) رأى الحادثة في مجلس ابن زياد كما نقل في أكثر من مصدر تاريخي[١].

هذا إضافة إلى أن زيداً -الذي عرف أنه نزيل الكوفة- قد توفي فيها سنة ٦٨ هـ[٢] (أو ٦٦) ولم يذكر أحد أنه مات في سجن بني أمية!!

٨- هل أمر المتوكل بإعمار قبر الحسين؟

المعروف بين المؤرخين أن المتوكل العباسي الذي كان فيه نصب -كما يقول الذهبي- وانحراف شديد عن أهل البيت ﷺ كان يحارب قبر الحسين ؑ وما يرتبط بإحياء ذكره، وهذا ما اتفقت عليه كلمة المؤرخين، حتى لقد أرخ شعراً على يد البسامي في قوله:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله فغدا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولتوثيق ما سبق ننقل بعض الشهادات التاريخية:

وفيها (سنة ٢٣٥) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وان يمنع الناس من إتيانه فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير ج ٢ ص ٢١: «فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له أعل بهذا القضيب فوالذي لا اله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم الحسين بن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم».

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ١٦٨: «قال المدائني وخليفة: توفي زيد بن أرقم سنة ست وستين. وقال الواقدي وإبراهيم بن المنذر الحزامي: مات بالكوفة سنة ثمان وستين».

به إلى المطبق فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه[١].

ونفس ذلك نقله الذهبي في سير الأعلام فقال:

وفي سنة ست وثلاثين (بعد المائتين) هدم المتوكل قبر الحسين رضي الله عنه، فقال البسامي أبياتاً منها:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا　　　في قتله فتتبعوه رميما

وكان المتوكل فيه نصب وانحراف، فهدم هذا المكان وما حوله من الدور، وأمر أن يزرع، ومنع الناس من انتيابه. قال ابن خلكان: هكذا قاله أرباب التواريخ[٢].

ولم يعهد من المتوكل رجوع عما بنى عليه من النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما بالنسبة إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام، إلى أن هلك.

غير أن هذه الحقائق تتغير في المنتخب ليحل محلها قصة زيد المجنون الذي رأى البهلول في الكوفة، فتحادثا حول قصة القبر الحسيني إلى أن هام زيد المجنون (!!) على وجهه، وذهب إلى الموكل على حراثة القبر، الذي كان يحرث القبر منذ عشرين سنة! واقتنع أخيرا بأن يمضي معه إلى المتوكل العباسي ويخبره بتوقف الماء عند قبر الحسين عليه السلام، فصلبه المتوكل بعد قتله.. وسجن زيدا المجنون حتى رأى المتوكل من يرفسه ويأمره بإخراجه وقضاء حوائجه فطلب هذا عمارة قبر الحسين، والمناداة في الخلق بزيارته وأنهم غير ممنوعين عن ذلك.. فقضاها المتوكل له!!

هذا مع أن المتوكل العباسي لم يبق في الحكم سوى أربعة عشر سنة وعشرة شهور وهلك في سنة ٢٤٧هـ. فكيف يكون من عينه لحراثة قبر الحسين يفعل ذلك

---

(١) تاريخ الطبري، ج٧، ص ٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٥ وكذا في البداية والنهاية ج١١. وفي بحار الأنوار ٤٤.

مدة عشرين سنة؟ وكيف يلتقي زيد المجنون كما في القصة ببهلول الذي في الكوفة مع أن بهلول الكوفة (ابن عمر الصيرفي) قد توفي سنة ١٩٠هـ؟ إلا أن يكون بهلول آخر لا نعلم عنه!

والعجيب أن هذه القصة مع ما فيها، وللمتأمل أن ينظر تفاصيلها لكي يعلم مقدار الخلل الكبير فيها، قد نقلها العلامة المجلسي رضوان الله عليه في البحار بعنوان مما جاء في كتب بعض أصحابنا!

ما يرتبط بأخبار واقعة كربلاء:

لو تغاضى المتأمل عن الأخطاء التاريخية العامة، التي لا ترتبط ارتباطاً مباشرًا بيوم عاشوراء، فإنه يصعب التغاضي عن الأخطاء التي ترتبط بنفس اليوم وأحداثه، باعتبار أن الكتاب مدون لأجل قضية الحسين ومقتله. فلننظر ما يقوله في المنتخب:

أ- الخصال التي عرضها الإمام على يزيد:

يظهر من بعض مواقع الكتاب أن الحسين قد (خيّر) يزيد في أحد ثلاث خصال: أخيّرك في ثلاث خصال:

- تتركني حتى أرجع إلى حرم جدي،
- اسقوني شربة من الماء فقد نشفت كبدي من الظمأ،
- إن كان لابد من قتلي فليبرز إليَّ رجل بعد رجل. فرفض الأوليين، وقبل الثالثة.. ص ٤٥١.

في موضع آخر تراه يقول: إنه -أي الحسين- مستعد لأن يذهب إلى أطراف الروم أو الهند ويخلّي لهم العراق، (وأن لكم أن لا أخاصمكم عند الله)!! فلا هو يريد قتالهم في الدنيا ولا خصومتهم في الآخرة..

ثم ذكر أن العباس قد قال لهم، ذلك عن الحسين.. فلما لم يردوا عليه جلس العباس يبكي!! ص ٣١٣.

وأرى أن الإعراض عن التعليق على ما جاء في الخبر أولى.

ب- مقتل القاسم بن الحسن ﷺ:

بالرغم من أن المنتخب قد ألف من أجل شرح ما جرى على الحسين وأصحابه في كربلاء إلا أن الناظر فيه يرى بعض الروايات المخالفة لما هو مذكور في كتب التاريخ[1]، ولم يعلم من أين أخذها المنتخب مثلما ذكر في قضية مقتل القاسم بن الحسن ﷺ فانظر إلى ما ذكره، قال:

«إنه بعدما ذهب إلى المعركة رجع وجلس مع ابنة عمه!! ثم ودّعها (وركب جواده وحماه في حومة الميدان، ثم طلب المبارزة فجاءه رجل يعد بألف فارس وكان له أربعة أولاد مقتولين، فضرب القاسم فرسه بسوط وعاد يقتل بالفرسان، إلى أن ضعفت قوته فهم بالرجوع إلى الخيمة وإذا بالأزرق الشامي قد قطع عليه الطريق وعارضه فضربه القاسم على أم رأسه فقتله وسار القاسم إلى الحسين وقال يا عمّاه العطش العطش أدركني بشربة من الماء فصبره الحسين وأعطاه خاتمه وقال: حطه في فمك ومصه، قال القاسم فلما وضعته في فمي كأنه عين ماء فارتويت وانقلبت إلى الميدان، وجعل همته على حامل اللوى وأراد قتله، فاحتاطوا به بالنبل فوقع القاسم على الأرض فضربه شيبة بن سعد الشامي بالرمح على ظهره فأخرجه من صدره فوقع القاسم يخور في دمه.. الخ» صفحة٣٧٤.

وأنت ترى أن القصة تخالف ما عليه كتب التاريخ من أن القاسم برز إلى القوم راجلا، ولم يكن هناك فرس حتى يحميه في الميدان، كما أنه لم يذكر في أي مصدر تاريخي أو روائي أنه رجع طالبا الماء من الحسين، بعد خروجه للقتال وكذلك فإنه

---

(١) مقاتل الطالبيين وتاريخ الطبري والبداية والنهاية وفي البحار وغيرها..

لم يكن للجيش الأموي لواء واحد، وإنما هناك ألوية متعددة بحسب الفرق، كما أن طريقة مقتله لم تكن بحسب التاريخ والروايات بالصورة المذكورة هنا، وأخيراً فإن الذي قتل القاسم هو عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي كما ورد في الزيارة المنسوبة[١] لصاحب الزمان عجل الله فرجه وليس هناك ذكر لشيبة بن سعد الشامي!!. ولننقل منها نصا يتبين فيه الفرق بين ما هو مذكور في المنتخب وما هو في الزيارة:

«السلام على القاسم بن الحسن بن علي المضروب هامته، المسلوب لامته حين نادى الحسين عمه، فجلّى عليه عمّه كالصقر، وهو يفحص برجله التراب، والحسين يقول: بعدا لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك، ثم قال: عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك وأنت قتيل جديل فلا ينفعك، هذا والله يوم كثر واتره، وقل ناصره. جعلني الله معكما يوم جمعكما، وبوأني مبوأكما، ولعن الله قاتلك عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي وأصلاه جحيماً، وأعد له عذابا أليما».

جـ- مقتل أبي الفضل العباس عليه السلام:

يذكر كتاب السيرة وتؤكده الزيارة المنسوبة للإمام الحجة عجل الله فرجه على أن الذي قطع يمين العباس عليه السلام ويساره: زيد بن رقاد، وحكيم بن الطفيل[٢].

غير أننا نجد في المنتخب اسما جديدا هو (نوفل الأزرق).. ولا نعلم من هو ولم يذكر في مصدر تاريخي معتمد، وما هو سر التركيز على (الزرقة) في مقتل القاسم والعباس، وغيرهما. هل هو تأثر بما ورد من أنه يعرف الكافرون بزرقة العيون.

---

(١) يوجد لها ذكر في القسم الأول من هذا الكتاب في فصل الملحقات.

(٢) جاء في الزيارة: السلام على العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه. لعن الله قاتليه، يزيد بن الرقاد (وقاد) الحيتي، وحكيم بن الطفيل الطائي.

د- مقتل الحسين عليه السلام:

نقل فيه في المنتخب الرواية التي ناقشناها في القسم الثاني، ويمكن الرجوع إلى السؤال: الخاص بكيفية قتل الحسين عليه السلام ومن الذي احتزّ رأسه، لتبين الأمر.

هـ- نقل في صفحة كلاماً كثيراً عن أنه كان قد رأى مزارع من بني أسد أسداً (!) يتخطى الجثث، فوقف ينظر هل يأكل منها أو لا يأكل، فلما لم يأكل سأل بعض من كان يبكي هناك (من الجن كما في القصة) عن هذا الأسد فقال هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!!

وقد شنّ المحدث النوري رحمه الله غارة شعواء على من يشبه الإمام المعصوم عليه السلام، أمير المؤمنين وهو أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله بحيوان من الحيوانات.

شخصية يزيد في المنتخب:

من المسلمات بين المسلمين أن يزيد كان مستهتراً بالقيم الدينية، وإن كان شذّ من هؤلاء من (أشرب في قلوبهم حب العِجل) بل حكم الأكثر من علمائهم بكفره على أثر تصريحاته الكثيرة لا سيما في شعره[1].

---

(١) فمن ذلك تمثله بأبيات ابن الزبعرى: مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت، ج ٥٠، ص ٢٠٤:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر:

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

وكذلك قوله في قصيدته التي أولها:

علية هاتي أعلني وترنمي ... بذلك أني لا أحب التناجيا

ويكفيه من مخازيه أنه حكم ثلاث سنوات، فقتل في الأولى منها سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة مع عدة نفر ما لهم على وجه الأرض شبيه، وسبى نساء الرسول سبي الكافرات! وفي الثانية أباح المدينة النبوية، وفي الثالثة هدم بناء الكعبة، وبتر الله عمره بعدها، ولو مُد له فيه لمُد في آثامه.

وهو الذي قال لزينب: إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. وهو الذي وصفته سكينة بنت الحسين: ما رأيت أقسى قلبا من يزيد ولا رأيت كافراً شراً منه ولا أجفى منه![1]

لكن هذه الشخصية الكافرة الشريرة تتحول بقدرة قادر! في المنتخب إلى شخصية أخرى رقيقة القلب، تنتابه الهموم لأجل قتل الحسين!! ويبكي بل يلطم على وجهه لذلك!! وأنه لما رأى أن ابن زياد قد قتل الحسين وسبى نساءه عض على أنامله حتى كاد يقطعها (نعم هكذا) وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون!!

حديث أبي سفيان قدما سما بها — إلى أحد حتى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة — تخيرها العنسي كرما وشاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة — وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مت يا أم الأحيمر فانكحي — ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا — أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بد لي من أن أزور محمداً — بمشمولة صفراء تروي عظاميا

ومما يعزي إليه، قوله:

معشر الندمان قوموا — واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام — واتركوا ذكر المغاني
أشغلتني نغمة العيدان — عن صوت الأذان
وتعوضت عن الحور — خموراً في الدنان

(١) أمالي الشيخ الصدوق.

والحق أن هذه ممارسات لا تتصل بيزيد، إلا بمقدار ما تتصل السماء السابعة بتخوم الأرض.

فانظر ما قاله في المجلس الأخير (العاشر من الجزء الثاني).. «قالت هند: فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لي وللحسين وقد وقعت عليه الهمومات (هكذا)، فقصصت عليه المنام وهو منكس الرأس..» صفحة ٤٩٧.

وكذا الحال في صفحة ٤٩٥ «.. فلما سمع يزيد ذلك لطم على وجهه وبكى وقال: ما لي ولقتل الحسين..».

وفي موضع آخر (صفحة ٤٨١): «ثم إنه أخذ كتاباً بعثه إليه ابن زياد وقرأه فلما انتهى إلى آخره عضّ على أنامله حتى كاد يقطعها، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون... ودفعه إلى من كان حاضراً فلما قرؤوه قال بعضهم لبعض: هذا ما كسبت أيديكم.. فما كان إلا ساعة وإذا بالرايات قد أقبلت..».

ولا نريد أن نتتبع كل ما ورد من كلمات، وإنما أوردنا ما سبق على نحو الاستشهاد والتمثيل، وكفى به شاهداً على أن الشخصية المقروءة في المنتخب لا تنتمي إلى يزيد أبداً.

لمن المنتخب؟

بعد هذه الجولة السريعة[1] في الكتاب، يحق التساؤل.. لمن هو كتاب المنتخب؟ وهل أنه بالفعل للعالم الكبير فخر الدين الطريحي؟ وهل أنه بكامله له؟

---

(١) وقد تركنا الحديث عن النقد الأدبي، والملاحظات في هذا الجانب كثيرة، تحتاج لدراسة خاصة، والبعد بين ما هو في الكتاب وبين هذا اللغوي الأديب المتضلع كبير والمسافة شاسعة.

إن الشخصية التي ترسمها لنا كتب التراجم عن شخصية الشيخ فخر الدين الطريحي، تعطي لنا شعوراً بأننا أمام واحد من فحول العلماء الموسوعيين، «فلو قرأت كتابه (غريب القرآن) وجدته مفسّراً محيطاً بعلوم القرآن الكريم، وإذا أمعنت النظر في كتابه (غريب الحديث) رأيته محدثاً متفنناً في الأحاديث المروية عن النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، وإذا دققت الفكر في كتابه (الضياء اللامع) و(شفاء السائل) و(الفخرية الكبرى) وغيرها رأيته فقيهاً متضلعاً في أبواب الفقه، وإذا طالعت كتابه (إيضاح الأحباب) وجدت تبحره في العلوم الرياضية، وهكذا إذا قرأت كتابيه (تمييز المعطوفات من الرجال) و(جامع المقال) وجدته رجالياً خبيراً بالتراجم وأحوال السابقين من الرواة والمحدثين، أما إذا قرأت كتابه (مجمع البحرين) فإنك ترى العجب من اطلاع المترجم له وتضلعه في الفنون الإسلامية والعلوم المتداولة في عصره»[1].

وهذه الشخصية لا يمكن أن تنسجم مع الصورة الباهتة التي نراها في المنتخب عن كاتب ليس له أدنى إلمام بالتاريخ سواء في عصر النبوة، أو بحادثة كربلاء التي وضع المنتخب لتأريخها وذكر وقائعها، ولا إطلاع له على الروايات الواردة عن أهل البيت في تفاصيلها وإحصائياتها.

- فقد ينكر كون الكتاب لهذا العالم الجليل حيث إنه لا ينسجم علمه وفضله الكبير مع ما جاء في هذا الكتاب. وذلك أنه يمكن معرفة نسبة الكتاب للكاتب من خلال انسجامه مع مجمل أفكاره وتناغمه مع مستواه. ومن هنا فقد شكك العديد من الأعلام في الكتاب المتداول المنسوب للشيخ ابن الغضائري[2].

ولكن يُرد هذا باشتهار نسبة الكتاب للمؤلف، حتى بات التشكيك في ذلك من

---

(١) مقدمة مجمع البحرين للسيد أحمد الحسيني.

(٢) منهم المحقق آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ج ٤.

إنكار الواضحات، ولو فتح هذا الباب لكان مشكلا في كل كتاب. بل بات هذا الكتاب وطريقته محلا للتمثيل، فيقال ألف فلان كتاب مثل المنتخب للطريحي كما يلاحظ المتتبع لكتاب الذريعة حيث ذكر كتبا كثيرة في المقتل وصفها بأن تصنيفها على غرار منتخب الطريحي[1].

- هناك احتمال آخر أن يكون أصل الكتاب لهذا العالم الجليل، ولكن تمت فيه زيادة ونقيصة وتغيير أدى إلى خروجه بهذا النحو. وقد ذكر لي بعض العلماء الأفاضل أنه رأى في بعض إجازات السيد حسن الصدر ما يفيد أنه قد حصل فيه ذلك.. ولم يتسن لي النظر إلى تلك الإجازة حتى كتابة هذه السطور.

وفي الذريعة هناك إشارة إلى وجود نسخ فيها اختلاف وزيادة ونقيصة، ولا نعلم هل أن هذه النسخة المطبوعة -بالفعل- هي تلك الصحيحة أو المزادة! فقد قال في الذريعة: «.. وعند الميرزا علي أكبر العراقي نسخة منتخب من المنتخب لبعض المتأخرين وهو موافق مع المنتخب في الخطبة ومخالف معه كثيرا بالزيادة والنقصان ومن نقصه عدم ذكر حديث الكساء فيه..».

- وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون هذا الكتاب قد كتبه المؤلف في بدايات حياته العلمية، ومن المعلوم أن المرء يتدرج في حياته الفكرية والعلمية حتى يصل إلى الدرجات العالية، ويكون لو كتب كتاباً في بداية تلك الحياة، فإنه يكون فيه من الضعف والخلل ما يتناسب مع مرحلته الزمنية تلك، ومستوى نضجه الفكري، لكنه يبقى باسمه ويعرف به إلى آخر حياته، فيحصل

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني، ج ١٦، ص ٣٦٤: (الفوادح الحسينية والقوادح البينية) المشهور بمقتل آل عصفور. للشيخ حسين بن الشيخ محمد بن احمد، الدرازى آل عصفور البحراني، ابن أخي صاحب (الحدائق) والمجاز منه في (اللؤلؤة) والمتوفى ليلة الإحدى والعشرين من شوال في ١٢١٦ وهو على نهج (منتخب الطريحي) وضعه لأن يقرأ في عشرة المحرم يوماً وليلاً، (المجالس) في التعزية، مقتل نظير (منتخب الطريحي) للشيخ يوسف بن الشيخ حسن بن علي البلادي البحراني المعاصر للشيخ الطريحي المذكور.



التعجب عند قراءته لوجود الفارق الكبير بين ما هو معروف عن مؤلفه من العلم والتدقيق وما هو في الكتاب من الضعف[١]. إلا أن يصرح في تأليف ذلك الكتاب بسنة تأليفه ويعلم منه أنه في بداية عمره.

ولهذا فقد ذكر صاحب الجواهر قدس سره[٢] في سياق رده على استدلال الشهيد الثاني قدس سره في رسالة له في وجوب صلاة الجمعة، بعدما رأى أن الدليل لا يتناسب مع عظمة ومكانة الشهيد الثاني[٣]، قال: «.. هو من غرائب الكلام يقبح بالإنسان التصدي لبيان بطلانه، بل هذا منه مما يؤيد ما ذكرنا من وقوع هذه الرسالة منه في صغر سنه»[٤].

ونحن لا نعلم تاريخ تأليف كتاب المنتخب، ولكن مع استبعاد الاحتمال الأول بشكل كامل، يبقى الأمر دائرا بين الاحتمالين الأخيرين.

---

(١) ذكر المحدث القمي رحمه الله في مقدمة كتابه منتهى الآمال ما يشير إلى هذه الجهة من التسامح الموجود في كتاب المنتخب فقال: «ولكن في كتاب (المنتخب) أمورا كثيرة جرى التساهل والتسامح بها وهي لا تخفى على أهل البصيرة والاطلاع».

(٢) الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر النجفي (توفي ١٢٦٦هـ) من تلامذة السيد جواد العاملي، وفيما بعد من تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء، حطت المرجعية العليا رحالها عند عتبة داره، وهو صاحب الكتاب الذي لا يزال منذ تأليفه مرجعا ومصدرا للفقهاء (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) دورة فقهية كاملة من الطهارة إلى الديات يقع في ٤٣ مجلدا.. وقد درس على يده وتخرج عدد كبير من أعيان الطائفة.

(٣) الشيخ زين الدين علي بن أحمد الجباعي العاملي (ولد سنة ٩١١ هـ وقتل لأجل التشيع في قسطنطية عام ٩٦٦هـ) له كتب كثيرة منها (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) و (روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان) و (مسالك الأفهام..) وكثير من الحواشي على كتب متعددة، وكانت له سفرات كثيرة إلى بلاد مختلفة لطلب العلم، وللتدريس.

(٤) جواهر الكلام ١١/ ١٧٧.

المصادر بعد القرآن الكريم



١. ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني: أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة إسماعيليان، طهران.

٢. ابن تيمية، أحمد: رأس الحسين.

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت.

٥. ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر: بلاغات النساء، بصيرتي - قم.

٦. ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، نشر أدب الحوزة - قم ١٤٠٥هـ.

٨. البحراني، يوسف: الحدائق الناضرة، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٩هـ.

٩. الحائري، ميرزا جعفر الطباطبائي: إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد.

١٠. الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.

١١. الحر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت، قم ١٤١٤هـ.

١٢. الدينوري، أبو حنيفة: الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٠هـ.

١٣. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٤١٣هـ.

١٤. الري شهري، محمد المحمدي: ميزان الحكمة، دار الحديث قم ١٤١٦هـ.

١٥. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

١٦. الشاهرودي، علي النمازي: مستدرك سفينة البحار، جماعة المدرسين قم١٤١٩هـ.

١٧. شريفي، محمود وآخرون: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، دار المعروف قم ١٤١٦هـ.

١٨. شمس الدين، محمد مهدي: واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر - بيروت ١٤٢١هـ.

١٩. الشيباني، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، انتشارات إسماعيليان - طهران.

٢٠. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: الأمالي، مؤسسة البعثة قم ١٤١٧هـ.

٢١. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: علل الشرائع، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ.

٢٢. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٤هـ.

٢٣. الطبراني، الحافظ سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

٢٥. الطبرسي، أحمد بن علي: الاحتجاج، دار النعمان، بيروت.

٢٦. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٧. الطريحي، فخر الدين أحمد: المنتخب الفخري، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٢٨. الطهراني، آقا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢٩. الطوسي، محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال، مطبعة بعثت ١٤٠٤هـ.

٣٠. عبد الحميد، صائب: ابن تيمية حياته وعقائده، دار الغدير قم.

٣١. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ.

٣٢. العلوي، محمد بن عقيل: النصائح الكافية، دار الثقافة، قم، ١٤١٢هـ.

٣٣. فوزي، محمد: الحياة الشخصية لأئمة أهل البيت، دار البيان العربي بيروت.

٣٤. فوزي، محمد: بناء القادة في منهج أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الوفاء بيروت.

٣٥. فوزي، محمد: نساء حول أهل البيت، مؤسسة أم القرى، قم، ١٤٢٣هـ.

٣٦. القرشي، باقر شريف: حياة الإمام الحسين عليه السلام، الآداب - النجف الأشرف ١٣٩٤هـ.

٣٧. القمي، عباس: نفس المهموم.

٣٨. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.

٣٩. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣هـ.

٤٠. المفيد، محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد - قم.

٤١. الموسوي، علي بن الحسين: رسائل الشريف المرتضى، دار القرآن الكريم - قم ١٤١٠هـ.

٤٢. النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الدار الإسلامية ١٤٠٤هـ.

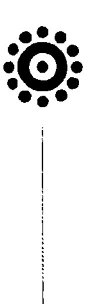
٤٣. نجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين، دار المعارف الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٤٤. النقدي، الشيخ جعفر: زينب الكبرى.

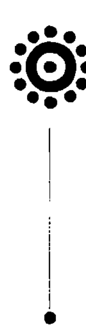
٤٥. النوري، ميرزا حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت قم ١٤٠٨هـ

٦٤. اليزدي، محمد كاظم الطباطبائي: العروة الوثقى، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠هـ.

المحتويات



للتواصل مع المؤلف



www.al-saif.net

fawzialsaif@gmail.com

https://www.facebook.com/fawzi.alsaif